جامعة زيان عاشور – الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ وعلم الأثار

أدب المناظرات والمساجلات في الغرب الاسلامي خلال القرن 5هـ/ 11م (ابن حزم والباجي أنموذجا)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر تاريخ تخصص:

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

– من إعداد الطالبين:

– عيسى قرميطي

– ميلود قصاب

– إشراف الاستاذ الدكتور:

– عبد القادر ربوح

الموسم الجامعي: 1443_1444هـ / 2021_2022م

جامعة زيان عاشور – الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ وعلم الأثار

أدب المناظرات والمساجلات في الغرب الاسلامي خلال القرن 5هـ/ 11م (ابن حزم والباجي أنموذجا)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر تاريخ تخصص:

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

– من إعداد الطالبين:

– عيسى قرميطي

– ميلود قصاب

– إشراف الاستاذ الدكتور:

– عبد القادر ربوح

الموسم الجامعي: 1443_1444هـ / 2021_2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

إليك أنت وحدك يا صاحب السيرة العطرة وصاحب الفكر المستنير، فأنت وحدك من كان له الفضل الأول عليا لأبلغ من درجات العلم، لك أنت والدي الحبيب الذي أتمنى من الله أن يطيل عمره.

إليك أنتِ يا من وضعتني على طريق الحياة، فأنتِ من جعلتيني ربط الجأش، ويا من راعيتيني حتى صرت رجل كبير، لك أنتي يا أمي الغالية طيب الله ثراك.

إلى جميع أخواتي الذين كان لهم الفضل في إزالة الكثير من العقبات والصعوبات من طريقي، أليكم أساتذتي الكرام، فكنتم دائمًا تقدمون لي يد العون.

أهدي لكم جميعًا بحثي هذا.

عيسى قريطي

اهداء

إلى من أفضّلها على نفسي، فلقد ضحّت من اجلي ولم تدخر جُهدا في سبيل إسعادي على الدّوام (أمّي الحبيبة).

نسير في دروب الحياة، ويبقى من يُسيطر على أذهاننا في كل مسلك نسلكه صاحب الوجه الطيب، والأفعال الحسنة.

فلم يبخل عليَّ طيلة حياته (والدي العزيز).

إلى أصدقائي، وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون، وفي أصعدة كثيرة أقدّم لكم هذا البحث، وأتمنَّى أن يحوز على رضاكم.

ميلود قصاب

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فإني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضله، فله الحمد أولاً وآخرًا.

كما أشكر القائمين على جامعة ثم أشكر أولئك الأخيار الذين مدوا لنا يدَ المساعدة خلال هذه الفترة، وفي مقدمتهم أستاذي المشرف على الرسالة الأستاذ: الدكتور ربوح عبد القادر الذي لم يدَّخر جهدًا في مساعدتينا، فله منا الله الأجر ومنا كل التقدير. حفظه الله ومتّعه بالصحة والعافية ونفع الأجيال بمعلومه.

فهرس المختصرات

الرمز المختصر	الدلالة
ت:	توفي
ج:	جزء
ص:	صفحة
ط:	طبعة
ع:	عدد
م:	ميلادي
هـ:	هجري
تح:	تحقيق
تع:	تعليق
تر:	ترجمة
تن:	تنسيق
مج:	مجلد
مرا:	مراجعة
د ، ت:	دون تاريخ
د ، ن:	دون نشر
د ، د ، ن:	دون دار النشر
د ، ط:	دون طبعة
د ، م ، ن	دون مكان النشر

مقدمة

المناظرة فن من فنون الأدب، نشأة وتطورت بنشأة الإنسان، ولم تكن المناظرة تعرف بهذا المصطلح، فكانت وسيلة لمحاولة إثبات ما يعتقده كل شخص، ودحض ما يعتقده غيره، فظهرت بقوة عند المسلمين، وتطورت مفاهيمها مع تطور الحضارة وزيادة المعرفة، لتعالج القضايا العالقة وتفض النزاع.

كان ظهور المناظرات في المشرق سباقا لظهورها في الغرب الإسلامي، ولكن حين انتقلت المناظرات من المشرق إلى الغرب الإسلامي، أخذت أوجها، خاصتنا في الأندلس، حيث تعددت موضوعات المناظرة وكانت المرآة التي تعكس الجوانب الشاسعة الثقافية والدينية التي انتشرت في بلاد الأندلس آنذاك، فقد عرف علماء الغرب الإسلامي أنواع من المناظرات، منها مناظرات أدبية، ومناظرة بين الحكام وأفراد الرعية، ومناظرات الفقهاء كالتي جرت بين ابن حزم والباجي في القرن 5هـ و 11م ومناظرات الفلاسفة، والمناظرات التي جمعت بين الطوائف الإنسانية، والمناظرات التي ترد على دعاة الفرق ومثيري الفتن، فأصبح أهل الغرب الإسلامي أصحاب هذا الفن، خاصة في القرنين 5هـ و11م و6هـ و 12م ، الذي يعتبر عصر ازدهار المناظرات، وتطورها وتنوعها، فظهرت مؤلفات عديدة في هذا المجال، وأصبحت المناظرات في الغرب الإسلامي، وسيلة كل دين وكل مذهب لِذَّبِ عن أرائه، لهذا اكتسبت أهميتها لكونها سلاحا لإثبات المعتقدات وترجيح الآراء، وعلم يحرر العقل وينشط الحركة العلمية والفكرية.

أولا: إشكالية البحث:

انطلاقا مما سبق ينقدح في الذّهن بعض التّساؤلات التي تحدد إشكالية هذا الموضوع والتي قمنا بصياغتها على النحو التالي:

– كيف كانت نشأة وتطور المناظرات وآدابها في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار مناظرات الباجي وابن حزم أنموذجا لازدهار المناظرات وتطورها في الغرب الإسلامي في القرنين5 و11م و6هـ 12م ؟

من خلال بحثنا في جوانب هذه الإشكالية حاولنا الإجابة عن التساؤلات التالية:

- كيف نشأت المناظرات عند المسلمين وتطورت لتصبح علماً قائماً بذاته؟
- كيف كانت بوادر ظهور وتطور المناظرات في الغرب الإسلامي؟
- ما هي الأسباب والعوامل التي جعلت المناظرات تحظى بأهمية كبيرة في الغرب الإسلامي وكيف ساهمة في ازدهار العلوم في القرن5و6هـ؟
- كيف ساهم الباجي وبن حزم –بتنوع مناظراتهم وظهور مؤلفاتهم في هذا الفن– في إثراء الفكر الإسلامي في مختلف مجلاته الفقهية والعقائدية والفلسفية؟

ثانيا: دواعي اختيار الموضوع:

– كان عنوان الموضوع اقتراح من الأستاذ المشرف ولم تكن لنا رغبة في اختياره ولكن بعد البحث فيه بدت لنا أهميته والتي تمثلت في كونه:

أ– موضوعاً يعالج مسألة فكرية كان لها الأثر الكبير في ازدهار الفكر في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

ب– دراسة مهمة توضح وسيلة الدفاع عن الآراء وكيف كان الصراع الفكري بين مختلف العقاد والفرق المذهبية في الغرب الإسلامي.

ج– موضوعاً له مجالاً جغرافيا وزمنياً محدداً يسهل التعامل معه والدراسات في الموضوع نادرة وذلك لأنه دراسة أدبية وتاريخية وفقهية موزعة على فصول خطة المذكرة وهذا الذي جعل الموضوع صعبا قليلا ومهماً وشيقا وأكسبنا مرونة في البحث وخبرة في التعامل مع المصادر الأدبية والفقهية؛ ولذا نشكر الأستاذ على هذا الاقتراح الذي كنا نجهل ماهيته وحقيقته.

ثالثا: خطة البحث:

بناء على اقتراحات الأستاذ المشرف وتوجيهاته، وبعد التعديل من طرفه في الخطة المقدمة من طرفنا، وجدنا صعوبات في الخطة والتي لم تكن تتوافق مع ما جمعناه من المادة العلمية فحاولنا التغير فيها قليلاً لنتمكن من إنجاز بحثنا فجاءت الخطة على النحو الآتي:

- **الفصل الأول:** يعرض مفهوم المناظرة وما يتصل بها من مصطلحات، ويبين آدابها التي يجب للمناظر أن يلزمها، ويحدد أركان المناظرة التي تقوم بهم، وشروطها التي تحكمها.
- **الفصل الثاني:** تطرقنا فيه لنشأة المناظرة وتطورها عند اليونان والعرب في الجاهلية وعند المسلمين في صدر الإسلام والدولة الأموية والعباسية، وكان هذا كمدخل عام لتاريخ المناظرات، ثم تكلمنا عن نشأة المناظرة وتطورها في الغرب الإسلامي، وذلك من خلال معرفة كيف نشأة المناظرة وتطورت في المغرب الإسلامي، وفي الأندلس ودراسة الأسباب التي أدت إلى تأخر ظهور الجدل في الغرب الإسلامي، ومحاولة إعطاء صورة واضحة لحالة المناظرات الدينية بين المسلمين وأهل الذمة في الغرب الإسلامي، وأخر هذا الفصل خصصناه لأهمية المناظرة، وعوامل شيوعها في الغرب الإسلامي في القرن 5و6هـ.
- **الفصل الثالث:** خصصناه للمناظرات بين ابن حزم والباجي، وذلك من خلال دراسة الأسس التاريخية للمناظرات بين الإمامين، والتطرُقْ لمنهج ابن حزم واستدلالاته وترجمة للباجي وقضايا عصره وبعض مناظرات للإمامين ابن حزم والباجي.

رابعاً: منهج الدراسة:

إن طبيعة المادة المدروسة هو الذي يحدد المناهج المتّبعة؛ ومن هذا المنطلق اعتمدنا في دراستنا:

- المنهج التاريخي: الذي يقوم على جمع ومعالجة الحوادث التاريخية عن طريق التحليل والتفسير فكان وسيلتنا لمعالجة الأحداث التاريخية الخاصة بنشأة المناظرة وتطورها عبر التاريخ.
- المنهج التحليلي: الذي يقوم على الاستنباط والاستنتاج قمنا من خلاله باستنباط واستنتاج المناظرات المتناثرة بين المؤلفات ومحاولة تحليلها واستنباط منها الأحكام والنتائج والخروج بنتائج مبنية على دراسة منهجية معمقة.
- المنهج الوصفي: الذي قمنا من خلاله بجمع المعلومات والبيانات على حقيقتها ووصف المادة المدروسة وصفاً دقيقاً منهجيا كوصفنا لطبيعة السياسية والثقافية في الغرب الإسلامي ووصف مجالس المناظرة.

خامساً الدراسات السابقة:

كان للمناظرات بشكل عام أهمية كبيرة عند الباحثين ولكن لم نجد دراسات كثيرة حول موضوع دراستنا وأغلب الكتب والمذكرات التي حاولت التطرق لموضوعنا كانت مخلة بالموضوع وذلك يعود لعدم توفر المادة العلمية وتناثرها بين الكتب وقد يكون راجع لعدم وجود كتاب فرق الفقهاء الذي دون فيه الباجي هذه المناظرات ولم نجد دراسات تاريخية سابقة قد تناولت موضوع دراستنا فكل الدراسات السابقة كانت دراسات إسلامية أصولية أو أدبية لذلك كان موضوع بحثنا فريدا ومتنوعاً حيث يدرس الموضوع من جانب تاريخي وأدبي وفقهي أصولي ومن الدراسات السابقة ما يلي:

– عبد المجيد التركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، تر عبد الصبور شاهين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1406هـ1986م.

– المصطفى الوظيفي، المناظرات في أصول التشريع الإسلامي دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي، (ب ط)، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، 1419هـ/1998م،

– عبد الرحيم لبقية، منهج الاستدلال في الحوارات الأصولية عند علماء الأندلس (الباجي وابن حزم) أنموذجا مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف قندوز ماحي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، (ب ت م)، 1437–1438هـ/2015–2016م.

– لطيفة كرميش، المنهج الحجاجي لعلماء الأندلس ابن العربي أنموذجا، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية. إشراف د ليلى حداد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، المذكرة مطبوعة، (ب ت م)، 1433–1434هـ /2012–2013م.

سادسا: المصادر والمراجع:

– ابن حزم (ت456هـ): الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما لدراسة أراء إبن حزم ومعرفة بعض أخبار مناظراته مع أقرانه فيعتبر هذا الكتاب كتاب جدل.

– أبو الوَليد الباجي (ت474هـ): أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج وإحكام الفصول في أحكام الأصول. كتاب المنهاج هوا من الكتب الأولى التي ألفة في الأندلس عن الجدل وهوا مصدر مهم جداً لمن كان يريد دراسة فن المناظرات بينما كتابه الإحكام فهوا كتاب يعبر عن أراء الباجي الفقهية الأصولية التي خالف فيها معاصريه منهم ابن حزم، وفي الكتاب بعض الأخبار عن مناظراتهم والمواضيع التي دارت حولها المناظرة.

– القاضي عياض (ت544هـ): بن موسى بن عياض اليحصيبي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، سعدنا هذا الكتاب في معرفة بعض أعلام المذهب المالك،

– الذهبي (ت748هـ): الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء.

– الفيروز آباد (ت817هـ): مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آباد، القاموس المحيط، يعتبر هذا المعجم من المصادر المهمة التي تستعمل في تعريف الكلمات وقد اعتمدنا في تعريفاتنا للكلمات المبهمة عن هذا الكتاب.

– ياقوت الحموي (ت626هـ): الإمام شهاب الدين أبي عبد الله الحموي، معجم البلدان، من أهم المصادر الجغرافية التي استعملناها في وصف البلدان.

– د خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي الغامدي، الصراع العقائدي في الأندلس خلال 8 قرون بين المسلمين والنصارى، هذا المرجع اعتمدنا عليه كثيرا في معرفة جذور الصراع العقائدي ومعرفة بعض نماذج من المناظرات العقائدية.

سابعاً: صعوبات البحث:

- الموضوع جديد ومصادره شحيحة حيث لم نعثر على فحوة المناظرات بين ابن حزم والباجي في المصادر والمراجع إلا باستثناءات قليلة ومبعثرة بين ثنايا الكتب.
- الموضوع يدرس جانب فقهي بحت ونضرا لعدم تخصصنا في هذا العلم واجهتنا صعوبات كبيرة في محاولة إدراك وفهم المادة العلمية الفقهية ومعالجتها.
- عدم وجود مصادر دونت مناظرات الإمامين ووجود دراسات قليلة حول موضوع المناظرات وكلها سطحية مما جعلنا نتيه في مجموعة من المصادر والمراجع الفقهية والتي خرجنا منها بدون فائدة لموضوعنا.
- قمنا بتدوين فصلين وإكمالهم وقد كانت لنا منهم نسخة واحدة على جهاز الكومبيوتر وللسوء الحظ أصاب هذا الجهاز عطب وحُذف كل ما حفظ فيه وبهذا عدنا للعمل من الصفر.

الفصل الأول

المناظرات عند المسلمين

أولا: تعريفها.

ثانيا: آدابها.

ثالثا: أركانها.

رابعا: شروطها.

تمهيد:

كان للمناظرة وظهورها عند الإنسان أمر طبيعي وذلك راجع إلى الفطرة الإنسانية التي فُطر عليها ولتي تدفعه لطرح تساؤلات عما يحيط به ومحاولة فهم الوجود لذلك بدأ الإنسان يفكر في أصل كل شيء ويحاول إيجاد أجوبة التي اختلفت باختلاف كل إنسان وطريقة تفكيره وبيئته، وبوجود فطرة الإنسان التي تدفع لتفكير والتدبر وباختلاف الفهم والإدراك عند البشر، وجدت المناظرة لتكون كوسيلة لمحاولة إثبات ما يعتقده كل شخص ودحض ما يعتقده غيره.

ولم تكن المناظرة تعرف بهذا المصطلح ولم تكن علما، بل تطورت مفاهيمها مع تطور الحضارة وزيادة المعرفة فأصبحت وسيلة لإثبات الحق وعلم له آدابه وأركانه وشروطه لذا سنقوم في هذا الفصل بتعريف بالمناظرة وذكر آدابها وأركانها وشروطها.

- أولا: تعريف المناظرة (لغة واصطلاحا).

أ - لغة:

المناظرة مشتقة من الفعل الرباعي ناظر الأصل الثلاثي نظر، المناظرة هي أن تناظر أخاك في أمر إذا تناظرتما فيه معا كيف تأتيانه[1].

ومشتقة كذلك من النظر أو من النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا لصواب[2].

وناظره أي صار نظيرا له...[3].

المناظرة أي المجادلة والحجاج...[4].

ونظر: النون والراء أصل صحيح ترجع فروعه إلى معنى واحد وهوا تأمل الشيء ومعاينته ثم يتسع فيه فيقال نظرة إلى الشيء إذا عاينته.[5]

ب- اصطلاحا:

المناظرة هي النظر إلى الجانبين في مسالة معينة قصد إظهار الصواب ويعرف المناظر بعدة مصطلحات فهو العارض أو المعترض ويجب أن يكون لعرضه أو اعتراضه إثر هادف ومشروع في اعتقادات من يناظره سعا وراء الإقناع والاقتناع برأي صائب [6].

وهي أيضا محاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الأخر فه يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه مع رغبته

---

[1] ابن المنظور، **لسان العرب**، تح، داود سلوم وآخرون، مكتبة بيروت لبنان الناشرون، ط1، 2004، ص832.

[2] على بن مجمد السيد الشريف الجرجاني :التعريفات، تح محمد الصديق المشاوي، دار الفضيلة، القاهرة مصر 817ه/1413م، ص67.

[3] الفيروز آباد، **القاموس المحيط**، تح محمد نعيم العرقسوسي، الرسالة، بيروت لبنان، ط3، 1416ه/1996 ص623.

[4] إبراهيم أنيس، **المعجم الوسيط**، مطابع اوقيست القاهرة مصر، ط3، 1405ه/1985م، ص969.

[5] أبو الحسن احمد بن فارس بن زريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1369ه/1991م، ج5، ص444.

[6] صه عبد الرحمان، **أصول الحوار وتحديد علم الكلام**، ط2، المركز الثقافي العربي المغرب، 2008، ص-ص 46-47.

الصادقة بظهور الحق والاعتراف بيه لدى ظهوره[1] وكما يمكن أن تعرف أيضا على أنها محاورة بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الأخر من اجل الوصول إلى الحقيقة والصواب[2] وتدور على الألسنة عبرات المناظرة والجدل والمكابرة وأحيانا تطلق إحداهما في موضع الأخرى وفي الحق أن بينهما اختلافا واضحا في الاصطلاح.

فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في موضوع الذي اختلفت أنظار المناقشين فيه، والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال أما المكابرة فيكون الغرض منها إلزام الخصم لا الوصول للحق بل اجتياز المجلس والشهرة أو مطلق الحاجة أو غير ذلك من الأغراض [3].

وأما عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ-1406م)[4]جعلها مرادفة للجدل فقال: "وأما الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ".

ويعرفها أيضا على أنها معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره.[5]

---

[1] عبد الرحمان حبنكة الميداني، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، ط4، دار القلم دمشق سوريا 1993، ص-371.

[2] محمد الأمين الشنقيطي، **آداب البحث والمناظرة**، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ص3.

[3] أبي زهرة، **تاريخ الجدل**، ط1، دار الفكر العربي لبنان، 1934، ص6.

[4] **ابن خلدون**، هوا عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن خلدون الحضرمي، الإشبيلي الأصل التونسي المولد، الإمام ولي الدين أبو زيد، قاضي القضاة، العلامة الحافظ المؤرخ قال بن الخطيب: اخذ القرآن عن بدال والعربية عن الزواوي، وبن العربي وتأدب بأبيه، واخذ عن المحدث ابن جابر الوادي آشي، ألف تاريخه المشهور سماه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر)، توجه لبيجاية ثم تونس ثم رحل لمصر، فولاه سلطانها الظاهر برقوق قضاء المالكية، قال ابن حجر: مات قاضياً فجأة يوم الأربعاء، لأربع بقين من رمضان سنة808عن 76 دون أشهر، دفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر. ينظر: نيل **الإبتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، دار الكتاب طرابلس، ليبيا، ط2، سنة2000 ص 250و251.

[5] ابن خلدون، **المقدمة**، (ب ط)، دار الفكر لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1428هـ-2007، ص466.

وعرفها الشيرازي[1] بقوله: والنظر المسمى في عرفهم بالجدل هو القتل للخصم عن مذهبه إلى مذهب بطريقة الحجة ولا يخلوا القتل للخصم عن مذهبه أن يكون بحجة، أو نية أو شغب.[2]

ج – تعريف الجدل:

– لغة:

جدل، الجيم والدال ولام أصل واحد وهو: من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه امتداد الخصومة ومراجعة الكلام.[3]

وجدل مشتقة من جدلت الحبل أي أحكم فتله ومنه الجدل وجدلت البناء أي أحكمه ودرع مجدولة والمجدل القصر محكم البناء[4].

– اصطلاحا:

يعرفها أبو الوليد الباجي: على أنه الكلمة الجامعة، جدل أو حق النظر يمكن إرجاعها إلى أنواع المجادلة الواقعة تحت جنس الجدل هذه الكلمة يعبر عنها، بثلاث كلمات مختلفة

---

[1] **الشيرازي:** هوا إبراهيم بن علي بن يوسف، جمال الدين أبو إسحاق الفيروزي أباد بفارس، في نهاية القرن4هـ وتحديدا في سنة 393هـ نشأ في مسقط رأسه وتلقى فيها العلم على يد أبيه عبد الله محمد بن عمر الشيرازي ثم هاجر منها عندما بلغ 17سنة من عمره سنة410هـ، دخل شيراز ثم انتقل إلى البصرة حيث أخذ منها الفقه عن الخرزي، ثم غادرها إلى بغداد وفيها استقر ونبغ في حياته العلمية، وهوا إمام الشافعية كان زاهدا ورعا متواضعا كريما جوادا مليح المحاورة، وكان من أكبر الخلافين والأصوليين والجداليين في عصره، ولقد جرت بين الشيرازي وبين أقرانه من علماء عصره الكثير من المجادلات والمناظرات وله مؤلفات عديدة منها كتاب المعونة في الجدل، ينظر: لحاجي خليفة، **أسامي الكتب والفنون**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1413هـ/1992م، ص 579، ينظر: **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج18، ص من452 إلى463.

[2] أبو الوفاء على بن عقيل البغدادي، **الجدل على طريقة الفقهاء**، (ب ط) مكتبة الثقافة الدينية، مصر القاهرة، (ب س ن) ص1.

[3] ابن فارس، المصدر السابق، ص 444.

[4] الراغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمد ت 508هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تح مركز الدراسات والبحوث المكتبية، نزار مصطفى الباز، ج1، ص117.

يمكننا أن نطلق كلمة جدل على أحوال الفقه وكلمة الخلفيات لفروع الفقه وعبارة آداب البحث لشروط المناظرة وقواعدها [1].

وعرفها ابن حزم على أنها: اختيار كل واحد من المختلفين بحجة أو ما يقدر أنه حجة وقد يكون كلاهما مبطلا وقد يكون أحدهما محقا والأخر مبطلا إما في لفظة وإما في مراء أو في كليهما ولا سبيل أن يكونا معا محققين في ألفاظهما ومعانيهما [2].

وقال النووي رحمه الله[3]:الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة وتكون بحق وباطل وأصله الخصومة الشديدة وسمى جدلا لأن كل واحد منهما يحكم خصومه بحجة إحكاما بليغا وعلى طاقته تشبيها بجدل الحبل وهو إحكام قفله ويقال جادله بجادله وجدلا [4].

ويعرف على أنه حوار كلامي يتفاهم فيه كل طرف من الفريقين المتجادلين وجهة نظر الفريق الأخر ويعرض فيه كل طرف منها أدلته التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره ثم يأخذ بشعر الحقيقة من خلال الانتقادات التي يوجهها الطرف الأخر على أدلته أو من خلال الأدلة التي يتسول بها بعض النقاط التي كانت غامضة عليه[5].

- ثانيا: آداب المناظرة.

في هذا الجزء جمعنا ما تيسر الوقوف عليه من آداب المناظرة والجدل، والالتزام بهذه الآداب يوفر حالة من الطمأنينة تضمن استمرار المناظرة وتقود للوصول إلى الحق والقبول له.

---

[1] أبو الوليد الباجي، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، ط2، تح، عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،1987، ص7.

[2] أبي محمد على بن سعيد ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الأحكام**، تح، أحمد محمد شاكر، ج1، ص45.

[3] **شرف الدين النووي:** هو يحي بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام بن محمد بن جمعة النووي ولد في 631هـ في نوى حوران بلاد الشام وتوفى في 676هـ.

[4] حمد بن إبراهيم العثمان، **أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة**، ط2، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1425هـ-2004م، ص11.

[5] حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص361.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله: "ومتى أخذ المناظر نفسه بما وصفناه، وتأدب بما ذكرناه، انتفع بجدله وبورك له في نظره إن شاء الله عز وجل."، والآداب التي يجب أن يلتزمها المناظر في مناظرته هي:

أ – إخلاص النية لله تعالى.

يقول أبو الوليد الباجي رحمه الله: "ينبغي للمناظر أن يقدم على جدله تقوى الله عز وجل، ليزكو نظره ويحمد الله عز وجل، ويصلي على رسول الله صل الله عليه وسلم كثيرا، لتكثر بركاته وتعظم فوائده، ثم يسأله المعونة والتوفيق لنفسه على طلب الحق لتوفيقه لإدراكه، ويقصد بنظر طلب الحق والوكالة عليه، ليدرك مقصوده ويحوز أجره، ولا يقصد به المباهاة والمفاخرة، فيذهب مقصوده ويكتسب إثمه ووزره "[1].

فالمناظرة لإقامة الحق عبادة والعبادة لا تقبل إن خلت من الإخلاص، وهو إرادة الله تعالى بها وطلب ثوابه ومرضاته قال المزني[2]:"وحق الناظرة أن يراد بها الله عز وجل "[3].

ومن علامات الإخلاص أن لا يقنع بغفلة خصمه عن دلالة صحيحة لدليل أورده، وقد تبناه هو لها، بل ينبغي أن ينقاد لها، وإن غفلة عنها خصمه [4].

---

[1] أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص 9–10.

[2] **المُزنيّ:** محمد بن الحسن بن عمران المزني الواسيطي الفقيه، قاضي واسط حدث عن: إسماعيل ابن أبي خالد، والعوام بن حوش، وحدث عنه أحمد بن حنبل وزيد بن الحريش، توفي سنة بضع وتسعين ومئة. ينظر: شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج9، تح كامل الخراط وشعيب الأرنووطي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1409هـ/1988م، ص303.

[3] أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي: **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته**، ج2، (ب–ط)، دار الفكر، بيروت لبنان، (ب س ن)، ص132.

[4] عثمان علي حسين، **منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد**، ج2، ط1، دار اشبيلية لنشر والتوزيع، الرياض السعودية، 1420هـ–1999م، ص 744.

ومن إخلاص النية لله تعلى أن لا يعجب بكلامه ويفتتن بجداله فإن الإعجاب ضد الصواب، ومنه تقع العصبية، وهو رأس كل بلية، قال مسروق[1]: بحسب امرئ من العلم أن يخشى الله ويحسبه امرئ من الجهل أن يعجب بعلمه[2].

ب- البدء بذكر الله تعالى.

وجاء في شرح الكوكب المنير "ويبدأ كل منهما أي المتناظرين قبل الشروع في التناظر بحمد الله تعالى والثناء عليه..." وقال ابن عقيل رحمه الله[3]:"ومن آداب الجدل أن يجعل السائل والمسؤول مبدأ كلامهما حمد الله تعالى والثناء عليه..."[4].

وعن أبي هريرة رضي الله[5] عنه عن الرسول صل الله عليه وسلم قال: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع "[6].

---

[1] **مسروق:** هو من التابعين وهو مسروق ابن الأجدع الإمام القدوة الوادعي الهمذاني الكوفي ابن مالك ابن أمية حدث عن عمر وأبي بكر وخلق آخرون، ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص64.

[2] عثمان علي حسين. المرجع السابق، ص745.

[3] **ابن عَقيل:** الإمام المحدث، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عقيل ابن عم النبي صل الله عليه وسلم أبي طالب، الهاشمي، الطالبي المدني، وأمه هي زينب بنت الإمام على بن أبي طالب، حدث عن ابن عمر وجابر بن عبد الله ومالك بن انس وطائفة، وحدث عنه الثوري وزائدة وعدة، احتج به الإمام أحمد وغيره قال الذهبي خبره لا يرتقي إلى درجة الصحة والاحتجاج ومات ابن عقيل بعد الأربعين ومائة ت140هـ، ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج6، ص204و205.

[4] عثمان حسين، المرجع السابق، ص 745.

[5] **أبي هريرة:** الإمام الفقيه الحافظ صاحب رسول الله صل الله عليه وسلم أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبت، أختلف على اسمه على أقوال جمة أرجحها عبد الرحمان ابن صخر، وقيل كان اسمه عبد شمس في الجاهلية، وأمه ميمونة بنت صبيح، حمل عن النبي صل الله عليه وسلم علماً كثيراً حدث عن خلق كثير من الصحابة والتابعين فقيل بلغ عدد أصحابه ألثمان مئة800 ولاه عمر إمارة البحرين وأفتى بها. ينظر **سير أعلام النبلاء**. للذهبي. ج2. ص578إلى590.

[6] شرف الدين النووي، **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، ط2، الدار العالمية لنشر والتجليد، مصر، 1437هـ-2016م، الحديث رقم 1394، ص 415، قال النووي حديث حسن أخرجه أبو داوود وابن ماجه وضعفه الألباني.

ت- التأدب في الجلوس.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله:" يتوقر في جلوسه ولا ينزعج من مكانه فينسب إلى الرِكَّة[1] والخرق، ولا يعبث بيده ولحيته، فإن ذلك يذهب بالوقار...ويقبل على خصمه فإن أحسن في الأدب، ويحسن الاستماع إلى كلامه فإنه ربما بان له في كلامه ما دله على فساده فيكون له عونا على نظره..."[2].

وعلى كل واحد منهما إن يقبل على خصمه الذي يكلمه بوجهه فإن التفت أو أعرض عنه في الاستماع أو الخطاب وعظه، فإن لم يقبل قطع مناظرته معه، لأن ترك الإقبال وحسن الاستماع يشغل قلب المتكلم والمستمع فتنقطع عليه مادة الفهم والخاطر [3].

ث- اجتناب الهوى.

وهو التجرد من حظ النفس، فينبغي للمجادل أن يغلب متابعة الحق على حظ النفس والانتصار لها ولكبريائها، ومن علامات ذلك [4]:

1- عدم التفريق بين أن يكشف الحق على لسانه أو على لسان خصمه.

2- أن يكون البحث في الخلوة أحب إليه أن يكون في الملأ.

ومن الهوى أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه، وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق، وهذا من أقبح القبيح لأن

---

[1] **الركَّة:** بكسر الراء وفتح الكاء: وهي الضعف في كل شيء ويقال: ركِيكُ العلم قليله، ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآباد، **القاموس المحيط**، تح أنس محمد الشامي، (ب ط)، دار الحديث، مصر، 1429هـ-2008م، ص667.

[2] أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص9.

[3] إمام الحرمين الجويني، **الكافية في الجدل**، تح دفوقة حوسين محمد، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه القاهرة 1399هـ-1979م ص534.

[4] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص747.

المناظرة إنما وضعت لبيان الحق وقد قال الشافعي رحمه الله:[1] "ما ناظرت أحدا فأنكر الحجة إلا سقط من عيني، ولا قبلها إلا هبته، وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه حزت إليه"، ومن الهوى أن طلبهم لرياسة بالمناظرة تثير الكامنة في النفس من حب الرياسة فإذا رأى أحدهم في كلامه ضعف يوجب قهر خصمه به خرج إلى المكابرة فإن رأى خصمه قد استطال عليه بلفظٍ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة [2].

وروى أن أبا حنيفة النعمان[3] نهى ابنه حماد عن الكلام فقال:" رايتك وأنت تتكلم، فما بالك تنهاني!، فقال: يا بُني كنا نتكلم وكل واحد منا وكأن الطير على رأسه مخافة أن يزل صاحبه، وأنتم اليوم تتكلمون كل واحدا يريد أن يزل صاحبه، ومن أراد أن يزل صاحبه فكأنه أراد أن يكفر ومن أراد أن يكفر صاحبه، كفر قبل أن يكفر صاحبه "[4].

ج- الرجوع إلى الحق متى تبين.

واجب على كل مسلم أن يرجع إلى الحق، وينقاد له، ويلتزم به، بل هاذ من لوازم الإيمان قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[5]، وقد ذم الله تعالى الذين يجادلون في الحق بعد ما تبين ووضح

---

[1] **الشافعي:** هوا محمد ابن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الإمام، عالم العصر ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرش ثم المطلبي الشافعي المكي، ولد الشافعي بغزة ثم مات أبوه إدريس شاباً، فنشأ الشافعي في مكة وأقبل على العربية والشعر وأخذ العلم في بلده عن: مسلم بن خالدٍ الزنجي مفتي مكة، وسفيان بن عيينة وفضل بن عياض، وعدة، وارتحل وهوا ابن نيفٍ وعشرين سنة إلى المدينة فحمل عن مالك الموطأ، وصنف التصانيف، ودون العلم وصنف في أصول الفقه وفروعه، وقد خاض العديد من المناظرات قال الزعفراني: قال الشافعي: ما ناظرت أحدا إلى على النصيحة وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا على الغلبة، إلى على الحق عندي. ينظر: شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج10، ص 5الى15.

[2] ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، ط1، دار عالم الثقافة لنشر والتوزيع عمان الأردن، 1427هـ-2006م، ص 113.

[3] **أبو حنيفة:** الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي، الكوفي مولى بني تميم الله بن ثعلبة يقال: أنه من أبناء الفرس، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة روى عن شيخه عطاء بن أبي رباح وعن الشعبي وقتادة وخلق سواهم وكان ثقة في الحديث وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال عن أبي حنيفة، رفض القضاء وسجن وعذب وتوفي شهيدا مسقيا في سنة150هـ، وله70سنة، ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج6، ص من390إلى403.

[4] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص 750.

[5] قرآن كريم، سورة النساء، الآية: 65.

قال الله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[1]،قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي رحمه (ت463هـ/1072م)[2]:" فينبغي لمن لزمته الحجة وصحة له الدلالة أن ينقاد لها ويصير إلى موجباتها، لأن المقصود من النظر والجد طلب الحق وإتباع تكاليف الشرع [3]، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[4].

وقال ابن الجوزي(ت597هـ/1201م)[5]: "أن المجادلة إنما وضعة ليتبين الصواب وقد كان مقصود السلف المناصحة لإظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أطلٍ بعلةٍ ليظنها، فقيل له: ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة، فقال: هذا الذي يظهر لي فإن ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فإن المعترض لا يلزمني ذكر ذلك وقد صدق في أنه لا يلزمه ولكن فيها ابتدع من الجدل، بل في باب النصح وإظهار الحق يلزمه، ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع ولا يرجع ويضيق صدره من القبح لأن المناظرة وضعت لبيان الحق".[6]

ومن أمثلة هذا الأدب من حياة سلفنا الصالح أكثر من شخص، وهي معروف مشهورة.

---

[1] قرآن كريم، سورة الأنفال، الآية 6

[2] **الخطيب البغدادي:** هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، ولد سنة 392هـ، طلب العلم وهوا ابن 10 سنين، فرحل إلى بقاع شتى فسمع خلالها خلق كثير من المحدثين، أخذ المذهب الشافعي على يد أبي الطيب الطبري، والشيراوي، وحدث عنه الباجي، كان طويل الباعي في التأليف، صنف ما يقارب ال100 مصنف، من أشهرها تاريخ بغداد، الفقيه والمتفقه والكفاية في علم الرواية، توفي سنة 463هـ، ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، ص270، وينظر: الأبنوسي، ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح إحسان عباس، ج1، ط1، دار صادر، بيروت لبنان،1414هـ/1993م، ص92.

[3] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص 751.

[4] قرآن كريم، سورة الزمر، الآية: 18.

[5] **ابن الجوزي:** الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، مفخرة العراق، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن على، نسبه يتصل بأبي بكر صاحب رسول الله، ولد سنة510هـ طلب العلم في سن16، توفي أبوه وله ثلاث أعوام، ربته عمته، له تصنيف عديدة في مختلف الفنون، قال الوفق بن عبد اللطيف: كان بن الجوزي لطيفة الصورة، حلو الشمائل، يحظر مجلسه حوالي مئة ألف، كان في تفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كاف، توفي سنة597هـ.ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ج21، ص363الى377.

[6] ابن الجوزي، المصدر السابق، ص116و117.

ح- التحلي بالحلم والصبر.

إن المجادلة مظنة المشاحنة، وتحريك النفوس بالبغضاء، فتتفلت الألفاظ بالأذى[1]، **قال الله تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم (ليس شديد بصرع، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب).[3]

وعن معاذ ابن أنس[4] رضي الله عنه أن النبي صل الله عليه وسلم قال: (من كضم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء) الحديث رواه أبو داود والترمذي [5].

وعن ابن عباس[6] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم لأشج عبد القيس (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة[7])[8].

ومن الحلم أنه إذا أخطأ أحدهما وأراد الإقالة، فعلى خصمه أن يقبله، لأن المرء ليس قوله جزاء منه، لكنه واجب عليه ترك الخطأ إذا عرف أنه خطأ فالمانع من الإقالة ظالم

---

[1] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص752.

[2] قرآن كريم، سورة البقرة، الآية، 83.

[3] شرف الدين النووي، المصدر السابق، ص39، الحديث رقم 45، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم.

[4] **معاذ بن انس:** هوا صحابي رسول الله صل الله عليه وسلم، معاذ بن انس الجهني، الأنصاري، من أهل مصر، وهوا والد والد سهل بن معاذ، روى عن النبي صل الله عليه وسلم أحاديث، وله رواية عن أبي الدرداء وكعب لأحباري، روي عنه ابنه سهل، ينظر: لأبن عبد البر، **الاستيعاب في أسماء الأصحاب،** ج2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1428ه/2006م، ص234، وينظر: لابن حجر العسقلاني، **الإصابة،** ج6 ص.107

[5] شرف الدين النووي، المصدر السابق، ص40، الحديث رقم 47، الحديث حسن أخرجه أبو داود.

[6] **ابن عباس:** هوا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، ابن عم الرسول صل الله عيه وسلم، أمه أم الفضل لبابه بنت الحارث الهلالية، ولد قبل الهجرة ب3 سنوات، دعا له الرسول بالحكمة، لقب بحبر العرب، كان مفسرا عالما حافظا للحديث، مات بالطائف سنة68ه ينظر: لابن حجر العسقلاني **الإصابة في تميز الصحابة،** ج4، تح عادل احمد عبد الموجد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1415ه-1995م، ص121-131.

[7] **الأناة:** يقال بلغ هذا أناه أي غايته، أو نضجه وإدراكه، والأَنَاة الحلم والوقار، ينظر: فيروز آباد، المرجع السابق، ص80. ص80.

[8] شرف الدين النووي، المصدر السابق، ص231، الحديث رقم631، الحديث رواه مسلم.

مشغب جاهل، ومن الحلم أيضا أنه إذا بدرت من خصمه في جداله كلمة كرهها لغض عليها ولم يقابلها بمثله[1]، فإن الله تعالى يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ﴾[2].

خ- التريث.

وهو أن يمهل المناظر خصمه، ويفسح له حتى يتم كلامه، ويبين حجته، ويورد أدلته ويكون صبورا على خصمه مصغيا له ومركزا على ما يقوله ولا يكون عجولا مستعجلا فيفوته قول خصمه فيجب أن يفسح له حتى يتم كلامه ولا يقطع عليه شيء من ذلك [3].

فإذا وقع له في أول كلام خصمه، فلا يعجل بالحكم به، فربما كان في أخره ما يبين أن الغرض بخلاف الواقع له، فينبغي له أن يتريث إلى أن ينقضي الكلام، وبهذا أدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في قول تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4]، فلا يعجل إلى جواب ولا يهجم على سؤال، ويحفظ لسانه من إطلاقه بها لا يعلم، ومن مناظرته فيما لا يفهمه، فربما أخرجه ذلك إلى الخجل ولانقطاع، فكان فيه نقص وسقوط منزلته عند من كان ينظر إليه بعين العلم والفضل، ويجدره بالمعرفة والعقل، والعرب تقول: غبي صامت خير من غبي ناطق[5].

د- التزام الصدق.

فلا تحمله شدة المقام والرغبة في الغلبة، والظهور على خصمه على الكذب، فإن الكذب مذموم في كل حال، إلا ما استثناه الشرع كما في الحرب والإصلاح بين الناس، فإذا كان الكذب مطبة لضياع الحق، ونصرة الباطل فهو أشد لأن فساده يتعدى إلى أديان الناس وعقائدهم ولهذا إذا سئل المناظر عن شيء لا يعلمه، فليقل: لا أعلم وليتأدب بالهدى القرآني حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[6].

---

[1] عثمان على حسن، المرجع السابق، ص 753.

[2] قرآن كريم، سورة المؤمنين، الآية، 96.

[3] الشيخ الأمين الشنقيطي، **آداب البحث والمناظرة**، ج2، ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (ب س ن)، ص91.

[4] سور طه، الآية: 114.

[5] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص745.

[6] قرآن كريم، سورة الإسراء، الآية: 36.

وليكن له في رسول الله أسوة حسنة فكم من مرة يسأل فيها صلى الله عليه وسلم عن شيء لا يعرفه فلا يتقدم بالجواب حتى يأتيه الوحي من ربه وقال أبو الوليد الباجي رحمه الله "ولا يتكلم على ما لم يقع له العلم به من جهته..."[1].

ذ- الترفق بالخصم.

وذلك بمساعدته على الوصول إلى الحق، وذلك بتجنب ما ينفره ويصده عن قبول الحق متى ما تبين له، يقول سيد قطب رحمه الله (ت1487هـ-1966م)[2] عند تفسير قوله **تعالى:** ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[3]، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالفة، ولا ترذيل[4] ولا تقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبريائها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها وهي عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن قيمتها واحترامها وكيانها والجدل بالحسنة هو الذي يضامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته، ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الأخر [5].

---

[1] أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص10.

[2] **سيد قطب:** سيد بن قطب بن إبراهيم، ولد سنة1324هـ/1906م، مفكر إسلامي مصري، ولد في أسيوط بمصر، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة عمل في جريدة الأهرام، وعين مدرسا للعربية، وعين في وظائف حكومية كبيرة، ثم انضم لجماعة الإخوان المسلمين، وترأس قسم نشر الدعوة، ثم سجن وأعدم في سجنه، سنة 1966م، له الكثير من المؤلفات منها: في ضلال القرآن، أشواك، الإسلام ومشكلات الحضارة.. الخ ينظر: خير الدين الزِرِكلِي، الأعلام قاموس تراجم، ج3، ط15، دار العلم للملين، لبنان، 2006م، ص147-148.

[3] قرآن كريم، سورة النحل، الآية: 125.

[4] **ترذيل:** وهي تصغير، ومنها تذائل تصاغر، ينظر: الفيروز آباد، المرجع السابق، ص584.

[5] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص757.

ر- حسن الاستماع لكلام الخصم.

ينبغي أن يكون كل واحد من المناظرين مقبلا على صاحبه بوجهه في حال مناظرته، مستمعا كلامه إلى أن ينهيه، فإن ذلك طريق معرفته، والوقوف على حقيقة، وربما كان كيان في كلامه ما يدله على فساده وينبهه على عواره[1]، فيكون ذلك معونة له على جوابه.

قال إبراهيم بن الجنيد[2]: قال حكيم من الحكماء لابنه: "يا بني تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام، فإن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يفضي إليك بحديثه، والإقبال بالوجه، والنظر، وترك المشاركة في حديث أنت تعرفه "[3].

ز- الإنصاف.

فمن آداب الجدل والمناظرة إنصاف الخصم، وممارسة العدل معه والآيات القرآنية التي تأمر بذلك، أو تشير إليه كثيرة، منها قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]، قال الحافظ ابن كثير(701-774هـ)[5]: عند تفسير هذه الآية " أي لا يحملكم ببغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقا كان أو عدوا ".

منها قوله تعالى:﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (49) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ

---

[1] **عواره:** مثله العيبُ والخَرَقُ، والشقُ في الثوب، ينظر: الفيروز آباد، ص1160.

[2] **إبراهيم بن الجنيد:** الشيخ الإمام الحافظ، أبو إسحاق، إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، الختلي، ثم السرمرائي، سمع أبا نعيم، وسعيد بن أبي مريم، وسليمان بن حرب، وله جموع وتواليف ورحلة واسعة، وثقه الخطيب، وقال: له كتب في الزهد والرقائق، حدث عنه: أبو العباس بن مسروق، ومحمد بن القاسم الكوكبي، بقي إلى قرب سنة سبعين ومائتين، ينظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج12، ص631.

[3] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص758.

[4] قرآن كريم، سورة المائدة، الآية: 8.

[5] **ابن كثير:** هوا الإمام شيخ المحدثين المفسر عماد الدين أبو الفيداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ولد بدمشق، في في سنة701هـ، حفظ القرآن وختمه سنة711هـ وبرع في التفسير والحديث، كان كثير الاستذكار، وله مؤلفات عديدة أثرى بها= =المكتبة الإسلامية، منها تاريخه الكبير المسمى بالبداية والنهاية وتفسير للقرآن، وفصائل القرآن، إحكام التنبيه، والكثير من المؤلفات، فقد بصره وهوا يألف في كتاب الجامع المسند، توفي سنة 774هـ في دمشق، ينظر: لابن كثير، **البداية والنهاية**، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج1، ط1، هجر للطباعة والنشر، مصر1418هـ/1998م، ص 13 إلى 34.

الظَّالِمِينَ(50)﴾[1] قال أبو محمد بن الحزم رحمه الله: ولم يأمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يقول ذلك شكا في صدق ما يدعو إليه، ولكن قطعا لحجتهم، وحسما لدعواهم، وإلزاماً لهم مثل ما التزم لهم من رجوعه إلى الأهدى، وإتباعه الأمر الأصوب وإعلاما لنا أن من لم يأت بحجة على قوله يصير بها أهدى من قول خصمه، ويبين أن الذي يأتي به هو من عند الله عز وجل، فليس صادقا، وإنما هو متبع لهواه... " إلى أن قال رحمه الله: "ووجدناه (تعالى) قد علمنا في هذه الآيات وجوه الإنصاف الذي هو غاية العدل في المناظرة " وهو أنه من أتى بسيرها ظاهر وجب الإنصاف إلى قوله ".[2]

وذكر أبو محمد ابن حزم رحمه الله قصة وقعت له فقال: " إني ناظرت رجلا من أصحابنا في مسألة فعلوته فيها لبكوء[3] كان في لسانه، وأنقض المجلس على أني ظاهر، فلما أتيت منزلي حاك[4] في نفسي منها شيء فتطلبتها في بعض الكتب، فوجدت برهانا صحيحا يبين بطلان قولي وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن شهد ذلك المجلس فعرفته بذلك، ثم إني قد علمت على المكان من الكتاب فقال لي ما تريد قلت: حمل هذا الكتاب وعرضه على فلان وإعلامه بأنه المحق وإني كنت المبطل وإني راجع إلى قوله..."[5].

قوله..."[5].

س – إصلاح المنطق وتهذيبه.

وذلك بأن يكون كلامه يسيرا جامعا بليغا، ففيه التحفظ من الزلل مع الإقلال دون الإكثار، مع ما قد يكون في الإكثار من خفاء الفائدة، وضياع المقصود، ثم إنه يورث الحاضرين الملل، فلا يطول الكلام بينهما بما لا فائدة فيه، وأن يفضيا إلى الاختصار الذي لا يقتصر عن البيان الموجب، ومن إصلاح المنطق تجنب اللحن في كلامه، والإفصاح عن بيانه فإن ذلك عون له في مناظرته، ألا ترى إلى استعانة موسى كليم الله بأخيه هارون عليه

---

[1] قرآن كريم، سورة القصص، الآية: 49-50.

[2] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص759.

[3] **البكوء:** الانقطاع، وقلة الكلام خلقةً، ينظر: لسان العرب، 1/34-35، مادة بكأ.

[4] **حَاكَ:** ما اختلج في الصدر، ويقال: حَكَ في صدري، وأَحَكَ واحْتَكَ: بمعنى عَمَلَ، وما أحكأ في صدري: ما تخالج، ينظر: الفيروز آباد، المصدر الساق، ص387.

[5] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص761.

السلام حيث قال[1]: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[2].

ومن إصلاح المنطق ألا يستدل إلا بدليل قد وقف عليه، وخبره وامتحنه قبل ذلك، وعرف صحته وسلامته: لأنه ربما يستدل بما لم يمعن في تأمله ولا تصحيحه، فيظفر به خصمه ويتبين انقطاعه[3].

ويحكى أن رجلا من بني هاشم اسمه عبد الصمد تكلم عند المأمون فرفع صوته فقال له المأمون (ت218هـ):[4] "لا ترفع صوتك يا عبد الصمد إن الصواب في الأسدِّ لا الأَشدِّ"[5].

وقيل لشافعي: من أقدر الناس على المناظرة؟ فقال: "من عود لسانه الركض في ميدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رمقته العيون بالألحاظ[6]" [7].

ش- تجنب المُمَاراة.

المُمَاراة هي نوع من الجدال وهو مذموم فالممار لا يطلب الحق بل المغالبة ومعارضة الخصم وكسره، وهذا ليس من شيم أهل الحق ومن صور ذلك: أن كل واحد من الخصمين الممارين لا يريد الرجوع عن مذهبه واعتقاده، بل يريد أن يخطأ صاحبه، ويظهر عليه[8].

---

[1] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص763.

[2] قرآن كريم، سورة القصص، الآية: 34.

[3] أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص10.

[4] **المؤمون:** هو عبد الله أبو العباس، ابن الخليفة هارون الرشيد، ولد سنة 170هـ، سمع الحديث من أبيه، هيثم، وعادة بن العوّام، وغيرهم، أدبه اليزيدي، برع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عني بالفلسفة ومهر فيها، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وكان أفضل بني العباس عزما، وحزما، وعلماً، ورأيا، ودهائا، توفي سنة218هـ، ينظر: جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1418هـ/1998م، ص218-222.

[5] أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص9.

[6] **الألحاظ:** من لحظه لحْظاً، ولحظانا نظر بمؤخرِ عينيه، والملاحظة مفاعلة، والتلحيظُ الظيقُ والإلتصاصُ، ينظر: الفيروز الفيروز آباد، ص1462.

[7] عثمان على حسن، المرجع السابق، ص764.

[8] مرجع نفسه، ص766.

ص- المناظرة المقيدة إنما تكون بين النظراء في العلم

قالوا لا تصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكون متقاربين أو متساويين في مرتبة واحدة من الدين والفهم والعقل والإنصاف وإلا فهو مراء ومكابر، ومن فوائد ذلك تدريب الملكة[1] في النظر والمناظرة: قال عمر ابن عبد العزيز(ت101هـ)[2]: رأيت ملاحاة الرجال تلقيحا لألبابهم، يريد بالملاحاة هنا المفاوضة والمراجعة على وجه التعليم والتفهم والمدارسة [3].

وقال الجويني رحمه الله (ت478هـ)[4]:"وعليك بالمحافظة على قدرك وقدر خصمك، وإنزال كل أحد في وجه كلامك معه بدرجته ومنزلته، فتميز بين النظير وبين المسترشد، وبين الأستاذ ومن يصلح لك، ولا تناظر النظير مناظرة المبتدئ والمسترشد، بل تناظر كلا على حقه وتحفظ كلاً على رتبته"[5].

---

[1] **المَلَكَة:** مَلَكَهُ، يَملِكُهُ، ومَلَكَة، احتواء، والمَلَكَةُ: هي صفة راسخة في النفس، وتحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ويقال: تلك الهيئة كيفية إنسانية، وتسمى حالة مدامة سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها صارت ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل، عادة وخُلُقاَ، ينظر: الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح محمد صديق النشاوي، (ب ط)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 2004، ص28.

[2] **عمر ابن عبد العزيز:** ولد سنة61هـ، كان مولده بالمدينة المنورة، ووالدته هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي اله عنه، ترعرع عمر في بيوت الخلافة الأموية، ذهب والده عبد العزيز بن مروان واليا على مصر سنة65هـ، وكان عمر في المدينة، يطلب العلم وهوا في الصِباَ وتوفي أبوه، فاستدعاه عمه عبد الملك ابن مروان إلى جانبه، في عاصمة الخلافة الأموية بشام، وزوجه من ابنته فاطمة، وتولى عمر الخلافة بعد موت الخليفة عبد الله سليمان بن عبد الملك، وتوفي عمر بن عبد العزيز في سنة101هـ، بعد أن أصابه المرض، ينظر: محمود شلبي، **حياة عمر ابن عبد العزيز**، ط3، دار الجيل، بيروت لبنان، 1409هـ/1989م، ص13-67.

[3] عثمان على حسن، المرجع السابق، ص767.

[4] **الجويني:** الإمام الأكبر شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي، عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسبوري، ضياء الدين الشافعي، صاحب التصنيف، ولد في 419هـ/1028م، سمع العلم عن أبيه ثم عن أبي القاسم الإسكافي وغيره من علماء عصره، طاف البلدان الإسلامية لنشر العلم، توفي سنة478هـ، ترك الكثير من المؤلفات القيمة منها: البرهان في أصول الفقه، والكافية في علم الجدل، وغيرها من المؤلفات، ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، ص468، ينظر: **طبقات الشافعية**، ج2، ص255.

[5] إمام الحرمين الجويني، المصدر السابق، ص531.

ض- اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

المفترض في كل المتناظرين أنهما طالبا حق، لكن قد يخفي الحق عليهما أو على أحدهما، والخفاء قد يكون سببه خفاء الدليل أو الدلالة فيختلفان فتقع بينهما المناظرة وقد تنكشف ولا يتفقان على قول واحد، لكنهما مستصحبان للنية لأولى وهي طلب الحق، فهذا الاختلاف لا يقطع حبل المودة بينهما، ولا يعكر على القلوب صفائها فضلاً عن التنابذ والتدابر ونحو ذلك ولقد ضرب لنا سلفنا الصالح أمثلة شامخة في هذا الباب، ومن ذلك ما قاله يونس الصدفي (ت264هـ)[1] قال: "ما رأيت أعقل من الشافعي؛ ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا فلقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانا، وإن لم نتفق في مسألة ؟!" [2].

ط- تجنب الإساءة إلى الخصم.

وذلك بترك مقاطعته، وصياح في وجهه، والحدة عليه ودفعه للضجر، والإخراج له عما هوا عليه، واستصغاره واحتقاره، والتشغيب[3] عليه ونحو ذلك مما يسيء إلى خصمه [4].

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله:" لا يداخله في نوبته، ويصبر له حتى يفرغ من كلامه فإن المداخلة تذهب بالفائدة، وتدعو إلى الوحشية، ويجتنب إظهار العجب من كلام خصمه وتشنيع[5] عليه في جداله، فإن ذلك يفعله الضعفاء ومن لا إنصاف عنده "[6].

---

[1] **يونس الصدفي:** ابن ميسرة بن حفص بن حيان، الإمام، شيخ الإسلام، أبو موسى، الصدفي، المصري المقرئ الحافظ، وأمه فليحة بنت أبان التجيبية، ولد سنة سبعين ومائة في ذي الحجة، وقرأ القرآن على ورش صاحب نافع، وكان من كبار العلماء في زمانه، وكان كبير المعدلين والعلماء في زمانه بمصر، عاش أربعا وتسعين سنة، توفي غداة يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين، ينظر: الذهبي، **سير أعام النبلاء**، ج12، ص348-351.

[2] عثمان على حسن، المرجع السابق، ص769.

[3] **التشغِيب:** الشغْبُ تهْيِجُ الشَّرِ، كالتشغيبِ، قال الزهْرى: شَغَبَهُمْ هَيَّجَ الشَّرَ عليهِمْ، وهوا شَغِبٌ ومِشْغَبٌ، ينظر: الفيروز آباد، المرجع السابق ص870.

[4] عثمان على حسن، المرجع السابق، ص769.

[5] **تشنيع:** منها الشناعة بمعنى الفضاعة، والشُنوع القبحُ، ويقال: أشْنَعتَ الناقة أي أسرعت، والتشنيع تكثير الشناعة والتشميرُ والإنكِماشُ، وتَشَنَعَ تهيأ للقتال، ينظر: الفيروز آباد، المرجع السابق، ص893.

[6] أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص10.

وفي استصغار الخصم مفسدتان: إحداهما: الإساءة إليه والثانية اغترار المناظر له وعدم تحرزه فيكون ذلك سبباً في ظهور خصمه عليه، ويقول أبو محمد ابن حزم رحمه الله: "ولا تحقر أحداً حتى تعرف ما عنده، فربما فجاءك منه ما لم تحتسب، وليس ذلك إلا من فعل أهل النُّوكَّ[1] الذين لا يحصّلون"[2].

ظ- تجاهل ما يُذهل العقل ويُشَوّش الفكر.

من ذلك تجنب مجالس الخوف أو التي لا إنصاف فيها، أو أن يكون المناظر في حالة جوع أو عطش ونحو ذلك، مما يذهب العقل ويشغل الخاطر، قال ابن عقيل: "احذر الكلام في مجالس الخوف؛ فإن الخوف يذهب العقل الذي منه يستمد المناظر حجته، ويستقى منه الرأي في دفع شبهات الخصم، وإنما يذهله ويشغله بطلبه حراسة نفسه؛ التي هي أهم من مذهبه، فاجتنب مكالمة من تخاف، فأنها مميتة للخواطر، مانعة من التثبيت، وحذر مكالمة من اشتد بغضك إياه، فأنها داعية للضجر والغضب مُضيقة للصدر، ومضعفة لقوى العقل وحذر المحافل التي لا إنصاف فيها في التسوية بينك وبين خصمك في الإقبال والاستماع ولا أدب لهم يمنعهم من الشرع إلى الحكم عليك ومن إظهار العصبية لخصمك"[3].

وإن الجوع والعطش حين يحلان على الشخص يذهبان تركيزه وعقله، قال أبو الوليد الباجي رحمه الله: "ولا يناظر في حال الجوع والعطش، ولا في حال الخوف والغضب ولا في حال يتغير فيها عن طبعه، ولا يتكلم في مجلس تأخذه فيه هيبة لأن ذلك يشغل الخاطر ويقطع المادة..."[4].

---

[1] **النُّوك:** بالضم والفتح، الحُمق، ينظر: **القاموس المحيط**، ص1234.

[2] الإمام ابن حزم الأندلسي: **التقريب لحد المنطق**، (ب-ط)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (ب-س)، ص179.

[3] عثمان على الحسن، المرجع السابق، ص771.

[4] أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص10.

ع- تجنب الحيل في المناظرة.

استعمال الحيل لأجل قطع الخصم محظور، يجب اجتنابه، فهو من دأب أهل الفسوق في المناظرة، ومن عمل من قصده بالمناظرة المماراة، وهو مجانب لطريق أهل الديانة والنصيحة، بعيدا عن سلوك سبيل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن عرف من خصمه الاعتماد على الحيل، قطع مكالمته إلا إذا لم يكن له بد من مناظرته فعندئذ عليه بالحذر والاحتراز عن السقوط من حيث لا يعلم، ومن الحيل في المناظرة أن يحتال الخصم على مناظره بتعمق في العبارات حتى لا يفهم عنه[1].

غ- نصب الحاكم بين المتخاصمين.

قد يحتاج المتناظران إلى نصب حاكم متفق عليه بينهما يقطع الشجار، غير متهم بشيء من الجهل والهوى والاستكبار مع أنه قد يقوم الوُدُّ والعدل والتناصف والعقل إذا صفت موارده عن الأكدار[2]، وأشرب الخصمان حب هذه الأوصاف مقام الحاكم العادل الجامع الكامل، وقد كان الولاة والأمراء يحكمون بين المتناظرين ويحفظون عليهم كلامهم ويرجحون ما تسنده الحجة والبرهان، ويمتعون تشغيب العاجزين عن إقامة الدليل [3].

ومن آداب المناظرة أيضا:

ف- **استعمال الأمثال والحكم في المناظرة:** وقد يضطر المناظر إلى ضرب الأمثال وسوق الكلام إذا رأى من خصمه عناداً...فإذا أورد المناظر شيءً من الأمثال والحكم ربما كان أنفع في قطعه أو تهذيبه وللمناظر أن لا يقابل خصمه بشيء من ذلك، بل يختار السكوت والإعراض عن مناظرته، فكل ذلك خير إن شاء الله تعالى[4].

ومن آداب المناظرة أن هناك أصناف ينبغي تجنب مناظرتهم وهم:

---

[1] عثمان على حسن، المرجع السابق، ص774.

[2] **الأكدار**: من فعل كَدَرَ كَدَارَةً وكَداراً وكُدُورًا وكُدْرة وإكدَرَّ اكدرارًا، وتكدر نقيضُ الصفا، والكدرةُ من الحوضِ طينه، أو ما علاه من طحلب وغيره، ينظر: الفيروز آباد المرجع السابق ص1400.

[3] عثمان على حسن، المرجع السابق، ص775.

[4] عثمان على الحسين، المرجع السابق، ص776.

- جاهل لا يقر بجهله.
- مسفسط[1] متعنت.
- معتل لا يحب النصفة.
- من عادته التسفه[2] في الكلام.

ولا يناظر بحضرة من يشهد لخصمه بزور، أو عند من إذا وضحت لديه الحجة دفنها، ولم يتمكن من إقامتها، فإنه لا يقدر على نصرة الحق إلا مع الإنصاف وترك العنت[3] والإجحاف فإذا بان للمناظر من خصمه شيء من ذلك تلهاه عنه بلطف ورفق فإن التلطف أنفع، ورفق أنجع، فإن لم ينته عن ذلك أعرض عن كلامه ولم يقابله في أفعاله [4]وقال تعالى في وصف عباد الرحمان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[5].

[1] **مسفسط:** من السفسطة وهي قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ينظر الشريف الجرجاني المرجع السابق ص102.

[2] **التسفه:** السَّفَهُ خِفَةُ الحِلْمِ، أو نقيضهُ أو الجهلُ، وسفه نفسه ورأيه، حمله على السَّفهِ، وسَفِهَ جَهِلَ، ينظر: الفيروز آباد المرجع السابق، ص780.

[3] **العنت:** الفساد، والإثم والهلاك، ودخول المشقة على الإنسان، أعنه غيره، ولقاء الشّد والإنكسار، وكتساب المأثم، وعنَهُ تَعْنِيتاً: شَدَّدَ عليه وألزمه ما يصعب عليه أداؤه، ينظر: الفيروز آباد، المرجع السابق، ص1147.

[4] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص 778.

[5] قرآن كريم، سورة الفرقان، الآية: 63.

وقال طاشكبري زاده (ت698هـ)[1] في منظومته عن آداب المناظرة:

وليجتنب فيها عن الإطناب[2] ثم عن الإيجاز والخـــطاب.
إلى رفـــيع القدر والمهابة وعن كلام شـــابه الغرابة.
ومجمل من غير أن يفصـــلا كذا تعرّض لما لا مدخـــلا.
كذاك عن دخـــل قبيل الفهم لا باس من إعادة للفهم.
ولا يظن خصمه حقـــيرا وليلزم التعظيم والتوقـــيرا.
ثم عن الضحـك وما قد ذُكرا وما عنيـــناه ومنا صدرا.
إيراده قد صـــح في ذا الباب فهذا خواتـــيم الآداب.

إلى هنا انتهى ما استطعنا الوصول إليه من آداب المناظرة وارتأينا أن نختم هذا الجزء بجزء من منظومة القحطاني[3] التي حوت الكثير من آداب المناظرة قال القحطاني:

لا تُفن عمرك في الجدال مخاصماً إن الجدال يُخـلُّ بالأديان.
واحذ مجادلـة الرجـال فأنها تدعـو إلى الشحناء والشنآن[4]
وإذا اضطررت إلى الجدال ولم تجد لك مهرباً وتلاقتِ الصَّفَّان.
فجعل كتاب الله دِرْعاً سابغاً والشرعَ سيفك وابدُ في الميدان.

---

[1] **طاشكبري زاده:** هوا الإمام العلامة عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الحنفي، وطاشكبري قرية تقع في شمال وسط تركيا، وزاده فارسي يعني ابن، ولد في رابع عشر من شهر ربيع الأول سنة901هـ، في مدينة بروسة التركية، وهوا من عائلة شهيرة بالعلم، تلقى العلم ودرس على يد أبيه المولى مصلح الدين مصطفى، وعمه قوام الدين قاسم، وخاله، فقرأ عليهم في فنون كثيرة، كالحديث والتفسير والنحو والصرف والبلاغة والمنطق والأصول والفقه وغيرها من الفنون، وكان زاهدا في الدنيا، صارفا جميع أوقاته في العبادة وطلب العلم، وله مؤلفات عديدة منها: شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، الاستقصاء في مباحث الاستثناء، الجامع في المنطق، رسالة في علم آداب البحث والمناظرة ينظر طاشكبري زاده، **رسالة الأدب في علم آداب البحث والمناظرة**، تح حايف النبهان، ط1، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت 2012/1433، ص10-15.

[2] **الإطناب:** أداءُ المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، وقيل الإطناب أن يكون اللفظُ زائداً على أصل المراد، ينظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص2004.

[3] عثمان علي حسين، مرجع سابق، ص 780.

[4] **الشآن:** شَنَأهُ كمنعه وسَمِعَهُ، شنأٌ وشنأةٌ، ومشنأةُ ومشنأ ومشنؤة، وشَنَأناً: أبغضه، والمشْنوءُ المُبغضُ، ينظر: الشريف الجرجاني المصدر السابق ص889.

والسنة البيضاء دونك جُنَّةً واركب جواد العزم في الجولان[1]
واثبت بصبرك تحت ألوية الهُدى فاصبر أوثق عُدَّةِ الإنسان.
واطعن برمح الحقِّ كل معاند الله درُّ الفارس الطعان.
واحمل بسيف الصدق حملة مخلص متجرد الله غير جبان.
واحذر بجهدك مكر خصمك إنه كالثعلب البرِّيِّ في الرَّوغان
أصل الجدال من السؤال وفرعُهُ حسنُ الجواب بأحسن التبيان.
لا تلتفت عند السؤال ولا تُعِد لفظ السؤال كلاهما عيبان.
وإذا غلبت الخصم لا تهزأ به فالعُجب يُخمد جمرة الإحسان.
فلربما انهزم المحارب عامداً ثم انثنى قسطاً على الفرسان.
واسكت إذا وقع الخصوم وقعقعوا فلربما ألقوْك في بحران.
ولربما ضحك الخصوم لدهشة فاثبت ولا تتنكل عن البرهان.
فإذا أطالوا في الكلام فقل لهم إن البلاغة لجمت ببيان.
لا تغضبن إذا سئلت ولا تصح فكلاهما خُلُقان مذمومان.
واحذر مناظرة بمجلس خِيفةٍ حتى تبدل خيفة بأمان.
ناظر أديباً منصفاً لك عاقلاً وأنصفه أنت بحسْب ما تريان.
ويكون بينكما حكيم حاكماً عدلاً إذا جئتاه تحتكمان.

[1] **الجولان:** يقال جال في الحربِ جولة، وفي الطوافِ جولاً، والجَولاَنْ جبل بالشام، وجَوْلانٌ وجَيْلانٌ: كثير التُراب والغُبار ينظر: الفيروز آباد، المصدر السابق، ص312.

- ثالثا: أركان المناظرة.

إن الركن الشيء يستعمل تارة في جزئه الداخل في حقيقته كركوع والسجود من الصلاة وتارة يستعمل فيما يُوقف تحقيق ذلك الشيء عليه وهو أعم من الأول.

فأركان المناظرة بالاعتبار الأول هي السؤال والجواب والاستدلال والاعتراضات ووجه التخلص منها.

وأركانها بالاعتبار الثاني الدال والدليل والمستدِلّ والمستدَلُّ عليه والمستدَل له.

فالدليل يطلق على كل من ذكر دليلاً ليدل به على أمرٍ، والدليل هو المعنى المرشد للمطلوب والمستدلُ هو ذاكر الدليل يطلب به الوصول إلى مطلوبة، والمستدل عليه بفتح الدال –هوا الحكم المطلوب بالدليل والمستدل له –بفتحها أيضا – يصلح إطلاقه على السائل المعترض ويصح إطلاقه على علّة الاستدلال التي هي مبدأه كالمنازعة في أصح الرأيين فيقطع الانتزاع بالاستدلال أو إظهار الحق [1].

ما سبق هو تفصيل أركان المناظرة بالاعتبار الثاني أما الآن فسنفصل في أركانها بالاعتبار الأول وهي السؤال والجواب والاستدلال والاعتراض.

فالركن الأول في السؤال وفيه فصول الأول في أدوات السؤال وهي عشرة منها الهمزة و(هل) و(ما) و(من) و(أين) و(متى) و(أيان) و(كيف) و(كم) و(أيّ)[2].

والفصل الثاني من الركن الأول وهو أقسام السؤال وهي أربعة السؤال عن الحكم وعن الدليل وعن وجه دلالته وعن وجه صحته.

والفصل الثالث في بيان صحيح السؤال من فساده.

[1] نجم الدين الطوفي، الحنبلي، المصدر السابق، ص 35.

[2] المصدر نفسه، ص 36.

والفصل الرابع فيما يلزم السائل ومعنى ذلك أنه إن كان مقدداً لزمه الانتماء إلى مذهب من قلده وإن كان مجتهداً لم يلزمه[1].

الركن الثاني: في الجواب وفيه فصول الأول في أقسام الجواب وهي تتبع أقسام السؤال لأنه بناء عليه، والفصل الثاني في بيان صحيح الجواب من فساده وفساده إما لفساد السؤال لأنه تابع له فيفسد بفساده أو لخلل خاص به مثل أن يعرض عن محل السؤل إلى غيره كما إذا قيل: هل يقطع النباش؟ فقال: يقطع الطرَّاز.

والفصل الثالث في هل يلزم المجيب تعميم الجواب أو لا إذا كان السؤل عاماً؟[2].

الركن الثالث الاستدلال والمراد به هاهنا إثبات الحكم المدعي بدليله أو يقال: طلب المستدلّ إثبات الحكم بدليله.

الركن الرابع في الاعتراضات وهي جمع اعتراض وهو مقابلة السائل دليل المستدلّ بما يمنع من حصول المقصود منه [3].

وهناك من جعل أركان المناظرة ركنين وبنى عليهم المناظرة وهم الموضوع والمتناظرين.

أ) الموضوع: وهو القضية التي ستجرى حولها المناظرة، وتكون صورته مشّخصة في ذهن كلّ المتناظرين، محدودَةَ المعالم، معينّة الأهداف[4].

بعبارة أخرى هو الفكرة الجوهرية التي تتكئ عليها المناظرة وتكون المنطلق الذي ينطلق منه المتناظران، ويحتاج إلى طرح الإشكالية أو قضية ما تُعتبر محل النزاع بين الخصمين [5].

---

[1] نجم الدين الطوفي الحنبلي، المصدر السابق، ص 35.

[2] المصدر نفسه، ص 36-37.

[3] المصدر نفسه، ص، ص38.

[4] إبراهيم ابن عبد الكريم السنيدي: **الحوار والمناظرة في الإسلام أحمد ديدات نموذجاً في العصر الحديث**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (46)، محرم 1430هـ، ص 43.

[5] أمينة شكشاك مذكرة: **الحجاج وآلياته في المناظرات الأدبية بالأندلس السيف والقلم أنموذجا**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب كلية، الأدب واللغة الأجنبية قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، 31 /1440/14هـ/2018-2019م، ص 51.

إذا كان الموضوع تعريفاً أو تقسِيماً سُميّ المعترض عليه (مستدلاً)، وسمي صاحب التعريف أو التقسيم (مانعاً)، وإذا الموضوع (تصديقاً)، أي قضية منطقية سواء أكانت مصرحاً بها أو مفهومة ضمن الكلام فالمعترض عليه يسمى (سائلاً) وصاحب التصديق ومقدمه يسمى (معللاً).

أما من حيث نوع الجملة فإن العلماء يرون أن المناظرة تجري في الجمل الخبرية لأنها تتضمن تصديق أي القضية المنطقية التي يمكن فيها الإثبات أو النفيولا تجري في الجمل الإنشائية إلا ما تضمنه حكم خبرياً يجوز للخصم أن يطالب بتصحيح النقل فيه [1].

ب) المتناظران:

وهم فريقان يتحاوران حول موضوع المناظرة أحدهما مدّعٍ أو ناقل خبر والأخر معترض عليه.[2]

وفي هذا الركن طرفان يبغيان بلوغ الحق يسمى البادئ عارض الموضوع، والمعترض مستدلاً...وذلك تبعاً لموضوع المناظرة وقد يتغير الأمر أثناء المناظرة فينقلب السائل معللاً والمعلل سائلاً أو مانع مستدلاً ومستدل مانعاً.[3]

ومما سبق فإن البادئ بالكلام (عارض الموضوع) يسمى معللاً والمعترض سائلاً، أو يسمى البادئ (عارض الموضوع) مانعاً، والمعترض مستدلاً وذالك تبعاً لموضوع المناظرة.[4]

وما يجري بين المتناظرين في الركن الثاني ثلاثة أعمال يقوم بها المتناظران في خضم المناظرة وهي (المنع، النقض، المعارضة):

– **المنع:** إن المنع والممانعة والمناقضة والنقض التفصيلي بمعنى واحد وهو طلب الدليل على مقدمة الدليل وإن المراد مقدمة الدليل ما يعم الصغرى والكبرى والتقريب وشروط الإنتاج، فإذا ادعى المعلل دعوى وأقام دليلً، ولم تكن مقدمات الدليل بديهية جلية ولا مسلمة للخصم مثل أن يقول: هذا الشيء ليس بضاحك؛ لأنه غير إنسان، وكل ما ليس بإنسان

[1] عبد الرحمان حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص 374.

[2] المرجع نفسه، ص374.

[3] على جريشة: **أدب الحوار والمناظرة**، ط1، دار الوفاء لطباعة والتوزيع المنصورة، مصر، 1989، ص66.

[4] إبراهيم إبن عبد الكريم السنيدي، المرجع السابق، ص44.

فليس بضاحك، فلسائل أن يمنع الصغرى منعاً مجرداً بأن يقول: لا نسلم بأنه غير إنسان ومعنى ذالك أنه يطلب من المعلل دليلاً على أنه ليس بإنسان، وله أن يمنع الكبرى منعاً مجرداً بأن يقول: لا نسلم أن كل ما ليس بإنسان ليس بضاحك، وله أن يمنع المقدمتين معاً بأن يقول: لا نسلم الصغرى ولا الكبرى: أو كل من مقدمتي دليلك ممنوع، ومعنى ذالك أنه يطلب على كل منهما دليلاً[1].

– **النقض:** النقض قسمان تفصيلي وإجمالي، فنقض التفصيلي هو المنع وقد سبق، أما النقض الإجمالي فيستعمل فيه النقض مطلقاً عن قيد الإجمال، ومقيداً به معناه إبطال الدليل بدليل ويسمى المدلل المقام على الدليل شاهداً[2].

يعني أن في هذا المستوى يتجه (المعترض) إلى إبطال دليل المدعي ويكون هذا بأساليب مختلفة، وما يذكر لبيان وجوه الفساد هذا يعرف بالشواهد، أي إبطال دليل الخصم بإثبات أنه تخلق الدليل [3].

– **المعارضة:** وهي إقامة السائل الدليل على خلاف ما أقام عليه المعلل الدليل، بأن يثبت نقيض ما ادعاه المعلل واستدل عليه أو ما يساوي نقيضه، أو الأخص من نقيضه، كما إذا قال المعلل: إن هذا الشيء ليس بإنسان؛ لأنه لو كان إنساناً لكان معتدل القامة لكنه غير معتدل القامة، فعارض السائل بإثبات إنسانيته بأن ضحك، أو بإثبات ضاحكيته بأنه متعجب، أو بإثبات زنجيته بأنه أسود، والمعارضة تارة تكون بدليل مغاير لدليل المعلل مادة وصورة وتارتاً تكون بدليل مغاير له مادة لا صورة وتسمى معارضة بالمثل والأول يسمى معارضة بالغير وتارة تكون المعارضة بعين دليل المعلل مادة وصورة وتسمى معارضة بالقلب، وبالمعارضة يصير السائل معللاً، فيصير المعلل سائلاً فوظيفته حينئذ ووظيفة السائل، في دفع المنع والنقض والمعارضة، فإذا منع أو نقض فهوا لم يزل سائلاً وإذا عارض رجع كل لأصله، وهكذا [4].

---

[1] هارون عبد الرزاق، **فن آداب البحث والمناظرة**، ط1، 1438هـ-2017م، دار الظاهرية، الكويت، ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص، ص28.

[3] أمينة شكشاك، المرجع السابق، ص51.

[4] هارون عبد الرزاق، المرجع السابق، ص30.

- رابعاً: شروط المناظرة.

1- معرفة ما يحتاج إليه من قوانين المناظرة في المسألة التي يتناظران فيها.

2- معرفة المسألة التي يتنازعان فيها؛ ليتكلما في الشيء بوظيفته، فإذا كان البحث في علم الكلام مثلا أتى كلاهما باليقيني.

3- أن تكون المسألة نظرية، ولم يكن متعلِّقاً معلوماً عند من تلقى إليه.

فخرج البديهي، فإن كان أوليا فلا يَرِد عليه منع بشاهد ولا بدونه، وإن كان فيه خفا فمنعه بمعنى طلب التنبيه عليه.

وخرج المستقرأ التام، فلا يرد عليه المنع بشاهد ولا بدونه.

وخرج المستقرأ الناقص، فلا يمنع إلا بشاهد يظهر به خلل الاستقراء.

وخرج ما إذا كان متعلقًا معلوما له، فدفعه حينئذ مكابرة؛ لأن يريد تحصيل البديهي عنده، وهو حاصل.

4- أن يُجرِيا المناظرة على عرف واحد، فلو قال المعلل على طريقة أهل الكلام: الشيء هو الموجود، فليس للسائل إن كان عارفاً ذلك أن يقول على عرف الحكماء: لا نسلم؛ فإن الشيء يعم الموجود والمعدوم[1].

5- ألا يشتغل به يقصد التناظر وهو من فروض الكفايات من يتفرغ من فروض الأعيان.

6- أن لا يري فرضه كفاية أهم من المناظرة فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى[2].

7- أن يكون الموضوع مما يجوز أن تجري فيه المناظرة ضمن قواعد الفن وضوابطه

[1] حسن والي بن الشيخ، **الموجز في علم آداب المناظرة**، ط1، مكتبة ابن تيمية القاهرة، مصر، 1325هـ-1971م، ص23

[2] أبي عمر محمد عبد الملك الزغبي، **أصول المناظرة وروائع المناظرات**، ط1، 1432هـ-2010م، دار التقوى لطبع والنشر والتوزيع، مصر، ص22.

فالمفردات والبديهيات الجليلة مثلا، لا تجرى فيها المناظرة أصلا لذالك فلا يصح أن يكون موضوع المناظرة من هذا القبيل [1].

8- أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهبه يعني ألا يلتزم بمذهب معين أينما ظهر له الحق يتبعه ويفتي به فإذا كان على المذهب الشافعي ووجد الحق في غيره في مسألة من المسائل فعليه أن يقر بها ولا يتعصب لمذهبه ولا يجعل كل ما في مذهبه صحيح.

9- أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى لصفاء الفكر ودرك الحق، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاً كان أو مبطلاً.

10- أن تكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهر له الحق[2].

11- أن يكون المتناظران على دراية جمّةٍ بما يحتاج إليه من أصول المناظرة وقواعدها، ومستلزمات المحاورة الجدليّة السليمة، من آداب وشروط[3].

12- أن لا يمنع معينه عن الانتقال من دليل إلى دليل ومن سؤال إلى سؤال، بل يورد ما يحضره ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل[4].

وقد لخص الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- شروط المناظرة في أبيات قال فيها:

إذا ما كنت ذا فضل وعلم بما اختلف الأوائل والأواخرْ.
فناظر من تناظر في سكونٍ حليما لا تلجَّ ولا تكابرْ.
يفيدك ما استفاد بلا امتنانٍ من النكت اللطيفة والنوادرْ.
وإياك اللجوح ومن يرائي بأني قد غلبت ومن يفاخرْ.
فإن الشر في جنبات هذا يمني بالتقاطع والتدابرْ[5].

[1] عبد الرحمان حبنكة الميداني، المرجع السابق، 375.

[2] أبي عمر محمد عبد الملك الزغبي، المرجع السابق، ص24و32.

[3] إبراهيم عبد الكريم السنيدي، المرجع السابق، ص47.

[4] أبي عمر محمد عبد الملك الزغبي، المرجع السابق، ص25.

[5] عبد اللطيف سامر، **المدخل إلى فن المناظرة**، ط1، دار مؤسسة قطر الدوحة، 2014، ص55.

خلاصة:

لما كانت المناظرة هي المحاورة بين جانبين أو فريقين حول موضوع ما لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر ويحاول كل فريق إثبات وجهت نظره بما يراه صواباً، ولما كان الهدف منها إثبات كل فريق أنه على الحق قامت المناظرة وأصبحت علماً قائماً بذاته، وتعدد أراء الباحثين في تعريف المناظرة ومرادفاتها كالجدل والسجال والمرآء واختلفت تعريفات المناظرة ومفاهيمها باختلاف الباحثين كلٌ عرفها على حسب مفهومه لها وعلى حسب تخصصه فهناك من يرى أن الجدل والمناظرة مصطلحان لمفهوم واحد وهناك من فرق بينهما في التعريف.

ووضعت للمناظرة آداب تنظمها وتسيرها كتأدب في الجلوس وحسن الاستماع للخصم وخفض الصوت وعدم المقاطعة، وشروط تحكمها كأن يكون المتناظران على علم ودراية بالموضوع المراد التناظر فيها، واكتملت المناظرة كعلم حين كان لها أركان لا تقوم إلى بها كال متناظران وموضوع التناظر. فقيام المناظرة كعلم بتحديد مفهومها وآدابها وشروطها وأركانها يقود لتحقيق أهدافها وهي الوصول للحقيقة ودحر الباطل.

الفصل الثاني

المناظرات والمساجلات في الغرب الإسلامي.

أولا: نشأة المناظرة وتطورها.

ثانيا: نشأة المناظرة وتطورها في الغرب الإسلامي.

ثالثا: المناظرات الدينية في الغرب الإسلامي.

رابعا: أهمية المناظرة وعوامل الشيوع والازدهار في الغرب الإسلامي.

تمهيد:

إنّ للمناظرات أهمية كبيرة على المستويات الدينية والمعرفية والتواصلية فهي مدخل للحوار وفهم الأخر.

كان الغرب الإسلامي بفعل التبعية الدينية والجغرافية للمشرق الإسلامي يتأثر بكل ما يحدث هناك، فقد كان المشرق دائماً منبع الخلافات الإسلامية والسياسية والعقائدية والفقهية والتي سرعان ما انتقلت للغرب الإسلامي فألقت نزاعاتها الفكرية بين أحضان العلماء والعامة، فانتقلت فرق عقائدية وسياسية ومذهبية وفكرية إلى بلاد المغرب والأندلس، فتبناها الناس وتنازعوا فيها، فكانت هذه التغيرات التي طرأت على بلاد الغرب الإسلامي في القرن3هـ هي البوادر الأولى لظهور المناظرة وتطورها خاصتنا مع وجود النصارى واليهود في الأندلس الذين كانوا يحاولون النيل من الإسلام بشتى الطرق.

الفصل الثاني: المناظرات والمساجلات في الغرب الإسلامي.

أولا: نشأة المناظرة وتطورها.

إن الإنسان اجتماعي بطبعه، أي يميل إلى الاجتماع بغيره من بني جنسه، وهو محتاج إليه وإلى معاونته ولا يعرف كل منهما مراد صاحبه إلى البيان والكلام الذي وسيلته اللسان والمناظرة والجدل وضرب من ضروب البيان وهو قديم في الخليقة ويظل باقياً إلى يوم الدين، وذلك لأن الجدل والمناظرة شأن اجتماعي لا يمكن أن تخلو منه أمة، وذلك لاختلاف الناس في المعتقدات والآراء وقال الله تعلى:﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)﴾[1] .

وإذا أردنا أن نعرف تاريخ المناظرة والجدل فإن القرآن الكريم هوا المرجع الصادق الذي يروي لنا نماذج من مناظرات الأمم السابقة منذ أن وجد الإنسان.[2]

قال ابن الحنبلي(554-634هـ)[3] رحمه الله: "أول من سن الجدال الملائكة صلوات الله عليهم حيث قالوا قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] وليس إبليس هو أول من جادل لأن جداله كان بعد خلق آدم عليه سلام، وكان جدال الملائكة قبل خلق أدم واستخلافه وجدالهم استرشادا وطلباً للمعرف والحكمة وليس اعتراض.[5]

إذا تأملت في القرآن الكريم فإنك لا تكاد تجد فيه لفتت إلى ما قبل الرسالة المحمدية، إلى وجدت فيها جدالاً وتناظراً ونقاشا، مثل قصة ابني آدم اللذان قتل أحدهما الآخر قال الله

---

[1] قرآن كريم، سورة هود، الآية: 118-119

[2] عثمان علي حسن، مرجع سابق، ص52-51

[3] **ابن الحنبلي:** هوا عبد الرحمان ابن نجم بن عبد الوهاب، بن عبد الواحد بن محمد بن على الأنصاري، السعدي، العُبادي، الشيرازي الأصل، الدمشقي، فقيه، واعظ، مؤرخ، ولد في دمشق سنة 554هـ، وتفقه وبرع في الوعظ، وتوفي بدمشق سنة 634هـ، من أثاره: تاريخ الوعظ، الإنجاد في الجيهاد، المقامات والخطب، استخراج الجدل من القرآن الكريم، ينظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1414هـ-1993م، ص125.

[4] قرآن كريم، سورة البقرة، الآية: 30.

[5] عبد الرحمان ابن الحنبلي، **استخراج الجدل من القرآن الكريم**، تح زاهر بن عواض الألمعي، ط2، دار صادر بيروت لبنان، 1401هـ، ص57.

تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) ﴾[1]، وفي قصص نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى وعيسى وأصحاب القرية إذ جاءها المرسلون كما في سورة (يس) وفي قصة الرجلين الذي جعل الله لأحاديهما جنتين مع أعناب، وقصة قارون مع قومه، وفرعون مع موسى نجد التناظر والصراع بين الحق الباطل قائما والجدال الإنساني موجود بوجود الإنسان وكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقفون مواقف مشرفة في تبليغ الرسالة الله مهما لقوا من قومهم أذى فهؤلاء قوم نوح يكثرون من النقاش وتوجيه التهم والمفتريات فما يزيده ذلك إلى قوة وإماناً ودفاعاً عن الحق وتفنيداً لشبهاتهم ومناظريهم، وقد بلغ بهم العجز وضجوا وسئموا وقالوا سورة ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32)﴾[2]، وهذا إبراهيم عليه السلام خاض معركتاً فكرية، وناظر خصومه بالحجة والبرهان في حوار بياني وجهاد عملي﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[3]، كما أن موسى أخذ هيبته لتبليغ فرعون الرسالة وخاض معركته بأسلحة البيان والإيضاح والتناظر والجدال فيقول لربه تعالى﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)﴾[4]، ثم يأتي دور المعجزة الختامية العالمية ممثلة في القرآن الكريم الذي أُنزل على محمدٍ صل الله عليه وسلم، وفي قومٍ بلغ البيان العربي فيهم ذروته ومارسوا ضروباً[5] من البلاغة في القول واللّدد في الخصومة فكان المنطُوق ملجماً لخصومتهم مفحماً لبيانهم فقام الصراع الفكري وانتفضت هذه الحركات تدفعها الوثنية تغذيها اليهودية والنصرانية بغية القضاء على الرسالة المحمدية، فكان لابد من مناظرتها ومقارعتها بالحجة والبرهان وإفحامها بمنطق البلاغة والبيان، فظهر الإسلام على الوثنية واليهودية والنصرانية .[6]

---

[1] قرآن كريم، سورة المائدة، الآية: 27-28

[2] قرآن كريم، سورة هود، الآية: 32.

[3] قرآن كريم، سورة الأنعام، الآية:83.

[4] قرآن كريم، سورة طه، من آية: 25 إلى 32

[5] **ضُروباً:** مفردها الظَّربُ: المِثْلُ والصِّنْفُ من الشيءِ، وضروباً: أصنافاً، ينظر: الفيروزآباد، المصدر السابق، ص969.

[6] زاهر عواض الألمعي، **منهج الجدل في القرآن الكريم**، ط3، (ب. د. ن)، 1404، ص 33-34.

وإلى هنا بعد أن ذكرنا أول من جادل بهدف الاستفهام وهم الملائكة وبعدهم أول من جادل الجدال المذموم النابع من الحسد وهوا إبليس ورأينا كيف صاغ لنا القرآن مناظرات الأنبياء للكفار التي تهدف لتعريف البشر بخالقهم وتبليغ الرسالة تبينا لنا أن روح التناظر والبحث عن الحقيقة والجدال شيء فطري في الإنسان والدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[1].

1- نشأة المناظرة عند الفلاسفة اليونانيين:

لا يوجد جدل وتناظر إلا حيث يوجد الاختلاف في إدراك حقيقة من الحقائق والإنسان من يوم نشأته أخذ ينظر نظرات فلسفية للكون وكلها خطى الإنسان في سبيل المدينة والحضارة، وبهذا اتسعت فجوة الخلاف حتى تولد من هذا الاختلاف المذاهب الفلسفية والديانات الغير سماوية وغير ذلك.[2]

وتطورت المناظرات وتحولت بعد أن كانت فطرية في الإنسان إلى علم قائم بذاته عند اليونانيين، فقد كان لهم اهتمام بالغ بالمناظرة وأساليب الحوار والجدل حيث استفرغوا جهودهم وأموالهم لتعليمه وتعلمه، وكانت الغاية العظمة للجدل اليوناني هي عدم الوقوع في التناقض، مع طلب الغلبة وكسر الخصم، بغض النظر عن موافقة الحق والفوز بالصواب.[3]

ويذهب جمهرة من مؤرخي الفلسفة اليونانية إلى أن زينون الإيلي (490-430ق.م)[4] هوا مخترع علم المناظرات والجدل مُشايعًا في ذلك أفلاطون وأرسطو وصحيح أن يقال أن زينون أول من وضع علم الجدل والتناظر في صيغة فنية، أي وضعهُ في أساليب معينة، صار بها علماً من العلوم الآلية في بلاد اليونان ويقول راسل: "والواقع أن زينون أول من استخدم الحجة الجدلية بطريقة منهجية ".[5]

---

[1] قرآن كريم، سورة الكهف، الآية: 54.

[2] أبو زهرة، مرجع سابق، ص7.

[3] عشمان علي حسين، المرجع السابق، ص57.

[4] **زينون الإيلي:** زينون من إيليا أو زينون الإيلي (490 ق.م – 430 ق.م) أحد فلاسفة ما قبل سقراط، عاش زينون في القرن الخامس قبل الميلاد، من إيليا وهي مدينة يونانية على الساحلِ الجنوبيِ لإيطاليا. وهو من أنصار بارمنيدس في أن عالم الحس وهم باطل، ينظر: أحمد أمين-زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، ص44و45.

[5] عشمان علي حسين، المرجع السابق، ص58.

وقد تعاظم التنافس بين أفراد المجتمع اليوناني بعد خروج الفرس من أرضهم، وشيوع الحرية السياسية وشاع الجدال القضائي والسياسي فنشأة الحاجة إلى تعلم الخطابة وأساليب المحاججة والتناظر ووجد فريقاً من المثقفين مجالاً واسعاً لاستغلال مواهبهم فانقلبوا معلمين لتناظر والجدال، والمحاجات، يتنقلون لتقديم الدروس في فن التناظر يتلقون مقابلها أجورا فقصدهم الشباب اليوناني لتمكن من فن التناظر والجدال وعرف هؤلاء بالسوفسطائيين، وجاء سقراط فأفسد على السوفسطائيين طريقتهم في الجدل ووضع أساساً جديداً لفن التناظر والجدل تقوم على مناقشة المقدمات للآراء السائدة، والتي تستنبط منها النتائج ويبحث مع محاوريه وناظريه دون ملل عن التعريف الحقيقي للأشياء، وسار تلميذه أفلاطون على طريقته في التناظر والجدل وهي دحض[1] الخصم بجبره إلى الوقوع في التناقض.[2]

أما عن أرسطو فإن التناظر عنده نوع من القياس وذكر ثلاثة فوائد للجدل والتناظر وهي:

– الأولى: كونه رياضة عقلية.

– الثاني: كونه منهجاً يستطيع العالم والجاهل يمتحن فيه ويفيد في مناظرة الجمهور في العلوم النظرية.

– الثالث: كونه يساعد على الكشف عن المبادئ الأولية في أيي علم.[3]

وذكر القسطنطيني أن جميع العلوم العقلية مأخوذة عن فلاسفة اليونان، فأفاد أن علم البحث والمناظرة أخذ من عندهم ولكن من أمعن النظر في كتبهم عرف أن بعضها مأخوذ بالأصالة والاستقلال وبعضها مأخوذ بالتبع كعلم البحث والمناظرة، فإن طائفة منه أخذت تابعتاً للمنطق، لأنهم لم يدونوه على جدة، وإن كانوا قد بنو كثيراً من مباحثهم عليه كما يلاءم أحوالهم.

[1] **دحض**: منع ودحض الحجة أبطلها، ينظر: الفروزآباد، المصدر السابق، 528.

[2] أحمد أمين–زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة اليونانية**، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، 1935م. ص91–95، وينظر يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، ط2، مطبعة لجنة،1946م القاهرة 52و53.

[3] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص70.

وقد أشار الإمام الغزالي (ت505هـ)[1] أن الذي يسمى ب (المنطق) يسمى ب (النظر والجدل) وب (مدارك العقول) وما سمي بذلك إلى نظراً إلى ما اشتملت عليه.[2]

2-عند العرب في الجاهلية:

إن البلاد العربية كانت مصرحاً لكثير من الديانات، ومضطربا فسيحاً للنحل المختلفة، وحين ما اجتمع أهل الدينين فلابد أن الاحتكاك يشتد بينهما، يأخذ أحيانا صورة للجدال الديني، وأحياناناً أخرى يمتشق الحسام، وتتقارع الأسنة بدل قارعة الحجج وتاريخ يروي أن في البلاد العربية كان فيها هذانِ النوعان من الاحتكاك، فذو نواس اليهودي كان يحاول نشر اليهودية بين نصارى نجران بسيف، بعد أن عجز عن استمالتهم بالحجة والبرهان، والحرب كانت قائمة وشديدة بين القبائل الوثنية وبين اليهود، وقد حكي القرآن الكريم ذلك عنهم، وأما النزال بالبيان والتناظر والجدل فقد وقع بين العرب المشركين واليهود كان اليهود القاطنين مع العرب يحاورونهم لإقناعهم باليهودية كما حدث ذلك بين العرب والنصارى حيث كانت بعض القبائل العربية تجاور القبائل النصرانية وكان النصرانيون يناظروا العرب وينذرونهم بالبعث والنشور، وكان من العرب في الجاهلية من أنكر على المشركين عبادة الأوثان وقالوا أنهم آخذون بديانة إبراهيم الحنيف وكانت دعوتهم لإخوانهم العرب لهجر عبادة الأوثان حافز لجميع على التناظر والنقاش .[3]

إضافتا إلى هذه المناظرات الدينية والعقدية عرف العرب في الجاهلية نوعا من المناظرات يتلاءم مع طبيعة ظروفهم الاجتماعية، وقد طرحت موضوعات في هذه المناظرات وانطوت بين إطارين أدبي ولغوي يتعلق بالشعر والشعراء، إذ يدور الحوار فيها

---

[1] **أبو حامد الغزالي:** الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط تفقه ببلده أولا، ثم تحول إلى نيسابور، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، وشرع في التصنيف، فألف كتاب " الإحياء "، وكتاب " الأربعين "، وكتاب " القسطاس "، وكتاب " محك النظر " وكتاب "تهافت الفلاسفة" ينظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، تح بدوي طبانة، ج1، (ب ط)، مطبعة كرياط فوترا سمراغ، أندونيسيا، ص7، وينظر: الذهبي، السير، ج19، ص323.

[2] حسين والي، **الموجز في آدب البحث والمناظرة**، ط1، دار الظاهرية، الكويت، 1438 هـ-2017م، ص18.

[3] محمد ابو زهرة، مرجع سابق، ص35.

بين العرب أنفسهم وكتب الأدب والنقد القديمة تطرقت إلى هذه المناظرات التي تقوم بين شاعر وأخر لتفضيل بيت على بيت وشاعر على شاعر[1].

وقد عَرف العصر الجاهلي العديد من ألوان المساجلات الفنية والمناظرات الأدبية، تدور معظمها بين الحبيب وحبيبته فيصل الإنسان شدة الاشتياق ولوعة الهوى بمبثوثة في ثنايا القصائد[2].

كما عرف العرب أيضاً مناظرات عديدة في مجالات مختلفة منها المناظرة التي دارت بين النعمان بن منذر (123ق هـ/504م)[3] ملك العرب في المرحلة الأولى ببلاط كسرة جرت بسبب الاحتقار الفارسي للعرب[4].

كما جرت المناظرات العلمية فقد ناظر قس بن ساعده،[5] قيصر روما في الطب كما كان للعرب في الجاهلية مجالس تقام للمناظرة والمفاخرة، يرتاده المتأدبون والشعراء من أهمها تلك التي كانت تعقد في دار الندوة ومجالس القبائل وعرفوا بسوق عكاظ مجلساً يرتاده الشعراء والمتأدبون[6].

فالمناظرة فن عرفه العرب يمتد جذوره إلى ما قبل الإسلام ومن يستعرض نصوص المفاخرة والمناظرة في العصر الجاهلي يجد أركان الوثيقة المحدد لبنية المناظرة فقد مهدت

---

[1] امينة شكشاك، سارة بن حميمد، مرجع سابق، ص 42.

[2] أسماء بن قلح، **فن المناظرات من منظور تداولي "الإمتاع والمؤنسة" للتوحيدي أنموذجاً**، مذكرة ماجستير في الآداب، إش صلاح الدين ملاوي، كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة المذكرة مطبوعة، 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م، ص21.

[3] **النعمان ابن المنذر**: النعمان ابن الأسود بن المنذر بن امرئ ألقيس بن عمر اللخمي: ملك العراق في الجاهلية ولي بعدة وفاة عمه المنذر الثاني نحو500م، وستنصر به قباذ الأول، ملك الفرس، على فتح مدينة الرها، فمات على أبوابها محاصرا، ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص35.

[4] محمود شكري الألوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، (ب ط)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (ب س ن)، ج1، ص147.

[5] **قس بن ساعدة:** قس بن ساعدة، إياديّ، وإياد حيٌّ من معدّ بن عدنان، مات قبل البعثة، كان من أسباط العرب، فصيحا حكيما، ينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولب ليسان العرب**، تح عبد السلام محمد هارون، ط4، مطبعة ميدان النشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ/1997م، ج2، ص89و91.

[6] جمال سرحان، **المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن 4هـ**، ط1، دار الوحدة لطباعة والنشر، بيروت 1981م. ص5.

تلك المناظرات الدينية والأدبية والمساجلات الشعرية التي دارت بين العرب لنشأة المناظرات وتطورها[1].

3- عند المسلمين (صدر الإسلام-الدولة الأموية-الدولة العباسية).

ارتبطت المناظرة في التراث العربي الإسلامي بفترة صدر الإسلام، بحيث تشكلت بوصفها خطاباً حجاجياً استهدف الذود[2] عن العقيدة ومواجهة خصومها وقد كانت الطبيعة الجدلية للقرآن الكريم موجهة في هذا الصدد، لذلك ناظر الرسول صل الله عليه وسلم عتيبة ابن ربيعة[3] الذي فوضه سادة قريش من المشركين لثني النبي عن دعوته، كما ناظر الرسول صل الله عليه وسلم وفد نصارى نجران الذين جادلوه في أمر عيسى ابن مريم[4].

بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم لم يكد الصحابة يفرغون من دفنه في قبره المطهر حتى ذر قرن الاختلاف فيما بينهم في أمور عدة، كان في طليعتها اختلافهم في من يلي منصب إمامة المسلمين[5] وسَتُتبَع بصراع حول الخلافة وإنشعاب السبل بين المسلمين حتى انضموا في فرق متنازعة، وقد لعبت المناظرة دوراً بارزا في التدافع بين هذه الفرق وبهذا فالمناظرة في هذه الفترة اتخذت طابعاً دينياً وسياسياً[6] بعد أن كانت في عصر صدر الإسلام الإسلام قد اتخذت اتجاهاً تمثل في الجدل والتناظر بين أهل الكفر والإيمان[7].

وان المسلمين قد اختلفوا إلى مذاهب في الاعتقاد والسياسة وفي هذا كانت تدور اغلب المناظرات في البيئة الإسلامية، كما أنها كانت هناك مناظرات كبيرة في الأدب

---

[1] اولاد ضياف إكرام، **مجالس المناظرة في العصر العباسي الأول**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إش طوهارة فؤاد، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ جامعة 8ماي 1945، قالمة، 1438هـ/2016-2017، ص41.

[2] **الذَوْدُ:** السَّوْقُ، والطَّرْدُ، والدَّفْعُ، والذَّائِدُ: الرجُلُ الحامي الحَقِيقَةَ ولقبُ إمرئِ القيس بنِ بكرٍ لقوله

أذُودُ القوافِي عنِّي ذِياداً === ذِيادَ غُلامٍ غَوِيٍّ جَرَاداً. ينظر: الفيروزآباد، المصدر السابق، ص600.

[3] **عتبة ابن ربيعة:** وهوا من سادة قريش، بن خالد بن معاوية، البهراني، حليف الأوس، ذكره ابن إسحاق فيما شهد بدرا، ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تميز الصحابة**، تح عادل احمد عبد الموجود، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 1415هـ-1995م، ج4، ص360.

[4] عبد اللطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، ط1، دار الأمان، الرباط، 1434هـ-2013م، ص138.

[5] مصطفى سعيد الخِنّ، **أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء**، ط3، مؤسسة الرسالة للنشر بيروت لبنان، 1402هـ-1986م، ص36.

[6] أمينة شكشاك-سارة بن حميمد، المرجع السابق، ص43.

[7] أولاد ضياف إكرام، المرجع السابق، ص42.

والمساجلات الشعرية وقد قال ابن زهرة: "إن المذاهب الإسلامية لها شعب ثلاثة مذاهب سياسية كانت لها مذهب عملي، قد احتدم أوار[1] الخلاف بينهما أحياناً، ومذاهب اعتقاديه لم تتعدى الخلاف النظري في أكثر الأحيان ومذاهب فقهية كانت خيراً وبركة "[2].

فقد ضل في عصر الصحابة والتابعين التناظر مقصوراً على ما تدعو إليه الحاجة من تبيان الحق ودفع الشبهة وترجيح الأدلة في اجتهادات فقهية ولم يقع في العقائد إلا نادراً[3] نادراً[3] وذلك لأن المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار كانوا يشنقون عقيدتهم من القرآن القرآن الكريم، ويعرفون ما يليق بذاته تعالى لذلك لم يكن بينهم جدل وتناظر في شأن من شؤون العقائد إلا قليلاً في ذلك الزمان[4].

كان الصحابة إذا اختلفوا احتكم والى الرسول صل الله عليه وسلم حال حياته فلما قبض صل الله عليه وسلم ووقع بينهم في دقائق الشرع تناظروا وردوا خلافهم إلى سنة الرسول صل الله عليه وسلم وكلٌ يذكر دليله ويناظر عليه، ومناظرة الصحابة في ما بينهم ومع غيرهم كثيرة جداً...وهم مجمعون على مشروعية ذلك لا ينكره احدهم، ومن مناظرات الصحاب المشهورة هي مناظرة سقيفة بني سعد والتي كان يجري التناظر فيها لإثبات لمن أحقية الإمارة على المسلمين[5]، فتجادل أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم يوم السقيفة وتدافعوا وتناظروا حتى صدر الحق في أهله، وتناظروا بعدة مبايعة أبي بكر في أهل الردة[6] ؛ ويقصد هنا أن أبا بكر بويع ليكون خليفة لرسول الله صل الله عليه وسلم وهوا الأحق بها.

وقد كان عهد الخلفاء الراشدين مجالاً واسعاً للعديد من المناظرات التي كانت تشمل موضوعات مختلفة مثل مناظرة الصحابة لاختلافهم في موضوع الرسول صل الله عليه وسلم التوارث عنه، ومناظرة الصحابة لأبي بكر في مسألة مانع الزكاة مناظرة عمر ابن الخطاب

---

[1] **الأُوارُ**: حَرُّ الشمس، والعطَشُ، والدُّخانُ واللَّهَبُ، وأرضٌ أوِرَةٌ: شَديدَته، ينظر: الفيروزآباد المصدر السابق، ص82.

[2] محمد أبو زهرة، **المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والتاريخ**، (ب. ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (ب. س) ص18.

[3] زاهر عواض الألمعي، مرجع سابق، ص36.

[4] محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، مرجع سابق، ص 103.

[5] محمد بن إبراهيم عثمان، مرجع سابق، ص76.

[6] محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (ب م)، (ب ط)، دار عالم الكتاب، السعودية، 1423هـ-2003م، ص ص 286.

وزيد ابن ثابت لآبي بكر في جمع القرآن، كذلك مناظرة عثمان ابن عفان الخارجين عنه وغيرها من المناظرات التي دارت بينهم[1].

أما في عهد علي بن أبي طالب فقد خطت المناظرات خطوات واسعة بعد أن عادت قضية الإمامة لظهور بين جماعة تدعو إلى خلافة على وأخرى تنكر إمامته وأدى هذا الاختلاف إلى صراع مسلح بين معاوية وعلى رضي الله عن في معركة صفين (37هـ)، ولم تنتهي المعركة حتى رفعت جماعة معاوية المصاحف وتدعو إلى حيلة التحكيم والتي كان فيها عمر ابن العاص ممثلاً لمعاوية وأبو موسى الأشعري ممثلاً لعلي وجرت المناظرة بين الحكمين والتي أدت إلى خلع علي وخرجت جماعة على علي لأنهم كانوا قد رفضوا التحكيم واعتبروه كفراً وطلبوا من علي التوبة وحاول علي رضي الله عنه في مناظرات عديدة جرت بينهم اعتمد فيها على دقة النظر والإقناع العقلي إلى جانب الاعتماد على الأدلة الدينية[2].

كان من نتائج هذه الخلافات السياسية والصراعات المسلحة ظهور أولى الفرق الإسلامية الخوارج والشيعة والمرجئة وقد لعبة فيه المناظرات دوراً بارزاً في التدافع بين الفرق وهكذا ساهمت السياسة بمفهومها الإسلامي في نشأة المناظرات بشكل عام والمناظرات السياسية بشكل خاص في تلك الفترة التي سبقت قيام الدولة الأموية[3].

أما في الدولة الأموية أدت ظهور الحركة العلمية فيها إلى نشأت المناظرات بمفهومها الصحيح وأصبح للمناظرات قواعد وأسس وشروط، ومن أبرز هذه التطورات التي أدت إلى نشأة المناظرة وتطورها في العصر الأموي هي حركت التعريب في عهد عبد الملك ابن مروان[4] وتدوين العلوم وتعريفها، كما أنا اتساع الدولة ودخول شعوب جديدة في الإسلام أتاح

[1] أولاد ضياف إكرام، المرجع السابق، ص34.

[2] عثمان علي حسين، المرجع السابق، ص113.

[3] أولاد ضياف إكرام، المرجع السابق، ص36.

[4] **عبد الملك ابن مروان:** بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه، أبو الوليد الأموي، ولد سنة ستٍ وعشرين، وتملك بعد أبيه الشام ومصر، حارب ابن الزبير، توفي في شوال سنة 86هـ عن نبف وستين سنة. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج4، ص248و249.

أتاح التعرف على حضارتها وعاداتها وتقاليدها ولإيفاده من الايجابية منها في إغْنَاءْ الحضارة الإسلامية ونشر العلوم اللغة والآداب المختلفة[1].

فبعد عصر الخلفاء الراشدين تطورت المناظرات ونشأ علم المناظرة في الثقافة العربية والإسلامية حيث توسعت دائرة الحركة العلمية في العهد الأموي والعباسي وترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية، وكان الحافز إليه ما يحدث من تدافع بين الفرق والمذاهب الإسلامية التي بدأت تظهر وتتكاثر في الدورة العباسية بسبب ظهور علم الكلام بمذاهبه[2].

يعد عصر بني أمية المرحلة الممهدة للمناظرة بالشكل الذي أصبحت عليه في العصر العباسي فقد شهد العصر الأموي نشاطاً جدليا وان كان في بدايته، فقد خطت المناظرات خطوات واسعة في العصر الأموي وتناولت عدت قضايا ساهمت في توسيع المناظرات فاعتبر العصر الأموي المرحلة الممهدة لنشأتها شكلاً ومضموناً، لكنها لم تتخذ كامل أبعادها النظرية إلا في الفترة التي تليها، وهوا ما كانت عليه في زمن العباسين الأوائل، إذ يعتبر مرحلة تشكل المناظر وتطورها شكلاً ومضموناً[3].

- ثانيا: نشأة المناظرة وتطورها في الغرب الإسلامي.

1- في المغرب الإسلامي (المناظرة الفقهية - العقادية – النحوية).

إن العرب الذين فتحو المغرب الإسلامي كانوا من الصحابة التابعين وعلى مذهب السلف وأهل الحديث[4]، لذلك كان أهل المغرب في بادئ الأمر على مذهب السلف ولم يكون يهتمون بالمسائل الكلامية، بل كانوا يهتمون بالدين في معرفة أوامره ونواهيه فكانت الغلبة للفقه والحديث لأنهما يمسان حياتهم ومعاملاتهم اليومية والتعبدية، ولم يكن الجدل الكلامي

[1] إبراهيم ابن عبد الكريم السنيدي، مرجع سابق، ص41.

[2] محمد أحمد ضاعن الخوالدة، **تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي العصر الأموي**، رسالة ماجستير في اللغة العربية، إش غسان إسماعيل عبد الخالق كلية الدراسات اللغوية، جامعة فيلادلفيا، نوقشت بتاريخ2016/06/1، الموسم2016/2015، ص19.

[3] أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، المرجع السابق ص132.

[4] عمر فاروخ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، ط1، دار العلم للملين، بيروت لبنان، 1972م، ص586.

المصاحب للتفاعل الكلامي بين الفرق والمذاهب قد اخذ مكانته في بلاد المغرب حتى نهاية القرن2هـ[1].

ومع تشكل الفكر الإسلامي بظهور المذاهب الفقهية والمدارس الكلامية العقائدية البحتة والتي تأتي على رئسيها المعتزلة والمرجئة والجبرية ...الخ، والمذاهب الدينية السياسية كالخوارج والشيعة في بلاد المشرق[2] سعى كل اتجاه فكري إلى نشر أفكاره وتصوراته الفقهية والعقائدية والسياسية، وبذل كل اتجاه جهوداً معتبرة لتكوين قاعدة اجتماعية كبيرة توسع دائرة تأثيرهم على حساب الاتجاهات الأخرى، فكانت بلاد المغرب الإسلامي محل لوفود التيارات الفكرية من المشرق بدايةً من القرن 2هـ ومع نهاية القرن3هـ حتى اتضحت الصورة المذهبية بشكل واضح[3].

وقد انتشرت المذاهب الدينية السياسية من الخوارج كالإباضية والصفرية والازارقة في المغرب وتسربت دعوتهم في أواخر المائة الأولى للهجرة جاء بها جماعة من الأفاقين من المشرق[4]، فلم يكن المغرب بعيداً عن مكان يحدث في المشرق من صراعات فكرية عقائدية واختلافات سياسية فلسفية، وقد عرفت منطقة المغرب كما أسلفنا تأثيرات خارجية وشيعية وتأثيرات من الفرق الكلامية كفرقة المعتزلة التي وجدت ضالتها في المغرب الإسلامي، بعد أن أرسل رأسها المدبر واصل ابن عطاء[5] رسوله عبد الله ابن الحارث إلى المغرب فستطاع أن يجمع حوله عدداً كبيرا من أهلها[6]، وانتشرت هذه الأفكار التي انتقلت من المشرق إلى المغرب وقويت لتصل إلى ثورات ضد الخلافة الأموية والعباسية وتمكنت

---

[1] زقاوي محمد، **الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي**، أطروحة دكتوراه في تاريخ الغرب الإسلامي بلبشير عمر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2019/1/24 2019/2018، ص47.

[2] يوسف بن احمد حوالة، **الحياة العلمية في إفريقيا (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف ق 5هـ**، ط1، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م، ج2، ص6.

[3] زقاوي محمد، المرجع السابق، ص48.

[4] علي محمد محمد الصلابي، **عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج**، ط1، دار البيارق الأردن،1438هـ/1998م، ص129.

[5] **واصل ابن عطاء:** البليغ أبو حذيفة المخزومي، ولد سنة80هـ بالمدينة، وهوا وعمر بن عبيد رأسا الاعتزال، وسمو المعتزلة لأنهم اعتزلوا حلقة الحسن البصري ما تت سنة 131هـ، له مؤلف في التوحيد، وكتاب المنزلة بين المنزلتين، ينظر: الذهبي المصدر السابق، ج5، ص464.

[6] حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ط1 الشركة العربية لطباعة والنشر، القاهرة، 1959م، ص143.

هذه الثورات من إقامة دويلات مذهبية مستقلة في المغرب الإسلامي[1]، كدولة الأدارسة العلوية بالمغرب الأقصى سنة (172هـ -788م) والدولة الرستمية والإباضية في المغرب الأوسط سنة (164هـ-780م) ودولة الأغالبة السنية بالمغرب الأدنى المؤيدة للخلافة العباسية سنة (184هـ-800م) إضافته إلى إمارة خارجية صفرية بمنطقة سجلماسة[2] جنوب غرب الأطلس الصحراوي وهي إمارة المدراريين سنة (140هـ -758م) وأخيرا الدولة الفاطمية الشيعية في المغرب الأقصى سنة (297هـ-909م)[3] .

أما فيما يخص دخول المذاهب الفقهية للمغرب الإسلامي فقد كان مبكرا وكان أول المذاهب الفقهية وفوداً للمغرب الإسلامي هو المذهب المالكي الذي لقي رواجا وذلك لانتقال العديد من العلماء من المغرب إلى المشرق ولتقوا بالإمام مالك صاحب المذهب وأخذوا عنه المذهب مباشرتا بسماع عنه وأدخلوا كتبه منهم الأسد ابن الفرات ويحي ابن يحي أللّيثي الذي أدخل موطأ الإمام مالك للمغرب فقد ادخل هذا الجيل الذي عاصر الإمام مالك مذهبه في بداية تشكله ولقي هذا المذهب استحسان المغاربة وعملوا به فتبنوه كمذهبنا رسمياً إلا في المغرب الأدنى فقد غيرت دولة الأغالبة مذهبها من المالكية إلى الحنفية ولكن عندما جاء المعز ابن باديس[4] حمل الناس في المغرب الأدنى على المذهب المالكي وبقي المذهب بعدها مسيطراً في المغرب الإسلامي إلى أن جاءت الدولة الموحدية التي حاربته وحاولت إزالته من المغرب على حساب المذهب الظاهري، وفيما يخص المذاهب الأخرى فإن المذهب الشافعي لم يكن له مقام في بلاد المغرب ولا في الأندلس كما أن المذهب الحنفي لم

---

[1] عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ط1، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص79، ولتوسع ينظر: حسن مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م، ص178

[2] **سِجِلْماسِة:** مدينة في جنوب الغرب، بينها وبين فاس 10 أيام تلقاء الجنوب، وهي في مقطع جبل دَرَن، وهي في وسط الرمال، يمر بيها نهر كبير، وأكثر أقوات أهلها من التمر، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (ب ت)، (ب ط)، دار صادر، بيروت لبنان،1397هـ/1997م، ج3، ص192.

[3] نسيم حسبلاوي، **الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية**، الرسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، مش عبد الحميد حاجياتي، قسم العلوم الإنسانية كلية التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر،2000، الموسم2000/2001، ص141.

[4] **المعز ابن باديس:** صاحب إفريقية، المعز بن باديس بن منصور بن بولُكين بن زيري بن منادٍ الحميري، الصنهاجي ولد سنة 398هـ، كان ملكاً مهيباً، شجاعاً، محباً للعلم، حمل أهل بلاده على مذهب مالك، مات سنة 454هـ، بمرض البرص، ينظر: الذهبي، المرجع السابق. ج18، ص140.

يتجاوز بلاد مصر إلا في عهد الأسد ابن الفرات[1] وكان مذهب الدولة الأغلبية لمدة قصيرة، والمذهب الحنبلي لم ينتشر في المغرب وذلك لأنه جاء متأخراً بعد أن احتلت المذاهب الثلاث الأقطار الإسلامية[2].

أما المذهب الظاهري لم تكن له سوق رائجة بالمغرب والأندلس إلا أن بذوره بدأت تنبت فيها ومنهجه بدأ ينتقل في القرن3هـ بسبب رحلت العلماء المغاربة للمشرق، وانتشر في الأندلس في القرن4و5هـ أما في المغرب فلم ينتشر إلا في القرن 7هـ وذلك بعد ما تبنته الدولة الموحدية على حساب المذهب المالكي الذي حاربته وحرقت كتبه[3].

بعد أن تطرقنا لبدايات دخول الفرق الإسلامية والعقائدية في المغرب ودخول المذاهب الفقهية واستطعنا أن نكون صورة واضحة عن الوضع السياسي والديني في بلاد المغرب خلال القرن2هـ والذي يعد بداية انتشار المناظرة وشيوعها في المغرب الإسلامي الآن نحاول أن نبين كيف تطورت المناظرة وانتشرت في المغرب الإسلامي من الق2 إلى القرن5هـ و6هـ التي تعد الفترة التي بينهما فترة ازدهار المناظرة وانتشارها وتنوعها في المغرب الإسلامي.

تعد المناظرات لونا من التراث الذهني الذي مارسته النخبة العالمة في المغرب الإسلامي منذ البدايات المبكرة لدخول الظهور الدين الإسلامي لكن لم تتطور وتكتمل نشأتها إلا في بدايات القرن2هـ، حيث أصبحت تعد المناظرة نوعاً من السلاح الفكري الذي استخدمته هذه النخبة التي مارست نشاطها الثقافي والإعلامي بواسطة المناظرات التي تكونت حلقاتها وبرز رجالها واكتملت موضوعاتها المستمدة من موضوعات وقضايا المناظرة في المشرق الإسلامي والتي وجدت الامتداد الطيفي في المجال الجديد الذي انتقلت إليه[4].

---

[1] **أسد ابن الفرات:** الإمام القاضي الأمير، مُقدَّمُ المجاهدين، أبو عبد الله الحراني ثم المغربي، مولده بحران سنة 144هـ، ودخل القيروان مع أبيه في الجهاد، وكان أبوه الفرات بن سينان من أعيان الجند، روى عن مالك الموطأ، وحصلت بأفريقية له الرياسة وإمرةٌ وأخذوا عنه وتفقهوا به، ينظر: الذهبي، السير، ج10، ص225.

[2] محمد ابو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص365الى450.

[3] محمد ابو زهرة، نفسه، 554و558.

[4] عبد المجيد بن حمده، **المدارس الكلامية بافريقية إلى ظهور الاشعرية**، ط1، مطبعة دار العرب، تونس 1986/1406، ص45.

إن المناظرات في الغرب الإسلامي كانت متأخرة النشأة والتطور إذا ما قورنت بنظيرتها في المشرق فبعد دخول الفرق العقائدية الإسلامية للمغرب وولوج المذاهب الفقهية وتمكن المغاربة من اللغة العربية وإحكام قواعدها ونقل علوم المشرق إلى المغرب نشأة المناظرات وشاعت بكل أنواعها فشهد المغرب الإسلامي تطوراً في المناظرات، فقد شهد مناظرات في العقيدة والتي كانت كثيرا ومناظرات فقهية وأدبية.

أ/ المناظرات العقدية والفقهية في المغرب الإسلامي.

ارتبطت المناظرات العقائدية في المغرب الإسلامي اشد الارتباط بالاحتكاك المستمر والصراع الدائم بين الفرق الإسلامية في المغرب الإسلامي، كما كانت المناظرات العقدية كذلك ذات ارتباط وثيق بالعامل السياسي إذ غذت الحركات السياسية المختلفة حركة المناظرات العقدية ووجهتها لخدمة أطروحاتها ورعاية مصالحها ووظفت رجالات المناظرة لدفاع عن مذاهبها والانتصار لمعتقداتها[1].

فلم يكن المغرب الإسلامي بمعزل عن التيارات العقدية الكبرى التي نشأة في المشرق والتي سرعان ما تحولت إلى المغرب فنشط الجدل العقائدي وكانت كل المسائل التي تثار في المشرق نجد لها صدى في المغرب مثل مسائل الإيمان والصفات، والتشبيه وخلق القرآن وكان الخائضون فيها: الخوارج صفرية وإباضية والمعتزلة[2].

ولم يشكل المغرب الإسلامي دائماً وحدة سياسية وعقدية منسجمة ولكن بالمقابل شهد نشوء دول ذات انتماءات سياسية مختلفة وعرف ظهور دعوات مذهبية متحاربة ومتباينة كثيراً ما كانت تستعير بينها الصدمات العسكرية وتشتعل بين دعاتها المناظرات العقدية المعضدة المناقضة لهذا الاتجاه أو ذاك[3].

وان السيطرة العقدية لم تكن دائماً صافية وخالصة للمدارس السنية إذ وجدت إلى جانبها مدارس أخرى ومذاهب وفرق كما ذكرنا سالفاُ فقد عملت هذه الفرق والمذاهب على

---

[1] آسية الكنوني، **مقال مدخل إلى المناظرات الدينية بالغرب الإسلامي**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، تاريخية، تن2016، الرباط، ص65.

[2] عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص46.

[3] آسية الكنوني، المرجع السابق، ص65.

بسط نفوذها ونشر عقيدتها وأرائها خدمتاً لأهدافها السياسية والدينية والفكرية، وكان من اللازم إثراء هذا التعدد والتنافر والتضاد والتضارب في الرؤى والتصورات، أن تنشط المناظرات العقدية في المغرب الإسلامي وان تشيع في أواسط الفقهاء والعلماء وان تحتل مكانة خاصة في القصور وعند أصحاب القرار، وظهر في المغرب الإسلامي رجال ملكوا ناصة الجدل، وتمكنوا من آليات التناظر، وأمكن بفضل جهودهم أن تبرز العقيدة السنية في المغرب الإسلامي في مراحل المشاركة العلمية بالمناظرات والمناقشات والمواقف المضادة الصريحة لكل المتجادلين[1].

أتباع العقيدة السنية في المغرب، لا يخوضون في الجدالات العقدية، ويتبعون مالك في ذالك، فوجدوا نفسهم في ظل هذه الحركة الفكرة والعقدية الغنية مجبرين على الخوض مع الخائضين والتناظر مع المتناظرين، فدعي ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادتاً إلى النقل، فتكون بذلك علم الكلام في المغرب الإسلامي، على أن العامل المكون من خيوط الدين والسياسة لم يكن العامل الوحيد في قدح زناد المناظرات العقدية في المغرب الإسلامي، بل كان للعامل الفكري اثر في ذلك، كما كان لتنوع الثقافي والعرقي أيضا اثر في ذلك، فقد استمدت المناظرات الفقهية وجودها في المغرب الإسلامي من كل الروافد والمؤثرات، كما كان للانفتاح السياسي وشيوع الحريات الفكرية والعقدية دور مهم وإيجابي في تحريك رحى المناظرات العقادية بين الاتجاهات المختلفة والتيارات الفكرية المختلفة[2]، ويمكن أن نستشهد في هذا الإطار مما عرف عن الدولة الأغلبية في أفريقيا من تسامح وانفتاح أدى إلى تعدد العقدي ذلك أن نظام هذه الدولة قد قام كما يذكر المؤرخون على تبني كل المذاهب الفكرية وعلى تشجيعها ونشرها حتى شاع في عهدها الاعتزال، ووجدت الخوارج من الصفرية والاباضية مجالا بظهور ونشر أرائهم هذا إلى جانب المذهب الحنفي مذهب الخلافة العباسية أنا ذاك، فأصبح المذهب الحنفي منافسا للمالكي.[3]

كانت تعقد المناظرات في المغرب الإسلامي في مجالس عامة أو خاصة في مراكز علمية أو في المساجد وحتى البيوت ومن المناظرات العقدية التي كانت تجري في المغرب

[1] عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص31.

[2] آسية الكنوني، المرجع السابق، ص66.

[3] نفسه، ص66.

الإسلامي هي مناظرات بين المالكية والإباضية فقد كانت الإباضية توظف رجالا من أجل الدفاع عن تصوراتها المذهبية وكانوا يدعون لاكتساب فن التناظر ويحثون عليه حتى يتعود أفراد المجتمع الإباضي على مناظرات مخالفيهم[1].

وان الخبرات الفكرية التي اختارها كل من الاباظية والمالكية انعكست على الصراع المذهبي في بلاد المغرب فقد نقل الونشريسي (ت914هـ-1508م)[2]في كتابه المعيار أن هناك الكثير من فتاوى مالكية صدرت في حق الإباظية منها منع دخول عزائهم ومنع زواجهم[3].

ومن المناظرات التي جرت بين الإباظية والمالكية ما أورد ابن الصغير ق3 (هـ-9م)[4] في كتابه "أخبار الأئمة الرستمين"، مناظرة له مع احد وجوه الاباظية من هوارة يسمى سليمان ويكنى بأبي الربيع[5] جرت المناظرة بينهم في مسجد بالرهدانية ودارت حول اختلافهم في تفسير قلوه تعال: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[6]، فابن الصغير

[1] زقاوي محمد، مرجع سابق، ص231.

[2] **الونشريسي:** هوا أحمد بن يحي بن عبد الرحمان بن علي، الونشريسي، العالم العلامة، حامل لواء المذهب المالكي، على رأس المائة التاسعة، أخذ العلم عن شيوخ بلده تلمسان، وفر بعد حادثة له مع السلطان إلى فاس، ونكب على تدريس المدونة، وكان فصيح اللسان والقلم، وله تأليف كثيرة منها: المعيار، والقواعد الفقهية، توفي عام 914هـ، وعمر نحو 80 سنة، ينظر: أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، 135.

[3] الونشريسي احمد بن يحي، **المعيار المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والمغرب**، تح محمد حجي، (ب ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج2، ص445و446.

[4] **ابن الصغير:** هوا مؤرخ الدولة الرستمية، كما وصفه محققا كتابه، محمد ناصر وإبراهيم بحاز "أخبار الأئمة الرستمين"، عاصر ابن الصغير أواخر أيام الرستمين، وذكر أنه رأى الإمام أبا اليقظان بن= =أفلح(261هـ/281هـ)، وهوا من سكان تيهرت، ويري محققا كتابه انه من الحجاز وسكن في تيهرت، وأن مذهبه إما مالكيا أو شيعيا، وقد رجح المحققان انه قد يكون شيعيا، ينظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين، مصدر سابق، ص11الي16.

[5] **أبو الربيع سليمان:** هوا أبو الربيع سليمان بن زرقون، كان أحد علماء عصره، وهوا من نقوسة، قرأ العلوم وتفقه بسجل ماسة، على يد ابن الجمعي، ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، ص109و110.

[6] قرآن كريم، سورة الطلاق، الآية 4.

فسر لهم بأنها لا تعني النفي القطعي فهي تنطبق على الفتيات الصغيرات اللائي لم يبلغن سن الحيض، بينما خصمه فسرها على أنها تعني النساء المسنات[1].

هناك الكثير من المناظرات العقدية التي جرت في المغرب الإسلامي بين المالكية والمعتزلة والاباضية والاشعرية ومنها المناظرة التي جرت في عهد الدولة الاغلبية بين العنبري (874/260هـ) الذي كانت له مناظرات مع الجعفري السني ق (3هـ-9م) في حضرة الأمير الأغلبي زياد الله الأول (172-223هـ/818-838م)[2] الذي كان من دعاة مسألة الخلق القرآن[3].

ومناظرة أبا القاسم يزيد بن مخلد[4](-358هـ-968م) لقي أبا إبراهيم المشبه وكان من من الوراقين في القيروان وهو يكتب تشبيه الله بخلقه، فجرى بينهما كلام كثير حتى قال له أبو إبراهيم " إن كنت تزعم أن الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض فأخبرني عمن أراد أن يبطل ربه كيف يقول، فرد عليه: يقول مثل قولك فانقطع الكلام بينهما " أي إذا وصفته بصفات الحدوث ألزمت فناء الحادث فأبطلت بقاءه[5].

ذكرنا أنفا أن المذهب المالكي قد سيطر على المغرب في الجانب العقدي والفقهي فكان اغلب سكان المغرب الإسلامي على الفقه المالكي واجتهد علماء المغرب في تحصيل علوم الشريعة مركزين على الحديث والفقه ناهلين من الحجاز حتى برعوا في ذلك وتفوقوا في المذهب المالكي وآلفو في الفقه وجرت العديد من المناظرات الفقهية بين المالكية فيما بينهم كما جرت مناظرات فقهية بين المالكية الإباضية والمعتزلة كانت تدور بين الفقه والعقيدة.

---

[1] ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين**، محمد ناصر وإبراهيم بحار، (ب ط)، دار الغرب الإسلامي تونس، (ب س)، ص102.

[2] **زيادةُ الله الأغلبي**: زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم، أبو محمد: رابع الأغالبة أصحاب إفريقية، ولي بعد وفاة أخيه عبد الله (سنة 201هـ)، وجاءه التقليد من قبل المأمون العباسي، وتوفي في القير وان. وكان فصيحا أديباً، أول من سُمي زيادةُ الله من ولاة بني الأغلب، ينظر: الزِركِيلي مرجع سابق، ج3، ص56.

[3] زقاوي محمد، مرجع سابق، ص240.

[4] **أبا القاسم يزيد بن مخلد**: كان من أهل حامة قسطيلية، وقد برع في العلوم، وأخذ الأدب وعلم اللسان، وعلم الفروع، عن شيخه أبا الربيع سليمان بن زرقون، وأخذ علم الأصول، من سحنون ابن أبي أيوب، وكان موسعا عليه في الرزق، كان يعلم الأول وينفق عليهم، أنظر: الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص119.

[5] زقاوي محمد، المرجع السابق، ص242.

جرت مناظرات ومناقشات علمية بين فقهاء تلمسان وغيرهم من فقهاء المغرب تناولت جملة من القضايا المتعلقة بالفقه والتفسير والتصوف وغيرها من المسائل الفكرية المطروحة للنقاش والجدل ومن ذلك: جرت مناظرة قصيرة حول عموم الرسالة النبوية وقعت بمدينة مراكش بين الشيخ سعيد بن محمد ألعقباني[1] واحد علماء اليهود يشتغل في العلوم لم يذكر اسمه[2].

كما جرت مناظرة بين الشيخ الإمام الرواية أبو علي ناصر الدين المشدالي البيجائي (ت731هـ-1330م)[3] والشيخ العلامة الناظر أبو موسى عيسى ابن الإمام تتعلق بحلية البيع وصحته، وهناك مناظرة جرت حول مسألة من الجزاء بين فقيهي مدينة فاس أبو القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري[4] وأبو محمد عبد الله العبدوسي[5] ومن المسائل الفقهية التي أثارت نقاشا واسعا ومناظرات عديدة بين أواسط الفقهاء في المغرب الإسلامي ظاهرة قراءة القرآن جماعتاً على طريقة الحزب الراتب[6].

ولعل شيوع المذهب المالكي وطريقته في بلاد المغرب الإسلامي بشقيه الأدنى والأوسط والأقصى يفسر قلة المناظرات بين المالكية وغيرها بين المذاهب الفقهية عكس ما

---

[1] **سعيد بن محمد العقباني:** وهوا سعيد، بن محمد بن محمد بن محمد، العقباني، التلمساني، وقيل نسبة لعقبان قرية بالأندلس، أصله منها، تجيبي النسب، إمام فاضل، فقيه، متفنن في علوم شتى، وولي قضاء تلمسان وبجاية وسلا ومراكش، وكان يقال له رئس العقلاء، ينظر: أحمد بابا التنبوكتي، مصدر سابق، ص190.

[2] محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1420هـ/2000م، ص391.

[3] **ناصر الدين المشدالي:** هوا منصور بن احمد بن عبد الحق أبو عليٍّ ناصر الدين المشدالي البيجائي، فقيه مالكي له مشاركة في علوم الأدب والكلام والتصوف، توفي سنة 731هـ/1330م. ينظر: أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص609.

[4] **محمد التازغدري:** هوا أبوا القاسم قال السخاوي: التازغدري نسبة لموضع من نواحي طنجة المغرب مات مقتولا غدرا وهوا الفقيه المشاور محمد بن عبد العزيز التازغلردي، ابو القاسم مفتي فاس وحافظها وخطيب جامعها= =الأعظم(ت832او833هـ/1428-1429م)، ينظر: لأحمد بابا التنبكتي، ص494، والكتاني، سلوة الأنفاس، ج2 ص138.

[5] **عبد الله العبدوسي:** بفتح العين وسكون الباء وضم الدال، الفاسي مفتيها وعالمها ومحدثها، قال السيوطي في أعيان الأعيان: كلن عالماً بارعاً صالحاً مشهوراً ولي الفتا بفاس، مات في ذي القعدة سنة849، قال السخاوي: ولي إمامة جامع القيروان بفاس ومات فجأة وهوا في الصلاة، ينظر: لأحمد بابا التنبكتي، ص231.

[6] بلبشير عمر، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من ق6هـ الى9هـ/12-15م** من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة دكتوراه، إش غازي مهدي جاسم، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2010/2009م، ص298.

هو عليه في المشرق كما يفسر اكتفاء المصادر بالإشارة إلى بعض المناظرات وذكر أطرافها وموضوعاتها دون تدوين نصوصها أو الاحتفال بتقيد تفاصيلها[1].

ب/ المناظرات النحوية في المغرب الإسلامي.

من المميزات التي اتسم بها نحوُ المغاربة المناظرات التي لعبت دوراً مهماً في تنميه وبلاغه قمة عالية من نشاط وتقدم والارتقاء بمستواه، وقد كانت تلك المناظرات تدور إما بين الطلبة وشيوخهم وإما بين النحات ونظرائهم في المغرب وخارجه وهي كثيرة الحدوث مقارنتاً بالمناظرات التي تجري بين الطالب وشيخه وحين تكون هناك يستعين كل طرف فيها بأدلة دقيقة واحتجاج قوى لإثبات الآراء التي يناقشونها وتكون محل جدال بينهم، وكان نحات المغرب ممن اشتهروا في التناظر ومناقشتا لأراء النحوية وكثير ما تدفعهم المناظرات والمحاورات إلى التأليف في ميدان النحو.[2]

ومن المناظرات النحوي التي جرت بالمغرب الإسلامي مناظرة التي جرت بسبتة[3] حول كلمة (كان هذا) بين ابن المرحّل أبي الحكم مالك بن عبد الرحمان ألسبتي وبن أبي الربيع عبد الله بن احمد القرشي الأموي العثماني الاشبيلي نزل بستة وقد أنكر الأخير ورود كلمة (كان ماذ) في كلام العرب وقال الصواب (ماذ كان)، بينما أصر ابن المرحل على صحت هذا التعبير وقد ألف كل من المتناظرين في شرح وجهت نظره.[4]

وهناك مناظرة جرت بين ابن هاني اللخمي والخِدب حول بعض المسائل المتعلقة بكتاب سيبويه ومناظرة الجزولي[5] مع تلميذه الشَّلوبين بمراكش، وهي من أشهر المناظرات التي تحدثت عنها الكثير من كتب التراجم والنحو حيث تناظروا في مسائل نحوية مهمة وكان نتيجة ذلك أن أسهمت هذه المناظرات وغيرها في تنمية الدرس النحوي طيلة العصر

---

[1] عبد المجيد بن حمده، مرجع سابق، ص24.

[2] جميلة راجح، **اسهمات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي**، اطروحة دكتوراه في اللغة العربية، إ ش صالح بلعيد، قسم اللغة العربية وادابها، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، ت م 2015/11/8، ص261.

[3] **سبتة:** هي بلد مشهور من قواعد بلاد المغرب، وهي على بر البربر، تقابل جزيرة الأندلس، وهي مدينة حصينة، من جنوبها بحر ينعطف إليها، وبينها وبين فاس 10 أيام، ينظر: ياقوت الحموي المصدر السابق ج3 ص183.

[4] محمد المنوني، المرجع السابق، ص392.

[5] **الجزولي:** إمام النَّحو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبَخت بن عيسى اليزْدِكَنْتيُّ الجُزُوليّ المراكشِيُّ لازم ابن برِّي، برِّي، وأتقن عنه العربية واللغة وولِيَ خطابة مراكش توفي سنة607هـ، ينظر الذهبي، المصدر السابق، ج21، ص497.

الوسيط وكان كل ما تناظر النحات فيما بينهم دفعهم ذلك إلى التأليف مما أحدث حركة واسعة في التأليف في النحو في بلاد المغرب في العصر الوسيط من بدايات القرن 5هـ وما بعده[1].

2- المناظرات في الأندلس.

إن علم المناظرة في الأندلس مر بمرحلتين مرحلة المتقدمين وهي المرحلة التي عرف فيها هذا الفن الضعف ومرحلة ثانية وهي مرحلة المتقدمين وهي مرحلة تطور وانتعاش وازدهار فن المناظرة في الأندلس.

- **مرحلة المتقدمين:** وهي المرحلة التي لم تعرف فيها الأندلس المناظرات في العقود الأولى من الفتح الإسلامي وذلك راجع لانشغال المسلمين بمهمة توطيد السلطة الإسلامية ولعدم اتساع معرفة الإسبان باللغة العربية، معرفة تخولهم التعرف على الفكر الإسلامي[2]،ولا تكاد توجد أثار لأيي لون من الحياة الفكرية في الأندلس خلال السنوات الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي لإسبانيا ... لأن الشعب الإسباني الذي دخل في الإسلام لم يخلّف لنا أثارا تدل على حياته الفكرية طوال عصر الولاة (710-755).[3]

وتميزت هذه المرحلة بضعف الجدل والمناظرة وندرة التأليف فيه، ذلك أن الأندلس كانت خاضعة لحكم الدولة الأموية التي انتهجت سياسة المذهب الواحد، فهيمن المذهب المالكي وحيثما انفرد مذهب قل الخلاف وضعف الجدل فنكب طلاب العلم على كتب الفروع والمسائل[4].

---

[1] جميلة راجح، المرجع السابق، ص261-262.

[2] صابة محمد، **مقال الجدل الفكري في الأندلس ق(4هـ-6م) /(10هـ-12م) بين مرحلية التوسع ومجال التنوع**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في الشمال الإفريقي، تاريخية، تاريخ النشر 2021/09/30، جامعة تيارت الجزائر، العدد 2سبتمبر2022، ص343.

[3] أنخل بالنيثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر حسين مؤنس، (ب ط)، المصدر القومي للترجمة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2011، ص15.

[4] لطيفة كرميش، **المنهج الحجاجي لعلماء الأندلس ابن العربي أنموذجا**، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية. إشراف د ليلى حداد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، المذكرة مطبوعة، (ب ت م)، 1433-1434هـ /2012-2013م، ص68.

إن الجدل والمناظرة لونان من النشاط الفكري، يتولدان من تباين المذاهب وتدافعها، وهوا ما لم يكن متوفرا بالأندلس، رغم وجود بعض المذاهب الفقهية بالأندلس كالمذهب الشافعي والأوزاعي اللذان لم يستطيعان تهديد المذهب المالكي تهديدا حقيقيا الأمر الذي ينتج عنه تطور علم الجدل والمناظرة، ولكن الذي فعل ذلك بحق هو المذهب الظاهري في ق(5و6هـ).[1]

ولم يعرف المسلمين في هذه المرحلة في الأندلس الجدل مع النصارى واليهود، نظرا لتفرغهم لتوطيد السلطة الإسلامية وعدم تحكم النصارى واليهود في اللغة العربية ولكن بعد تعلم المسلمين اللغة اللاتينية واطلاع اليهود والنصارى على اللغة العربية وإتقانها وحصول بعضهم على مناصب حكومية مهمة، وبدأت تظهر العديد من المناظرات الدينية والفكرية بينهم وبين المسلمين.[2]

- **مرحلة المتأخرين:** وهي المرحلة التي تميزت فيها بلاد الأندلس من (ق4الى 6هـ/10الى12م) بظاهرة المناظرات والجدل الفكري والذي مر بمراحل ومس مختلف المجلات فقهية وعقائدية وفلسفية.[3]

ولقد شهد القرن5هـ خصوصا انتعاشا في الحركة الفكرية بعد انقضاء الحكم الأموي وظهور عدة طوائف مستقلة سياسيا وفكريا كما تميز بشيوع المناظرة والجدل بفضل التسامح الديني الذي اتسم به ملوك الطوائف، وبفضل الاحتكاك الحضاري بين الشرق والغرب من خلال الوفود العلمية على الأندلس فكثر الخوض في الجدل وبدأت مظاهر تأسيس المدرسة الجدلية في الأندلس[4].

---

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس**، ط1، دار ابن حزم، السعودية 1428هـ/2006م، ص848.

[2] محمد عيساوة، **مقال الجدل الديني في الأندلس ملمح بارز من ملامح حوار الثقافات والأديان**، مجلة تاريخية المجلة التاريخية الجزائرية، نوعها تاريخية، ت ن 2020/12/9، المسيلة، العدد 2 /2020، ص49.

[3] محمد صابة، **الجدل الفقهي في الأندلس ق(4هـ-6هـ/10م-12م) بين بساطة مسائله وتجديد وسائله**، مجلة عصور الجديدة، تصنيف ح، فصلية، تاريخية، ت ن 2021/03/8، تيارت، العدد1 مارس2021، ص177.

[4] لظفية كرميش، **المنهج الحجاجي لعلماء الأندلس ابن العربي أنموذجا**، مذكرة الماجستير، إش ليلى حداد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحزائر1، الجزائر، (ب-ت-م)، 1433-1434/2012-2013، ص69.

وان المناظرات الفكرية في الأندلس قد مرت بدوائر ومراحل ثلاث من دائرة جدل فقه الفروع بسيط المسائل والوسائل إلى دائرة جدل الأصول متجدد المسائل والوسائل في النصف الثاني من القرن 4 و5 الهجريين (11/10م)، وقد مس جدل الأصول مصادر التشريع الإسلامي والتي أصبحت مجالا للتشريح والتجريح بين المذاهب الفقهية خاصتنا مالكية وظاهرية في الأندلس وذلك بفضل إقحام علم الكلام والمنطق إضافتا إلى تسامح السلطة السياسية على عهد ملوك الطوائف التي أدت بانفتاحها وتسامحها على توسع الجدل الفقهي إلى الجدل العقدي بين مختلف التيارات الكلامية المتقاطرة على بلاد الأندلس فمس الجدل العقدي الذات العليا من حيث الصفات والأسماء ومسائل القضاء والقدر وأشتد هذا النوع من الجدل والمناظرات بين أهل السنة والجماعة والمخالفين من العقائد الإسلامية الأخرى[1] .

أما الجدل الديني بين الإسلام والنصارى واليهود فقد عرف هذا النوع من المناظرات في الأندلس بين معتنقي الديانات السماوية طريقه مبكراً، حيث اتخذه أصحاب الديانات السماوية كطريق لعرض منظومتهم العقدية على بعضهم البعض، سالكين مسلك الدفاع عن عقيدتهم كما كان، اليهود والنصارى في الأندلس يعرضون عقائدهم ويدافعون عنها من جهة ويثيرون شبهات وأباطيل حول عقيدة المسلمين من جهة أخرى وهوا الأمر الذي نحى بالمسلمين أن يسلكوا معهم أسلوب الحوار والمناظرة ليتبين ما في دينهم من فساد وإظهار محاسن الإسلام.[2]

كانت تقوم في الأندلس في فترة ازدهار فن المناظرة مجالس للمناظرة، ومجلس المناظرة معظم موقر يحضره جمع من طلبة العلم النابغين والمشايخ بالعلم والفقه وهوا من طرائق التعلم في الأندلس وفيها يطرح العالم مسألة من مسائل العلم ثم يدور النقاش حوله، وبن بشكوال يحدثنا عن مجلس احد علماء الأندلس وهوا احمد ابن عثمان[3] انه كان يبدأ في المناظرة بذكر الله عز وجل والصلاة على محمد صل الله عليه وسلم ثم يورد الحديث

[1] محمد صابة، المرجع السابق، ص341.

[2] محمد عيساوة، المرجع السابق، ص47.

[3] **أحمد بن عثمان:** هوا أحمد بن عثمان الطلي طلي، يعرف بابن القشاوي، يكنى أبا محمد، روى عن جماعة من علماء بلده، كان ديناً ثقة ورعاً قليل التصنع، وكان شاعرا مشاوراً في الأحكام توفي سنة 418هـ. ينظر: بين بشكوال، **كتاب الصلة**، تح إبراهيم الابياري، ط1، طبعة دار الكتب العلمية، سنة1989، ج2، ص404.

والحديثان والثلاثة والموعظة ثم يبدأ بطرح المسائل من غير كتاب الذي كان يناظرون عليه فيه، وهذا احد أنواع المناظرات[1].

وقد كان المتناظرون من العلماء يحضون بضروب من الإكرام والرعاية من أولائك الملوك والأمراء، وذلك لتنافس هؤلاء الأمراء والملوك، على اجتذاب العلماء والأدباء إلى حواضرهم، وهذا حتى يشهر عنهم ذلك عند منافسيهم، عند الملوك والأمراء والآخرون.[2]

فراع علماء الأندلس نوعية مجالس المناظرة وشدد وان يتجنب طالب العلم مجلس أهل الأهواء والمجالس المختلطة التي يلتبس فيها الحق بالباطل ومما يميز مجلس المناظرة طلب الحق والخضوع له إذا ظهر عند أي أحد من سائر الخلق، ومنه إرادة النصح والدعوة بالحسنة لمن استحق ذلك، وعند مناظرة الباجي لراهب خاطبه: بأنا تعينت علينا الإجابة والمعارضة فيما قلت من منهجك في النصح، الذي يجري عليه أهل الفضل، ويجاوبه بأقوال: ((وفقنا الله وإياك))، ((وقصدنا الرفق والتاني سلك...الخ)) ; لأن النصراني خاطبه خطاباً مهذباً فبادله به.[3]

وقد كانت هناك مناظرات علمية حرة أي أنها لا تتقيد بحلقات العلم أو مجالس الدرس في المساجد والجوامع بل تجري غالباً بين شخصين وكان لهذه المناظرات دور كبير في إذكاء روح الاهتمام بالعلم، ومحاولة الدخول على الحقائق وأصح الآراء العلمية، واختلفت هذه المناظرات وتنوعت وكانت تحضي بتشجيع ملوك الطوائف وتجري في حضرتهم وفي مجالسهم وخاصتنا بني عباد في اشبيلية الذين عنوا بالأدب خاصتنا الأدب والشعر، وقد كان لشخصية أمراء اشبيلية الأدبية اثر في الحياة الأدبية في بلدانهم كما كان عليه بني الأفطس

[1] خالد ناصر، **الصرع العقدي في الأندلس خلال 8 قرون بين المسلمين والنصارى**، ط1، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، السعودية، 1429هـ، ص449، وينظر: بين بشكوال، **كتاب الصلة**، ص404.

[2] كمال قمان، **الحياة العلمية في الأندلس خلال القرن الرابع والخامس الهجري العاشر والحادي عشر ميلادي**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إ ش خالد كبير علال، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، (ب ت م) 1437-2016/1438-2017، ص106.

[3] خالد ناصر، المرجع السابق، ص450-451.

في بطليموس وكذالك ببلاط المأمون بن ذي النون[1] في طليطلة، الذي اشتمل على أعداد كبيرة من العلماء في حقول العلم المختلفة، وفي بلاط بني هود في سرقسطة[2]، اهتمت هذه الأسرة بالعلوم التجريبية والفلسفة، وفي بلاط المعتصم ابن صمادح[3] بالمرية، الذي قال عنه ابن الآبار (كان المعتصم ساكن الطائر مأمون الجانب، حصيف[4] العقل معناً بالدين وإقامة الشرع، ويجلس يوماً في كل جمعة الفقهاء والخواص، فيتناظرون بين يديه كتب التفسير والحديث، ولزم حضرته فحول الأدباء والشعراء).[5]

أ) المناظرات الفقهية في الأندلس:

عرفت الأندلس ثلاث مذاهب فقهية هي: المذهب المالكي الظاهري والشافعي، مع تفاوت بينهما في الانتشار والاهتمام، أما مذهب الإمام أحمد بن حنبل[6] كان يعتبر محدثاً أكثر منه فقيهاً[7].

وخلال الفترة التاريخية الممتدة من ق4هـ حتى ق6هـ(11-12م)، عرفت الأندلس ظاهرة الجدل الفقهي، والذي مر بمرحلتين مميزتين من حيث طبيعة المسائل الفقهية المعروضة للجدل، ووسائل الجدل الموظفة فيها، فالمرحلة الأولى اقتصرت قضاياها الفقهية الجدلية على مسائل فرعية بسيطة كمسائل العبادات والمعاملات، أما المرحلة الثانية فعرفة نقلة نوعية بعد أن توسعة دائرة الجدل والمناظرات من حيث مسائل المناظرات ووسائلها من

---

[1] **المأمون بن ذي النون:** ماك طليطلة، أبو زكريا، يحيى بن صاحب طليطلة، الأمير إسماعيل بن عبد الرحمان بن عامر بن ذي النون الهواريُّ، الأندلسي تملك المأمون بعد أبيه 435هـ، فامتدت أيامه 25سنة عاكفا على اللذات، هادن العدو، توفي سنة 460هـ، ينظر: الذهبي، المرجع السابق، ج18، ص220و221.

[2] **سرقسطة:** بلدة مشهورة في الأندلس، ذات فواكه عذبة، لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير، وهوا نهر منبعث من جبل القلاع، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص212.

[3] **المعتصم ابن صمادح:** السُّلطان، أبو يحيى التُّجِيبيُّ الأندلسي، محمد بن معين، بن محمد بن أحمد بن صُمادِح، تملك المرية بعد أبوه فكان حليما، جواداً، وكان يملك المرية وبجانة والصُّمادحية، كان فيه خيرٌ ودينٌ وعدلٌ وتواضعٌ، وعقلٌ تام، توفي سنة 484هـ، ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص593.

[4] **حصيفُ:** حَصِفَ: اسْتَحْكَمَ عَقْلُهُ، فهو حَصِيفٌ وأَحْصَفَ الأمرَ: أَحْكَمَهُ، ينظر: الفيروزآباد، المصدر السابق، ص 371.

[5] كمال قمان، المرجع السابق، ص103الى106.

[6] **أحمد بن حنبل:** هوا الإمام وشيخ الإسلام، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله، ولد سنة 164هـ، ربي أحمد يتيماً، طلب العلم وهو ابن15، في العام الذي توفي فيه مالك، قيل عنه أنه أعلم بفقه الحديث ومعاينته، وله مذهب فقهي، ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص177الى222.

[7] لطيفة كرميش، مرجع سابق، ص69.

مسائل الفروع إلى مسائل الأصول بمسائل متعددة تم توظيفها، كعلم الكلام والمنطق، فأصبحت كل المصادر الفقهية باستثناء الكتاب والسنة معروضة للتناظر والجدل والتشريح، كالقياس وحجة عمل أهل المدينة وغيرها من الأصول[1].

إن الجدل الفقهي قد فتح أفاقاً وأبواباً للاجتهادات الفقهية وتطوير مساراتها وتحديد مسائله ووسائله، فكانت المناظرة من وراء إثراء المدارس الفقهية، ومنه قد جنب الأمة الاستمرار في حدود مسائل الفروع إلى مسائل فقهية مست واقع المجتمع[2].

واشتهر علماء الأندلس بكثرة المناظرة، ومواجهة الآراء الأخرى المخالفة فكان الفقهاء يتمنون الجلوس قصد المناظرة، لما في ذلك من الفوائد العلمية وتبادل الآراء الفقهية، والاطلاع على الاجتهادات العقلية المشفوعة بالدليل الشرعي، ويقدمون ذلك على التعلم والاستماع، وذلك ما صرح به أبو الصلاح أيوب بن سليمان[3] في مجلسه قال أحمد بن خالد: خالد: كنا إذا جلسنا للسماع من أبي صالح، ربما تولدت المناظرة، فيظهر محمد بن عبد الرحمان من ذالك ضيقاً، فيقول له أبو صالح: هذه المناظرة أشهى إلى من سماعك مني[4].

والفقهاء في الأندلس هم ممن عُنيَ بالمناظرة وتعلموها وجالسوا بها الأمراء والملوك، وقد يستخلف الفقيه من يثق بعلمه ليناظر بعده، فابن الحاج[5] ابن القاضي الشهيد، لما ارتفع

---

[1] محمد صابة، المرجع السابق، ص176.

[2] عبد المجيد التركي، مناظرات **في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي**، تر عبد البصور شاهين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1406هـ-1986م، ص34.

[3] **أبو الصلاح أيوب بن سليمان**: أيوب بن سليمان بن صالح بن هيشام-وقيل: هيشام بن عريب بن عبد الجبار بن محمد بن أيوب بن سليمان بن صالح بن السَّمح، المعافري، أبو الصلاح، أندلسي محدِّث، مات سنة301هـ، ينظر، الحميدي، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، 1410هـ-1989م، ج1، ص263.

[4] مصطفى الهروس، **المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن 3هـ النشأة والخصائص**، (ب. ط)، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب،1418، هـ/1997، ص364.

[5] **ابن الحاج**: محمد بن محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التُّجيبي، من أهل قرطبة، قاضي الجماعة بها وابن قاضيها الشهيد، تفقه بأبيه، وبابن رشد، وكان حافظاً للفقه، تجول في الأندلس، وتوفي بإشبيلية في وفادته عليها سنة 571هـ. ينظر: ابن الآبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تح إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصرية القاهرة 1610هـ-1989م ص189.

أبوه عن المناظرة قعد هوا مكانه، وخلفه في حلقته، وكان حافظا للفقه، ولم يكن يعرف الحديث[1].

والحديث عن مناظرات الفقهاء حديث ذو شجون، يجتمعون فيتناظرون وقد يناظر واحدهم مجموعة حتى تظهر الحجة ومن هؤلاء: أبو المطرف ابن الحصار[2]، فقد روى ابن عتاب قال: كنا نجتمع عنده من شيوخ الفتوى من ذلك فيُشاور في المسألة فيختلفون فيها، ويخالفون مذهبه، فلا يزال يحاجهم ويستظهر عليهم بالرواية والكتب حتى ينصرفوا ويقولون بقوله، وهؤلاء هم شيوخ الفتوى يجتمعون عنده ويناظرونه، وهذا يقيد أنهم كبار العلماء والفقهاء الذين يقومون بهذا الفن البديع من المناظرات في الأندلس[3].

فممن برز من العلماء في مناظرات الفقهاء ابن العربي[4] الذي ناظر عدداً من الفقهاء وكان يثير العجب والدهشة فقد ناظر الفقيه أحمد بن ورد التميمي[5]، كما ناظر الفقيه المجتهد عبد الرحمان بن قاسم الشعبي المالقي، وكان من أ برع أهل زمانه بالفقه ومسائله، وجرت بينهم مناظرات علمية رائعة في ضروب من المعرفة تنم عن علم عظيم[6].

---

[1] سعيد البشاري، **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،1414هـ/1993م، ص217.

[2] **أبوا المطرف ابن الحصار**: هوا عبد الرحمان بن أحمد بن سعيد، يكنى أبي المطرف، ويعرف باسم الحصار، من العلماء والقضاة والمحدثين، توفي سنة 433هـ، ينظر: لإبن بشكوال، الصلة، مصدر سابق، ج2، ص485.

[3] خالد بن الناصري بن سعد آل حسن العبدلي الغامدي، **الصراع العقائدي في الأندلس خلال 8 قرون بين المسلمين والنصارى**، ط1، مكتبة الكوثر لنشر والتوزيع، السعودية، 1429هـ، ص452، وينظر: لإبن بشكوال، الصلة، ج2، ص486.

[4] **بن العربي**: الفقيه الحافظ، أبو بكر بن العربي المعافري، علم الأعلام، الطاهر الباهر، ولد سة 468هـ، في أسرة علمية، رحل به أبوه إلى المشرق وهناك ألزمه مجالس العلم، فنبغ في العلم وعاد إلى الأندلس، ينظر: الوزير الكاتب أبي النصر بن خاقان، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1403هـ-1983م، ص297.

[5] سعيد البشاري، المرجع السابق، ص612.

[6] خالد بن ناصر سعد، الرجع السابق، 452-453.

ومن الفقهاء المالكية اللذين اشتغلوا بالمناظرة ومالوا إلى النظر والحجة قاسم بن محمد بن يسار، قال القاضي عياض: وكان الفقه أغلب على قاسم بن محمد من الرواية والأخذ عن الرجال[1].

ولعل من أشهر المناظرات العلمية والفقهية في الأندلس مكان يجري بين العلامة الفقيه الظاهر أبي محمد علي ابن حزم(456هـ/1063م) ومعاصره الفقيه المالكي أبي الوليد الباجي(474هـ/1081) حيث اعتنق ابن حزم المذهب الظاهري ودافع عنه بكل قوة ضد كل المذاهب خاصتنا المالكي الذي كان أبو الوليد الباجي مدافعا عنه بمناظرته مع ابن حزم[2].

ب) المناظرات الأدبية في الأندلس:

شهدت البيئة الأندلسية رقياً ونمواً فكرياً، نظراً لظروف السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك، حيث ما انفك الأمراء والخلفاء يشجعون العلم، ويبسطون الأسباب لشعراء والأدباء حتى يجودوا بما حملت قرائحهم من إبداعات فكرية وخيالات طيفية بأسلوب يأسرك بشوق وقوة، فقد عرفت مجالس العلم والأدب رواجاً كبيراً، وإقبالاً واسعاً من قبل الناس، لأجل الاستماع والبحث في مسائل العلم واللغة والأدب[3].

تختلف المناظرة الأدبية عن غيرها من المناظرات بتميزها بالهدوء غالباً، وبتسامحها بروح المنافسة والرغبة في إظهار التفوق بعيداً عن القدح والتجريح، فقد بدا واضحا رغبة الأندلسي في إظهار تفوقه على نظرائه في المشرق خاصتناً إلى جانب إبراز مكانته الأدبية وتمكنه من اللغة وأساليبها وأسرارها، ونحسبه وفق في ذلك، فالقارئ يشعر وهو يطالع تلك المناظرات بمتعة مردها براعة الأندلسي وتفننه وانتقاء الألفاظ والعبرات[4].

---

[1] مصطفى الهروس، المرجع السابق، ص364.

[2] كمال قمان، المرجع السابق، ص103.

[3] أسماء بن قلح، مرجع سابق، ص32.

[4] أمينة بن منصور، مقال **أسلوب المناظرة الأدبية في لأندلس بين الإقناع والإمتاع**، مجلة مقاليد أدبية 16جوان2016، عين تيموشنت الجزائر، العدد10 جوان 2016، ص57.

وكان أهل العلم والأدب في الأندلس، الوزراء والكتاب، والقضاة والخلفاء، وقد كانت المجالس تضم الصفوة الراقية من أساطين العلم والأدب لعرض أفكارهم فكانوا قدوة جمهور الأدباء[1].

ونستطيع القول أن المناظرة الأدبية في الأندلس تنقسم إلى قسمين: يضم القسم الأول المناظرات الخيالية وهي التي اشتهر بها ابن الأصغر(ت450هـ)[2] في رسالته بين السيف والقلم، وتفضيله الورد على باق الرياحين، ويظم القسم الثاني المناظرات الغير خيالية كمناظرات بلدان الأندلس[3].

وقد جرت العديد من المناظرات الأدبية في الأندلس في بلاط الأمراء وخارجه، ومن هذه المناظرات المناظرة اللغوية التي تمت بين الأديب اللغوي أبي بكر محمد بن الحسن ألزبدي الاشبيلي(ت379هـ/989م)، والكاتب الأديب الحاجب جعفر ابن عثمان ألمصحفي القرطبي(ت372هـ/982م)، في مجلس الخليفة الحكم المستنصر سنة(362هـ/972م)، وكذلك مناظرة جرت في مجلس الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(366-392هـ/976-1001)، بين أحد فتيانه الصقالبة المسمى بفاتن والمعروف بالصغير وبالخازن (ت402هـ/1011م)، وبين الأديب اللغوي الكبير أبي العلاء صاعد بن الحسين الربيعي(ت417هـ/1026م)، حيث كانت الغلبة فيها لفاتن الصقلبي، الذي أقر له أبو بكر الزبيدي بالبصر في علم اللسان واللغة[4].

3- أسباب تأخر ظهور المناظرات في الغرب الاسلامي.

لقد نشأة المناظرات وتطورت في بلاد المشرق بينما تأخرت نشأتها وتطورها في بلاد المغرب الإسلامي رغم دخول أرض المغاربة العديد من المذاهب السياسية والكلامية إلا

---

[1] فورار محمد بن لخضر، **الشعر الأندلسي في ضل الدولة العامرية دراسة موضوعية وفنية**، منشورات مخبر أبحاث فن اللغة والأدب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص60.

[2] **ابن الأصغر**: هوا أبو حفص أحمد الأصغر بن محمد بن أبي حفص أحمد الأكبر بن برد، كان أحمد بن برد الأصغر من أهل بيت جاره ورئاسة كان جده احمد بن برد الأكبر وزيرا في أيام الدولة العامرية وقرأ على جده فنون الأدب والعلم كان آل برد يعيشون في قرطبة ولعل وفات ابن الأصغر كانت في حدود سنة هـ450، ينظر: عمر فاروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ط2، دار العلم الملاين، بيروت، 1984، ج4، ص510و511.

[3] أسماء بن قلح، مرجع سابق، ص33.

[4] كمال قمان، مرجع سابق، ص103.

أنا مجالس المناظرات الفكرية كانت متأخر في نشأتها كثراً عن المشرق ولهذا التأخر عدت أسباب منها:

– **ثورات المغاربة** التي أثيرت على ظلم بعض ولاة بني أمية أثرت هذه الثورات سلباً على الجدل الكلامي وذلك لان شيوع المناظرة هوا نتيجة الأمن وإسقرار الأوضاع السياسية لان الأمن والاستقرار يوفر جو من التسامح المذهبي الذي لم يكن موجود في المغرب قبل القرن 2هـ وإن تمكنت بعض الفرق المذهبية من تأسيس كيانات سياسية، إلا أن هذا الاختلاف في المذهب أخذ طابع استعمال العنف أكثر منه إلى الجدال وذلك لان هدف هذه المذاهب كان إقامة دولة وليس نشر دعوة[1] .

– **الانتشار المحدود للغة العربية بين سكان الغرب الإسلامي** وذلك لان المناظرة تتطلب معرفة فائقة بقواعد اللغة.

– **إمساك المغاربة عن الدخول في الحراك الفكري** وذالك لحداثة إسلامهم وطابع البداوة الذي كان يغلب على سكان البربر فقد كانوا جهلاء لا يفقهون شيء من التأملات النظرية والتدقيقات العقائدية التي استمرأها المثقفون [2].

– **الفرق الزمني بين انتشار الإسلام في المشرق والمغرب:** ففي الوقت الذي كان في المشرق متكلمين وأصحاب مذاهب كان في المغرب دعاة لتهيئة لإقامة دول، ومن ثم كان حض السياسة والدولة أكثر من حض النظر والفكر في هذه الديار، حتى وان تدارك المغاربة تأخرهم في مواكبة الحركة الفكرية وشيوع مجالس المناظرة في بلاد المشرق، إلا أن الزمن كان دائماً في غير صالحهم ففي الوقت الذي كان المشارقة يتكلمون في القدر والوعد والوعيد كان المغاربة يتكلمون في الأسماء والصيفات[3].

– **إتلاف الكتب والمكتبات** وذلك بسبب الصراعات السياسية والعسكرية فإن ما ساهم به المتكلمون في الغرب الإسلامي ضاع اغلبه وهو كثير بنظر إلى عناوين المؤلفات التي

---

[1] زقاوي محمد، المرجع السابق، ص68.

[2] ألفريد بيل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تر عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987، ص146.

[3] زقاوي محمد، المرجع السابق، ص98.

وصلت إلينا أسمائها ضمن تراجم المتكلمين وأسباب ضياعها كثيرة، لعل أهمها سيطرة الشيعة الإسماعلية في فترة من فترات تاريخ الغرب الإسلامي فقد عذبوا العلماء واحرقوا الكتب ومن ذالك حرق مكتبة المعصومة بتهرت[1] ثم مكان من هجمات الهلالين الذين لم يتركوا من حضارة القيروان شيء[2].

– **الاختلاف بين البيئة الاجتماعية والثقافية للمشرق عن المغرب:** فهي مبعث الإسلام ومهد الديانات والثقافات.

– **قلت الحواضر العلمية في بلاد المغرب** وضعفها مقارنتاً بمثيلتها في المشرق كالبصرة والكوفية وبغداد التي عُرفت بكثرة الملل والنحل[3].

– **الرقابة الفكري وسيطرة المذهب المالكي على الحياة المذهبية في بلاد المغرب،** كان هذا سبباً في تأخر الجدل في بلاد المغرب وذالك لان المالكية معروف عنهم نفورهم من المناظرات والتحذير من الخوض فيها مقتدين بالإمام مالك الذي عرف عنه كرهه للجدل فقد قيل للإمام مالك الرجل له علم بالسنة أيجادل عنها قال لا ولكن ليخبر بسنة فإن قبل منه وإلا سكت، وقال أيضاً ألمُراء والجدل في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد[4].

– **موقف السلطة السياسية من الذاهب الفقهية** فقد كان موقف السلطة السياسية في الغرب الإسلامي صريحاً في اعتراض أيي تواجد لمذاهب فقهية مخالفة لمذهب المالكي، فالمستنصر يقول في بعض رسائله فمن خالف مذهب مالك ابن انس رحمه الله بالفتوى

---

[1] **تيهرت:** اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى الحديثة، وهي كثيرة الأنداء والضباب، والأمطار، وهي تقع بين تلمسان وقلعة بني حماد بناها عبد الرحمان ابن رستم وكانت عاصمة لدولة الرستمية، ينظر: ياقوت الحموي، ج2، ص7و8و9.

[2] عبد المجيد بن حمد، مرجع سابق، ص31.

[3] زقاوي محمد، المرجع السابق، ص102.

[4] ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،** تح محمد الأحمدي أبو النور، (ط.ب)، مطبعة دار المدينة 16 شارع طه العسقلان دار السلام، 1977م، ص15.

وبلغنا خبره أنزلنا به ما يستحقه، فقد اختبرت فيها فرأيت من الكتب ان مذهب مالك وأصحابه أفضل الذاهب ولم أرى في أصحابه ولا في من تقلد مذهبه غير معتقد لسنة والجماعة[1].

وهذا النص يؤكد على منع التنوع في المذاهب الفكرية والفقهية مما أدى إلى تأخر ظهور المناظرات الفقهية في المغرب الإسلامي.

- ثالثاً: المناظرات الدينية في الغرب الإسلامي.

1- المسلمين مع النصارى.

عرفت المناظرات الدينية بين التوحيد والتثليث قبل دخول المسلمين للجزيرة الأيبيرية[2] وكان الجدل الديني يقوم في شبه الجزيرة الأيبيرية بين الأرثوذكس من جهة والاريوسيين من جهة أخرى وهما أهم طائفتين نصرانيتين في شبه الجزيرة الأيبيرية ولقد رفض الأريوسيون قرارات المجتمع ينقيا عام 325م القائلة بؤلوهية المسيح ولم يرو فيه أكثر من كونه بشراً رسولا، ولما دخل الإسلام للمغرب واسبانيا وانتشر رأى بعض علماء النصارى أن الإسلام لا يعدو أن يكون صورة من المذهب الأريوسي لذلك كانوا يرون أن الإسلام هوا هرطقة نصرانية واخذ النصارى يطلقون على مخالفيهم من الاريوسيين لقب (المسلمين) ولعل هذا كما يقول روجيه قرودي: سبب عزوف علماء النصارى الأرثوذكس من الدخول مع علماء الإسلام في جدل ديني حتى منتصف القرن 3هـ /9م[3].

---

[1] القدوري سمير، **الردود على ابن حزم بالأندلس من خلال مؤلفات علماء المالكية**، (ب ط)، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث المغربي، 1434هـ/2010م، ج2، ص283.

[2] **شبه الجزيرة الإيبرية:** عرف شبه الجزيرة الأيبيرية، أي اسبانيا والبرتغال، في الأزمان القديمة ب (ايبارية)، وعندما جاء الرومان أطلقوا عليه اسم (Hispania)، ومن هنا جاء اللفظ العربي (اشبانية) أو (اصبانية). وقد تحول هذا اللفظ في لغة القرون الوسطى الرومانسية إلى (Espana). أما مصطلح (الأندلس)، الذي يشمل المناطق التي حكمها العرب والمسلمون من شبه الجزيرة، فقد اشتقه الجغرافيون والمؤرخون العرب من الكلمات الآتية: الأندليش او الأندلس او الأندلس، وهي الأسماء التي شمي بها الوندال، الذين سيطروا على أجزاء من شبه الجزيرة الآيبيرية، في الفترة من 408 – 429م، ينظر: خليل إبراهيم السامري وآخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2000م، ص11.

[3] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم –الخزرجي)**، (ب ط)، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م ص75..

وقد اهتم المسلمين منذ فتح الأندلس بنشر الإسلام بين أواسط اليهود والنصارى وفعلاً لم يتوانى الكثير منهم في اعتناق الدين الجديد لكن الأمر لم يلقى ترحيب من قبل المتعصبين من أتباع الدينين على الرغم من عدم تعارضه مع مبدأ حرية الاعتقاد[1] فأثار موجة من الغضب أخذت رد فعل مزدوج، من جانب مورست أصناف من العنف الإرهابي في حق معتنقي الإسلام لدفعهم إلى الارتداد عنهم والعودة إلى دين أبائهم، ومن جانب أخر اهتم قساوسة النصارى بالجدل وعدوه وسيلتهم لدفاع عن عقائدهم معتمدين مبدأ الغاية تبرر الوسيلة وأمام تسامح المسلمين والتزامهم الجدل بالحسنى تجاوز أهل الكتاب حد في تطاولهم على الإسلام وبروز نوع من الجدل الهابط الذي يهدف لتعرض لشخصية النبي صل الله عليه وسلم بسب والشتم والتجريح حتى غدا هذا الافتراء هدف متعصبي النصارى في الأندلس.[2]

الواقع أن المجادلات الدينية بين علماء النصارى والمسلمين في الغرب الإسلامي وقعت في القرنين الخامس والسادس هجري إحدى عشر وأثنى عشر ميلادي(5-6هـ/11-12م)، ولعل ذلك راجع إلى روح التسامح الديني التي سادت مدن الأندلس قاطبة وراجع أيضا لنشاط حركة التنصير وزيادة الداخلين في الإسلام من شباب النصارى واليهود نتيجة للمحاورات الدينية.[3]

مع بداية التناظر بين المسلمين والمسيحيين في المغرب الإسلامي بدأت تظهر شخصيات ومؤلفات جدلية مسيحية لنقد الإسلام نذكر منها:

- **إيلوج المسيحي:** (851م) كتب مؤلفا أسماه "**ذكرى الشهداء**" اتخذه وسيلة لمقاومة الدعوة الإسلامية.

- **توماس الإكويني:** كتب دراسة ضخمة بعنوان "**خلاصة ضد الأعاجم**" وكان ذلك بناء على طلب سان **ريمون دي بينافور**، وهو من المتحمسين لنشر النصرانية بين مسلمي الأندلس،

[1] لندة بوعافية، **مقال حول الجدل الديني بالأندلس ودوره في تأسيس علم مقارنة الأديان**، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة باتنة معهد العلوم الاجتماعية والإسلامية، المجلد11، العدد 14، تاريخ 2019/9/18، ص95.

[2] توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، تر حسين إبراهيم وغيره، ط2، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ص122.

[3] خالد عبد الحليم عبد الرحمان السيوطي، المرجع السابق، ص79.

وصار هذا الكتاب، وغيره من مؤلفات الإكويني مرجعا مهما في الرد على الأمم الأخرى، ووظفه في البعثات التنصيرية بالأندلس.[1]

- **رايموند لول-RAYMOND Llull:** طاف في الكثير من البلاد الإسلامية بما فيها الأندلس ليزحزح المسلمين عن عقيدتهم، ويدخلهم النصرانية. ولتسهيل مهمته أجاد العربية، وألف كتب تنصيرية، منها كتاب "**الزندقة**"... لكن جهوده في التنصير منيت بالفشل.[2]

وطبعا أمام هذه الحملة المتكالبة على الإسلام وأتباعه، لم يقف علماء الإسلام مكتوفي الأيدي، بل دافعوا عن دينهم ونقدوا تلك الأديان، وأنفق علماء المسلمين في الغرب الإسلامي الجهد والوقت والمال في سبل التعرف على معتقدات أهل الكتاب وعلومهم الدينية، ثم قاموا بعقد المناظرات مع القساوسة النصارى، وألفوا الكتب التي تعتمد في معلوماتها على الكتب الدينية المعتمدة عند الطرف الأخر، واستعانوا بعلم المنطق والعقليات والفلسفة لدحض أراء المناوئين للإسلام وبيان فساد عقيدة أهل الكتاب.[3]

قام المسلمين بجهود لتعرف على العقائد النصرانية، وقد أخذ جدلهم الديني في الأندلس ثلاث صور، نذكرها بالتفاصيل كالآتي:

- **نقد النصرانية أثناء الرد على** الشعبوية ومن أشهر المناظرات الشعبوية تلك التي كان ينظمها **ابن غرسية** (وهو من أبناء نصارى البشكنش) وقد تصدى لرد عليه وعلى عقيدته في التثليث ابن بلنسي وأبي الطبيب عبد المنعم القروي توفي سنة (493هـ).[4]

- **المناظرات الدينية:** ومن أمثلة تلك المناظرات ما قام به "أوتون" هو ملك جرماني في القرن 4هـ الذي عمد إلى اختيار عالم اللاهوتي يعتمد عليه في المناقشات الدينية للمسلمين

[1] خالد عبد الحليم السيوطي، المرجع السابق، ص 82.

[2] لندة بوعافية، المرجع السابق، ص96.

[3] عبد الله بن إبراهيم العسكري، **مقال الجدل الديني في الأندلس**، قسم التاريخ كلية الأدب جامعة الملك سعود الرياض.السعودية، 22-03-1429هـ/22-03-2008، مقال من موقع إلكتروني، موقع منتدى عربي- نعم.

[4] لندة بوعافية، المرجع السابق، ص96.

ثم بعثه إلى قرطبة[1]، وقد وقع اختياره على الراهب "جان" من دير جورز عُرف عنه تمكنه في اللاهوت وقد حاول هذا الراهب في الأخير إقناع الخليفة الناصر الأموي باعتناق المسيحية.[2]

– **مؤلفات الجدل الديني في الإسلام:** ومن أهم المصنفات الجدلية الأندلسية في هذا المجال يقابلنا ابتداءً من القرن 5هـ مؤلفات ذات منهج متكامل في النقد الديني والعقائدي اليهودية والنصرانية أهمها:

– أبو الوليد الباجي: توفي سنة (474هـ) وكانت مساهمته من خلال الرد على رسالة الراهب الفرنسي أراد أن يراود حاكم سرقسطة عن دينه.

– أحمد ابن عبد الصمد الخزرجي: ولد سنة(519هـ/1125م) (ت582هـ/1186م)، كانت له إسهامات في الجدل الديني في الأندلس من خلال كتابين هما "**المقام المدارك في إفحام المشرك**"، وكتاب "**مقامع هامات الصلبان وروائع أهل الإيمان**".[3]

إن سبب تأليف عبد الصمد الخزرجي (ت582هـ) لكتاب مقامع الصلبان في الرد على عبدت الأوثان ... أنه لما كان في طليطلة[4] كان فيها قس يكثر الاعتراض في الدين على نفر كانوا يألفون له من المسلمين، فجعلوا يرفعون تساؤلاتهم إلى الخزرجي فيجاوبهم الخزرجي عليها فيرجعون للقس فينكر جواب الخزرجي ... فكتب القس رسالة إلى الخزرجي وأرسلها له وهذا بعض نص الرسالة يقول فيها: (من فلان ابن فلان باسم الأب والابن وروح القدس ... ألم تسمع في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتك أن عيسى روح الله وكلمته وأنه وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ... وأنه يحيي الموتى ... وأما دينكم فقد ألف كثيرا من أساقفتنا كتبا في الطعن فيه والرد عليه وذكروا صاحب شريعتكم ووصفوا أشياء،

---

[1] **قُرطبة:** كلمة عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القَرْطَبة وهو العدْو الشديد، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها وبها كانت ملوك بني أمية، ومنبع النبلاء من ذلك الصقيع، ينظر: أحمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان، تح محمد أمين ضناوي، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ/2002م، ص193.

[2] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص93و97.

[3] ليندة بوعافية، المرجع السابق، ص98.

[4] **طليطلة:** معنى طليطلة بيلا للطين تولاطو معناه فرح سكانها وطليطلة قاعدة القوط ومملكتهم وهي مدينة حصينة وكان أهلها خليط من العرب والبربر، ينظر: أبي عُبيد عبد الله البكري، المسالك والممالك، تح: د جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2، ص394.

فرأينا أنكم لستم على حق وإنما الحق معنا ولا فائدة من شريعتكم... وأي دليل يطلب على أنكم لستم على حق أكبر من أن يكون مكتوبا في كتابكم...)[1]، وقد صاغ له في هذه الرسالة عدة آيات من القرآن الكريم وقارنها بآيات من الإنجيل مثل آية الطلاق وغيرها ودل على بطلانها بقياسه على الإنجيل محاولا بذلك إقناع الخزرجي في الشك في دينه.

وفي آخر رسالة قال: (وأنا قد بذلت لك النصيحة في هذه الرسالة لما ظهر لي من نبلك فاعتبرها وتدبرها والله يجعلها نورك)[2]، فألف عبد الصمد الخزرجي كتابا "مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان"، وكان محتوى هذا الكتاب الرد بالدليل على رسالة القس القوطي.

وجاء في كتاب مقامع الصلبان تبيين فضل الإسلام وتبيين العقيدة الإسلامية الخاصة بالمسيح ومناقشة العقيدة المسيحية في ألوهية المسيح والصلب والفداء، وأورد شواهد من الإنجيل على أن فيليب اعتبر نفسه نبيا، وبين تناقضات الإنجيل والرد على عقيدة التثليث والكثير من الردود التي أفحمت مناظره القس الغوطي.

- القرطبي (ت671هـ/1237م)[3]: ألف كتابا في العلم مقارنة الأديان بعنوان "**الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، وإثبات نبوة نبيينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام**"، وجاء كرد على رسالة من رسائل النصارى طليطلة.[4]

[1] أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، **مقامع الصلبان**، تح عبد المجيد الشرفي، (ب.ط)، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية الجامعة التونسية، تونس، (ب ت ن)، ص 30الى37.

[2] عبد الصمد الخزرجي، المصدر السابق، ص 38.

[3] **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي المفسر من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، التذكير بأمور الآخرة.. الخ، توفي سنة 671هـ/1273م، ينظر: خالد عبد الحليم السيوطي، مرجع سابق، ص90.

[4] خالد عبد الحليم عبد الرحمان السيوطي، المرجع السابق، ص89.

ومن المناظرات التي نمت عبر المراسلة ما جرى مع أبو مروان ابن ميسرة[1]، هو الذي اجتمعت أساقفة النصارى بطليطلة... وكتبوا له رسالة عدد أسطرها30، فأجابهم الإمام القاضي وأحسن في الجواب وأظهر لهم جهلهم وتبلدهم.[2]

ومن المناظرات التي وقعت في الغرب الإسلامي ما ذكره ألسكوني (ت717هـ/1317م) قال: (ذكر أن نصرانيا ورد قرطبة فطلب المناظرة فاتفق أن اجتمع به ابن الطلاع بعد حكاية طويلة اختصرنها فقال له النصراني: ما تقول في عيسى؟ فقال له ابن الطلاع لعلك تريد المبشر بمحمد؟ فانقطع النصراني لأنه رأى إن أنكر له هذا الوصف كذب إنجيله وكفر بعيسى على الحقيقة لأنه إنما أقر بعيسى آخر وإن أقر لزمه الدخول في الإسلام لما وجب عليه عند إيمانه بعيسى من الإيمان بما بشر ربه وإلا فليس بمؤمن[3].

ويبدو أن النقاشات والمناظرات بين المسلمين والنصارى... حول أمور تتعلق بالدين الإسلامي، كانت سببا في إنتاج حوار هادئ بين الجانبين، كما أدت إلى بعض المواجهات العنيفة بسبب تجاوز النصارى لحدودهم، وهكذا فقد كان المدجنون أو المستعربون هم أقطاب هذه النقاشات، ولا شك أن هؤلاء استفادوا من أجواء التسامح التي سنها المسلمون في الأندلس.[4]

2- المناظرات الدينية بين المسلمين واليهود في الغرب الإسلامي:

انتشرت المناظرة الدينية بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى بين المسلمين في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وبلغت أوجها في القرن 5و6هـ وشهدت مظهران من

---

[1] **مروان ابن ميسرة:** هوا أبو مروان عبد الملك بن ميسرة بن خلف بن الفرج بن عزيز، اليحصيبي، من أهل شنتمرية الشرق، سكن قرطبة، وولي القضاء بها، كان من أهل الزهد والورع، على منهج السلف، قال عنه ابن بشكوال: هوا ممن جمع الله له الحديث والفقه، مع الأدب، توفي سنة552هـ، ينظر: لابن الآبار، المعجم في أخبار القاضي الصدفي، 257و258.

[2] خالد ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي الغامدي، مرجع سابق، ص463.

[3] أبو علي عمر السكوني، **عيون المناظرات**، تح سعد غراب، (ب. ط). منشورات الجامعة التونسية، تونس1976 ص298.

[4] عبد الله بن علي الزيداني، **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، (ب ط)، مطبوعات الملك عبد العزيز الرياض، السعودية، 1417هـ/1996م، ص23.

مظاهر الجدل الديني، أولهما مظهر التسامح حيث يكتب ابن النغريلة[1] وهو بين ظهران المسلمين كتابات جدلية طاعنة في الإسلام كما تصل وفود الفرنجة إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة (ت474هـ)، تدعوه صراحة لتنصير، وكان مركز هذه المناظرات في الأندلس وراجع ذلك إلى الاتصال المباشر بين المسلمين وأهل الكتاب في الأندلس، الذي يكاد يكون امتزاجا[2].

وراجع أيضا إلى الدفاع عن الإسلام ضد تطاول اليهود وكيدهم للمسلمين فقد عاش اليهود في الأندلس فترة ازدهار عظيمة وتمتعوا بالتسامح لا تحلم به أي أقلية في أي زمان أو مكان ولكن اليهود هم اليهود في كل زمان ومكان بما كان منهم إلا أن استغلوا التسامح فألفوا كتبا جدلية لنيل من الإسلام وعقائده.[3]

ومن المناظرات التي وقعت بين المسلمين واليهود في الغرب الإسلامي، مناظرة دارت بين أبو الحجاج يوسف ابن موسى الضرير السرقسطي (ت520هـ)، ورجل من أحبار اليهود في الأندلس خلال نهاية القرن 5هـ وبداية القرن 6هـ، فالطرف الأول كان يدافع عن قضية عقدية تخص مسألة جواز نسخ في القرآن الكريم والثاني يسعى إلى إبطال ذلك لأن إقراره بالنسخ هو إقرار بشريعة القرآن وأحقيته عن باقي الشرائع الأخرى.[4]

وقد وقعت مناظرة قصيرة بمدينة مراكش بين أبي عثمان سيعد العقباني ويهودي يشتغل في العلوم لم يذكر اسمه وكان موضوع هذه المناظرة يدور حول عموم الرسالة المحمدية[5].

---

[1] إسماعيل بن النغريلة(383-448هـ): قال محقق ج3 من رسائل ابن حزم، د إحسان عباس: لم يكن أندلسيا بل كان أهله من الطارئين على الأندلس نشأ بقرطبة ودرس التلموذ على الكاهن حنوك كما درس الأدب والعربية وهاجر من قرطبة بسبب فتنة البربر كان وزيرا عند باديس بن حوسب، ينظر: ابن حزم الأندلسي، رسالة في الرد على بن النغريلة اليهودي، ص8و9.

[2] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص101.

[3] ابن حزم الأندلسي، رسالة في الرد على بن النغريلة، مصدر سابق، ص46.

[4] محمد الفتات، **مقال علم مقارنة الأديان وأثره في المناظرات العقدية بالغرب الإسلامي أبو الحجاج يوسف بن موسى الظرير نموذجا**، المجلد11، العدد3، 2021/05/09، قسم التراث الكلامي والصوفي والأصولي بالغرب الإسلامي، كلية أصول الدين جامعة عبد الملك السعدي، تطوان المغرب، ص51.

[5] محمد المنون، مرجع سابق، ص391.

حيث سأل هذا اليهودي بقوله: ما دليلكم على عموم رسالة نبيكم؟

فأجاب سعيد العقباني: بعث الرسول صلى الله عليه وسلم للأحمر والأسود.

فقال اليهودي: هذا خبر أحد لا يقيد إلا الظن والمطلوب القطع.

قال سعيد العقباني: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[1].

قال اليهودي: هذا لا يكون حجة إلا على القول بصحة تقديم الحال على صاحبها المجرور، وأنا لا أقول بصحته، هذا ما نقلته لنا المصادر من هذه المناظرة. [2]

وإن ابن حزم الأندلسي قد تعلم العبرية ودرس التوراة بعد أن وجد نفسه وجها لوجه أمام بعض المجادلين من اليهود في شؤون العقائد فكان يناظرهم وكثرت المناظرات وتعددت حيث قال ابن حيان: "ولهذا الشيخ أبي محمد مع اليهود ... مجالس متفرقة وأخبار مكتوبة"، وكان من أوائل من لقيه ابن حزم من اليهود في مناظرة ابن النغريلة سنة 404هـ ... وفي هذا اللقاء سأله ابن حزم عن قول التوراة ((لا تنقطع لليهود المخصرة ولا من نسبه قائد حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم))، وقال ابن النغريلة لم نزل رؤوس الجولات يتناسلون من ولد داوود وهم من بني يهوذا وهي قيادة وملك ورياسة، فقال ابن حزم: هذا خطأ لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم وإنما هي تسمية لا أحقية لها ولا له قيادة ولا بيده مخصرة...إلخ ثم لم يذكر ابن حزم ماذا كان رد ابن النغريلة[3].

ومن المناظرات التي وقعت في عموم الرسالة في الأندلس بين أحمد بن عبد الصمد الخزرجي(ت582هـ) واحد الأحبار من اليهود حيث قال الخزرجي: (وقد ناظرني يوما أحد أحبار اليهود وأهل الذكاء منهم، في هذا– يقصد قول الله في التوراة "سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك" يقصد موسى– فقال: اليهودي هذا كله صحيح لا أجد اعتراضا عليه، غير أنه قال: سأقيم لبني إسرائيل؛ ولم يكن محمد إلا إلى العرب. فقلت له: ما على الأرض

---

[1] قرآن كريم، سورة سبأ، الآية 28.

[2] رفاف شهرزاد، **مقال فن المناظرة بالمغرب الأوسط الزياني: نموذج مناظرات القاضي سعيد العقباني(ت811هـ/1408م)**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، تاريخية، 2019/05/28، قسم التاريخ جامعة بشار، المجلد14، العدد1جوان2019، ص244.

[3] ابن حزم الأندلسي، رسالة في الرد على بن النغريلة، مصدر سابق، ص17.

أحد يجهل أن محمدا قال: "بعثت إلى الأبيض والأسود والحر ولبعد والذكرى والأنثى"، وهذا كتابه ينطق انه مبعوث إلى الخلق كافة فلو أمكنك أن تقول إنما ادعى انه إلى العرب خاص لكانت لك حجة فقال: لا يمكنني ولا غيري دفع ذلك وبذلك اخبرنا أسلافنا من اليهود عنه انه قال: "بعثت إلى الخلق كافة إلى فرقة من فرق اليهود يقال لها العيساوية"، ولسنا على شيء مما هم عليه، ثم عطف على يهودي بجانبه وقال له: نحن قد جرى نشؤنا على اليهودية، وبالله ما أدري كيف نتخلص من هذا العربي، وإن أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء.).[1]

مما لا شك فيه أن الأندلس عرفت تيارات يهودية مهمة نشطت الحركة الفكرية والأدبية بالأندلس عامة كانت توجد دوما طائفة من سكان اليهود عددها لا بأس به تقطن مدن إسبانيا الإسلامية والمسيحية على حد سواء كانت أحوالها مزدهرة وخصتا في أراضي الإسلام على شيء كبير من التنظيم.[2]

وعرفة غرناطة[3] خاصة جالية كبيرة من اليهود واشتهرت باليهود حتى سمية بغرناطة اليهود ومن الذين استقروا بها من اليهود بنو النغريلة الذين أدركوا مكانة ثقافية وسياسية مهمة في عهد باديس بن حبوس[4]، وعرفت سرقسطة بدورها وفودا من اليهود استقروا بها.

[1] أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، المصدر السابق، ص120.

[2] المصطفى الوظيفي، **المناظرات في أصول التشريع الإسلامي دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي**، (ب ط)، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، 1419هـ/1998م، ص15.

[3] **مدينة غرناطة:** مدينة من الإقليم الرابع، ومعناها (رمانة)، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها، وأحصنها، يشقها نهر القلزم، ويقول المقري: "غرناطة من أحسن بلاد الأندلس وتسمي بدمشق الأندلس"، وتقع في الجنوب الشرقي، وكانت أخر معاقل المسلمين في إسبانيا، وقد سقطة في عهد ملوك بني الأحمر سنة 897هـ، ينظر: عبادي عبد العباس محمود الزيادي، **اتجاهات وصف المدن الأندلسية في منتصف ق2هـ حتى سقوط غرناطة**، رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية إش علي محمد حسين الخالدي، كلية الأدب، جامعة الكوفة، العراق، 1436هـ/2015، ص8

[4] **باديس بن حَبُوس:** ابن ماكس بن بُلُكِّين بن زِيري بن مَناد الصنهاجي، من قُوَّاد البربر، تملك غرناطة، وجيش الجيوش وحارب المعتصم صاحب المرية كان سفاكاً للدماء، ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص591.

وان اهتمام هذه الجالية من اليهود بالمنطق والفلسفة والكلام وبضبط الدراسات التلموذية سيخلق تناظرا فكريا واسعا بين اليهود والمسلمين الذين كان لهم سبق الحديث في المسائل العقدية.[1]

رابعا: مكانة المناظرة وعوامل شيوعها في الغرب الإسلامي:

1- مكانة المناظرة وأهميتها في الغرب الإسلامي:

لقد عُني العلماء في الإسلام بالجدل والمناظرة عناية شديدة من يوم أن نشب الخلاف الفكري بين العلماء ورجال الفكر لكي يكون في دائرة المنطق والفكر المستقيم، أسموها علم الجدل أو علم الأدب البحث والمناظرة[2]، فلقد أقيمت على أثر هذا الخلاف مجالس عرفت بالمناظرة، كما وضعت تأليف على هذه الطريقة في مختلف الميادين وظهرت صنوف من الخطابات تقر بالمناظرة منهجا فكريا بل حيث ما وجدت مذاهب ومدارس واتجاهات في مجال من مجالات المعرفة الإسلامية، كانت المناظرة طريقة تعامل بينهما، وهذا شأن الفقه (باب الخلاف)، والنحو (باب القياس) والأدب (النقائض)، ولم تكن المناظرة وجهة تفاعل التيارات التي تنتسب إلى قطاع علمي فحسب بل طبعت أيضا التعامل بين أهل العلم من القطاعات المختلفة ومن هذه تظهر مكانة هذا العلم في الإنتاج الإسلامي حيث شكل طريقا لريادة وسببا لرقي العلوم وعماد العلم، ساهم في إثراء الرصيد العلمي المنهجي لكثير من العلوم على غرار أصول الفقه، حيث شكلت المناظرة التي كانت تقوم بين مختلف العلماء رصيدا معرفيا ساهم بشكل كبير في حسم الكثير من القضايا الخلافية.[3]

وإن المناظرة والمجادلة في الأساس هو أسلوب علمي اعتمده أهل المغرب والأندلس من العلماء وطلبة العلم في تقرير المسائل والدفاع عنها أمام الملأ، بل أنه من طريق التعليم

[1] المصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص16.

[2] أبو زهرة، تاريخ الجدل، مرجع سابق، ص6.

[3] عبد الرحيم لبقية، **منهج الاستدلال في الحوارات الأصولية عند علماء الأندلس (الباجي وابن حزم) أنموذجا** مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إش قندوز ماحي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، (ب ت م)، 1437-1438هـ/2015-2016م، ص44.

وأخذ الفقه عندهم وهذه طريقة ثانية ومرتبة عالية لا تكون إلا لمن وصل إلى درجة معينة من العلم والرواية من الفقهاء والعلماء.[1]

وقد كان أهل الباطل من النصارى واليهود يتمرسون هذا الفن ويألفون ضد الدين الإسلامي وعقيدتهم، بل تعلموا اللغة العربية والعلوم الشرعية وحركهم في ذلك الدافع الجدلي لمنازلة المسلمين وبالتالي كان لابد لعلماء المسلمين من أن يتعلموا المناظرة وهم أربابها ويعلمها غيرهم من طلابهم حتى من اليهود والنصارى، فها هو العالم الفقيه محمد ابن لب صاحب الأمور الغريبة كان له ارب في التطواف وخصوصا في أرض النصارى يتكلم مع الأسقف في الدين ويظهر عليهم.[2]

وممن عنُي بالمناظرة الإمام القرطبي صاحب **الإعلام** ويذكر أن سبب تأليفه لكتابه رجل منتحل لدين النصرانية، تعرض للملة الحنيفية نال فيها من عصابة الحق المؤمنين في كتاب سماه "تثليث الوحدانية" ويخاطبه على طريقة المناظرة: ((...إني أجاوبك إن شاء الله بمنطق عربي فصيح أسألك فيه مسلك الإنصاف، وأترك طريق التعسف والإعتساف...))، ويذكر كلاما يفيدونا تمكنه من هذا العلم:((...وإنما كلامنا على طريق المناظرة الجارية بيننا، وذلك أنا أرباب النظر يسلمونا ما هو معلوم الفساد، ليتبين تناقض الخصم وتحكمه للعباد ...)، ويؤكد تمكنه قوله: (... فأقول لك: ما حد النظر وحقيقته؟ وما أصوله؟ وكم أقسامه؟ وما أحكامه؟ وما حقيقة المناظرة؟ وما شروطها؟ وكم هي؟ وما الشيء الذي يطلب بالمناظرة؟ وما حقيقة الدليل؟ وكم أقسامه؟ وكم شروطه؟ وما وجه الدليل؟ وما هو المدلول؟ وكم أقسامه؟ فإن كنت تدعي المناظرة، فأجبنا على هذه الأسئلة محاورة...)، هذا علم المناظرة وهذه أهميته وخطورته لدى علماء الغرب الإسلامي في الأندلس فهو طريق وعر ومسلك عصي، لا يجيده إلا من درس أصوله وتمرس في معرفة داله ومدلوله في حقل العلم ومجالس الفقه وهو علم يهدي إلى الحق ويرشد إلى السبيل لمن وفقه الله لذلك.[3]

فقد كان علم الحجاج والتناظر عند علماء الغرب الإسلامي كحامٍ عن العقيدة وذابّ عنها كل ما يشوبها من شبهات، فقد كان الجدل عندهم شديد الارتباط بممارسة الخطابة، من

[1] محمد عبد الحميد عيسى، **تاريخ التعلم في الأندلس**، ط1، دار الفكر العربي، لبنان، 1982م، ص399.

[2] خالد بن ناصر سعيد آل حسن العبدلي الغامدي، مرجع سابق، ص446-447.

[3] خالد بن ناصر سعيد آل حسن العبدلي الغامدي، المرجع السابق، ص 448.

أجل نصرة الحق ورفع الخلاف الحاصل بينهم في الفروع والأصول[1]، وكانت المناظرة خلال الصراع الفكري الحاصل في الغرب الإسلامي السلاح الأول الذي اهتم به علماء الغرب الإسلامي واعتمد عليه كل الأطراف لعرض أفكارهم والدفاع عنها، ولعلم الكلام أثر كبيرا في تطور المناظرة شكلا ومضمونا، وقد كان الأدب الذي أعطى لعلم الكلام الزيادة والتطور وهكذا كان سببا رئيسيا في إعطاء المناظرة الأهمية والحيوية التي بلغتها في الغرب الإسلامي[2].

وأشتهر علماء الأندلس بكثرة المناظرة ومواجهة الآراء الأخرى المخالفة، فكان الفقهاء يتمنون الجلوس قصد المناظرة، لما في ذلك من الفوائد العلمية ويتبادلون الأراء الفقهية، والإطلاع على الاجتهادات العقلية المشفوعة بالدليل الشرعي، ويقدمون ذلك على التعلم والاستماع وذلك ما صُرح به علانية قال أحمد ابن خالد: كنا إذا جلسنا لسماعي من أبي صالح ربما تولد المناظرة فيظهر محمد ابن عبد الرحمان من ذلك ضيقًا فيقول له أبو صالح هذه المناظرة أشهى إلي من سماعك مني.[3]

ومما يجدر بنا ذكره أهمية المناظرة عند الخلفاء فقد كان خلفاء الدولة الموحدية يعقدون المجادلات والمحاورات والمناظرات في مجالسهم، ويشرفون عليها بأنفسهم لترجيح المذهب الظاهري الحزمي على المذهب المالكي، مثل مجلس عبد المؤمن وأبنه يوسف وحفيده يعقوب، وبسبب هذا الاهتمام بالمناظرة ومكانتها عند العلماء والحكام حذق الفقهاء أساليب جدل والمناظرة وافتتحوا بذلك عهدا جديدا بالغرب الإسلامي.[4]

وفي الدولة الرستمية حاول التصدي لمذهب المعتزلة وتعاملها معهم بشدة ومواجهة جد صارمة وأدخل مذهب الدولة الرستمية المذهب الإباضي في مناظرة علمية ونيزالات فكرية كأسلوب ووسيلة من وسائل الصراع السلمي الأدبي سلكه الطرفان وكان دخول المعز

[1] لطيفة كرميش، مرجع سابق، ص45

[2] أمينة شكشاك، مرجع سابق، ص45.

[3] مصطفى الهروس، مرجع سابق، ص364.

[4] توفيق أحمد الغلبوزي الإدريسي، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس**، ط1، دار ابن حزم لنشر والتوزيع الرياض، السعودية، 1428هـ/2006، ص858

في مناظرات فكرية وعقادية مع الإباضية بهدف تحمس الأتباع ورفع معنوياتهم وبالتالي تهيئتهم نفسيا بغية إعدادهم لثورة ضدهم لاحقا.[1]

وكانت تعقد مجالس مناظرة في الغرب الإسلامي وكانت مجالس المناظرة مجالس موقر معظم يحظره جمع من طلبة العلم النابغين والمشايخ المشهورين بالعلم والفقه ... وفيها يطرح العالم مسألة من مسائل العالم أو حديثا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدور النقاش حوله... فقد كان أحد علماء الأندلس وهو أحمد ابن عثمان يبدأ في المناظرة بذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يورد الحديث والحديثان والثلاثة والموعظة ثم يبدأ بطرح المسائل.[2]

2- عوامل شيوع المناظرة وازدهارها ف الغرب الإسلامي:

هناك عوامل متعددة أعانت المناظرة بالأندلس والمغرب، فقد لعب الاجتهاد دوره في كثرة التناظر حول بعض القضايا الفقهية، كما لعب التسامح الديني الذي طبع أهل الأندلس دوره في نمو المناظرات الكلامية بين المسلمين وأهل الملل الأخرى.. [3].

إن الوضعية السياسية التي آلت إليها دول الغرب الإسلامي لم تكن مانعة من انتشار الثقافة والعلوم خاصة ما حدث في الأندلس بداية من القرن 5هو6هـ فإنه كان عصر الانحطاط السياسي إنما يلازمه تجديد في نتاج الفكر لا مثيل له[4]، حيث خلقت هذه الوضعية السياسية ازدهارًا ثقافيا خاصة في الأندلس في عصر ملوك الطائف وخلقت تنافسا بين ملوك الطوائف في احتضان العلماء والشعراء والإغداق عليهم، فنشطت الحركة الفكرية وتنوعت العلوم التي نشأت في الغرب الإسلامي عموما والأندلس خصوصا لم تكن تقتصر على الشعر والأدب بل تعدتها إلى الاهتمام بجميع أنواع العلوم والمعارف ومن جملة ما اهتم به اهتماما بالغًا المناظرة لما لها من أهمية بالغة في الحياة السياسية والثقافية فقد

[1] سبع قادة، مرجع سابق، ص88.

[2] خالد بن ناصر سعيد آل حسن العبدلي الغامدي، مرجع سابق، ص449.

[3] المصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص11.

[4] ليفي بروفينصال، **حضارة العرب في الأندلس**، تر ذوقان قرقوط، (ب ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، (ب س ن)، ص 24.

خدمت المناظرة الأمراء منذ عصور متقدمة اتخذوها كمعول لنصرة مذاهبهم وقضاياهم الفكرية والمذهبية[1].

وإضافة إلى ذلك هناك العامل الثقافي الذي أدى إلى شيوع المناظرة وازدهارها في الغرب الإسلامي وهو يتمثل في التيارات الفكرية والدينية التي استقرت بالمغرب والأندلس في ق4و5هـ، فقد عرف الغرب الإسلامي تيارات فكرية ودينية التي تمثلت في اليهود والنصارى وبجانبهم التيارات الإسلامية الأخرى التي تتمثل في الفلاسفة وعلماء الكلام والفرق السياسية والفقهاء على اختلاف مذاهبهم فإن هذه التيارات كان لها صدى واسعا بالأندلس والتي ساهمت بقدر كبير في ازدهار المناظرة الأندلسية[2].

هناك عامل بالغ الأهمية أدى إلى ازدهار المناظرة في الغرب الإسلامي وهو عامل الخارجي يتمثل في علاقة ثقافية وسياسية وتجارية بن المشرق الإسلامي والغرب الإسلامي فإن الثقافة في الغرب الإسلامي استفادت من الثقافة المشرقية وذلك عن طريق عدة مسالك سهلت هذا الاتصال:

- **عن طريق الكتب** وقد دخل من المشرق إلى المغرب الإسلامي عدد هائل من الكتب.

- **عن طريق الرحلات** التي نشطت بين المشرق والمغرب.

- **عن طريق الوفود الوافدة من المشرق إلى المغرب** والوفود المغاربية والأندلسية التي استفادت من رحلاتها إلى المشرق في نقل علوم المشرق للغرب الإسلامي.

كل هذه القنوات قد ساعدت على تواجد الثقافة المشرقية بالغرب الإسلامي وهذا ساعد على ظهور فن المناظرة وتطوره وازدهاره وكان من العوامل الأساسية في انتشاره.[3]

إن الأندلس قد انفردت بعوامل أدت إلى ظهور فن المناظرة وازدهارها خاصة في القرن4هـ و5هـ، خاصة الخلفية الثقافية وأثر المجالس الأدبية الأندلسية الدور الكبير في هذا

[1] مصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص 14.

[2] المرجع نفسه، ص 27.

[3] المرجع نفسه، ص 15.

التطور، حيث تعلق عديد من أمراء الأندلس وحكامها بالمعرفة ومشاركتهم في ميدان الثقافة ومن العوامل التي أدت إلى ازدهار المناظرة في الأندلس نذكر ما يلي:

- **الانفتاح على الثقافات الأخرى والتسامح الديني والتعايش مع معتنقي الأديان التوحيدية الثلاث** فقد كان المجتمع الأندلسي مزيجا متبايناً من عناصر شتى تختلف في العرف والدين.

- **طبيعة الأندلس الساحرة وأرضيها الخصبة** التي فتن بها الشعراء وكانت مصدر إلهامهم وقد وظف الأدباء المناظرة في التعبير عن شغفهم بالطبيعة.

- **التقاء جميع الديانات السماوية الثلاث** ساهم في إثراء الجدل الذي جمع بين أتباع هذه الديانات فأصبحت المناظرة منهجا لدعوة إلى دين الله والدفاع عن العقيدة الإسلامية.

- **النزعة الوطنية عند أهل الأندلس** حيث كانت المناظرة ميدانًا خصبًا لوصف جوانب حضارتها وتمسك بأصالتها.

- **تأثر الأندلسيين بالمؤلفات العلمية والأدبية** التي حملت إليهم من المشرق وشيوع المعرفة الفكرية والانفتاح على ثقافات الآخرين عن طريق الترجمة.

أظن إلى هذا تعددت موضوعات المناظرة في الأندلس وكانت المرآة التي تعكس الجوانب الشاسعة الثقافية والدينية التي انتشرت في بلاد الأندلس آنذاك ومن الموضوعات التي تناولها علماء الغرب الإسلامي في المناظرات مناظرة بين الحكام وأفراد الرعية ومناظرات الفقهاء والفلاسفة والمناظرات التي جامعت بين الطوائف الإنسانية كما عند ابن حزم والمناظرات التي ترد على دعاة الفرق ومثيري الفتن.[1]

[1] مصطفي الوظيفي، مرجع سابق، ص15الى28.

خلاصة:

المناظرة فطرية في الإنسان، محركها العقل البشري الباحث عن الحقيقة، تطورت بتطوره، فبلغت مرحلة متقدمة في عصر فلاسفة اليونان، وكانت للبيئة العربية في الجاهلية نصيب من هذا الفن، الذي عرف تطوره في الساحة الأدبية، أما عند المسلمين بدأت المناظرة تأخذ منحى آخر، فظهرت بقوة لتعالج القضايا العالقة وتفض النزاع، فتطورت عبر عصور الدولة الإسلامية، من الأموية إلى العباسة في المشرق، وانتقلت إلى الغرب الإسلامي، وهناك أخذت المناظرات أوجها، خاصتنا في الأندلس وتطورت وتنوعت من مناظرات فلسفية ودينية، وفقهية وعقائدية، حتى أصبح أهل الغرب الإسلامي أصحاب هاذ الفن، وظهرت مؤلفات عديدة في هذا المجال وأصبحت المناظرات في الغرب الإسلامي، وسيلة كل دين وكل مذهب لِذَّبِ عن أرائه، لهذا اكتسبت أهميتها لكونها سلاحا لإثبات المعتقدات وترجيح الآراء، وعلم يحرر العقل وينشط الحركة العلمية والفكرية.

الفصل الثالث

المناظرات بين ابن حزم والباجي

أولا: الأسس التاريخية للمناظرات بين الإمامين ابن حزم والباجي.

ثانيا: منهج ابن حزم واستدلالاته.

ثالثا: الباجي وقضايا عصره.

رابعا: بعض موضوعات المناظرة بين الأمامين.

تمهيد:

من غير الممكن الفصل بين الجانبين السياسي والعلمي لأي دولة وفي أي عصر من العصور إذ لكل منهما تأثير سلبا أو إيجابا فمتى وقع التوافق بين الجانبين وقع التفاعل الايجابي، ومتى وقع الخلاف بينهما وقع التفاعل السلبي وظهر العداء والتنافر وحاول كل طرف إضعاف الطرف الاخر.

لقد شهد القرن الخامس هجري تغيرات على المستوى السياسي الفكري في العالم الاسلامي ولم تكن الأندلس بمنئ عن هذه الأحداث حيث كان لها نصيب من ذلك.

الأسس التاريخية للمناظرات:

1- الحالة السياسية والفكرية للأندلس في القرن 5هـ:

تستلزم القاعدة المنهجية أن نعرض في البداية أوضاع الأندلس في القرن الخامس الهجري لتتجلى لنا صورة التمزق السائدة آنذاك، فقد تقاسم الأندلس مجموعة من المتربصين بالسلطان، ممن استبدوا بنواحهم، فأسسوا كيانات ضعيفة وصل عددها إلى ثلاث وعشرين دويلة، ولدينا نص يبين حالة التمزق في تلك المرحلة على لسان الفقيه ابن عبد البر[1]، الذي عايش أحداث تلك الحقبة حيث قال: "وانقطع ملك بني أمة بعد الأربعمائة بأعوام يسيرة، فصار كل من غلب على موضع ملكه واستبعد أهله، وكثر فيها الأمراء، فضعفوا وصاروا خولاً للنصارى يؤدون إليهم أضعاف ما كان المسلمون يأخذون منهم اليوم"[2].

إضافة إلى ذلك لم تقم دويلات الطوائف على أسس ثابتة قوية بل افتقرت إلى القاعدة التي تضمن لها الكيان السياسي القوي، كما أن صغر مساحة الدويلات وقلة عدد سكانها، وعدم امتلاكها لقوة عسكرية تمكنها من الدفاع عن حدودها، جعل منها دويلات ضعيفة شبيهة بالدولة الإقطاعية حتى " ذلّ الرئيس والمرؤوس، وافتقرت الرعية، وفسدت أحوال الجمع بالكلية؛ فزالت من النفوس الأنفة الإسلامية "[3].

واتسمت العلاقة بين تلك التيارات الطائفية السياسية بالعداء والصراعات الدموية التي أدت إلى ضعفها، وقد وصف أحد المؤرخين هذه الحالة بقوله " وجعل الله بين أولئك الأمراء

---

[1] هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الاندلسي القرطبي المالكي قال فيه الذهبي ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم وقوة الفهم وسيلان الذهن له مصنفات جمة في الفقه وعلم الحديث وعلوم القرآن توفي في 463هـ. ينظر إلى شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي ط1، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان،1453 1984 ج 18 ص 153 و154 و155.

[2] عمر راجح شلبي، **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري**، مجلة الجامعة الإسلامية جامعه الخليل الضفة الغربية فلسطين، جويلية 2008، العدد2.

[3] عمر راجح شلبي، المرجع نفسه ص 264.

ملوك الطوائف من التحاسد، والتنافس، والغيرة ما لم يجعله بن الضرائر المترفات والعشائر المتغايرات".[1]

هذه الحالة أدت إلى طمع القوي بالضعيف، وألتفّ كل عنصر حول حزبه، متناسين مسؤولياتهم الوطنية، وتجسدت العنصرية، والطائفية، والقبلية في الأندلس، فحرص كل منهم على السيطرة على جزء من الأندلس، وتقاسموا ألقاب الخلافة، فمنهم من تسمى (المعتضد) ومنهم من تسمى المأمون، وآخر المستعين والمعتمد والموفق إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية، التي تعكس حالة التفكك والضعف والانقسام، لذلك لم يصمد ملوك الطوائف أمام هجمات النصارى الذين وحدوا قواهم ليحققوا حُلمهم في استرجاع بلادهم من المسلمين[2].

واستغلت ممالك إسبانيا النصرانية هذه الفرقة بين ملوك المسلمين، فأعانوهم على بعضهم البعض لإضعافهم، وابتزاز الأموال منهم، قال ابن الكردبوس[3]: " وكان أسرّ شيء على الفنش فتنة تقع بين الولاة – إشارة إلى ملوك الطوائف – من المسلمين، فيعين هذا على هذا، وهذا على هذا، فيستجلب بذلك أموالهم طمعاً من أن يعجزوا فيظفر بملك الجزيرة كلها"، وذكر دوزي[4] أن الفونسو السادس، كان من القوة التي تمكنه من السيطرة على شبه الجزيرة، إلا أنه رأى ألاّ يتعجل ذلك، حتى يستنزف أموال المسلمين، ثم السيطرة على الأرض، لأجل تحقيق ذلك جنحت الممالك النصرانية إلى الوحدة لتحقيق أهدافها القومية[5].

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، **أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**،تح ميشال بروفينسال،دار المكشوف، 1956،ص244، عمر راجح شلبي، المرجع سابق، ص 264.

[2] عمر راجح شلبي، المرجع نفسه ص 264.

[3] هو الفقيه العلامة المؤرخ مروان عبد الملك بن الكر دبوس التو زري وهو إمام في الحديث مشهور وشهرته تغني عن ذكره كان مما من أدرك أبا حريري محمد وقد عاصر دولة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن الذي حكم دولة الموحدين من عام 580هـ إلي 595هـ ومن المرجح أن بن الكربدوس قد عاش إلى غاية نهاية حكم هدا الأخير من مؤلفاته الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ينظر بن الكربدوس التو زري، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، نح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية بيوت لبنان، 1971، ج1 ص5 – 9.

[4] هورينهرت دوزي مستشرق هولندي يرجع إلى إقليم دوزي ولد سنة 1820 استاد التاريخ بجامعة لندن وعنى بتحقيق ونشر طائفة من الكتب العربية مابين تاريخية وادبية فاهتم مع بعض المستشرقين بنشر كتاب نفح الطيب توفي سنة 1883، انظر: رينهرت دروزي، **المسلمون في الاندلس**، تر، حسن حبشي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص3و5و16

[5] عمر راحج شلبي، المرجع سابق، 265.

ولم يكن هذا الواقع السياسي المهترئ سوى انعكاس للوضع الاقتصادي السيء الذي أفرزته اعتداءات الفونسو، الذي شكل قوة ضغط على ملوك الطوائف، حتى جعلهم حسب تعبر دوزي " في المعصرة "، وذلك باستنزاف مواردهم المالية عن طريق سنّ ضرائب سنوية ازدادت مقاديرها بشكل كبير إلى درجة أن بعضهم عجز عن أدائها، فكانت جولاته العسكرية تعود كل مرة محملة بالضرائب، كما أصبح الفونسو حسب تعبير أحد الباحثين " من أكبر الوجوه " التي ستضاعف الزحف المسيحي، ولعل تلقيب نفسه بذي الملّتين يؤيد هذا المعنى ويدل أيضا على عزمه استرجاع الأندلس برمتها، وقد ظل الأمر على هذا النحو حتى قدوم المرابطين[1].

ازدادت مكانة العلماء في القرن الخامس الهجري نتيجة حاجة ملوك الطوائف لتدعيم نفوذهم وسلطانهم، فكانوا بحاجة إلى القوة الروحية التي تتمثل في رجال الدين من الفقهاء والعلماء، وكان العلماء في هذا العصر أكبر مساند لأمراء الطوائف في تبرير سياساتهم وظلمهم للرعية، فيخدمون هذا الأمير أو ذاك من أجل الحصول على النفوذ والمال ويضعون فتاويهم الفقهية في خدمة أمراء الطوائف تأييداّ لظلمهم، حتى استفزت أعمالهم بعض كتاب في ذلك العصر، فابن حزم صور ذلك الواقع بقوله: " لا يغرنكم الفساق المنتسبون إلى الفقه، واللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم "، وفي عهد المستكفي بالله تولى كثيرٌ من أصاغر الفقهاء الخطط المختلفة، وشغل بعضهم خطة الوزارة إلى جانب أراذل الناس، وكذلك بالغ في ترقية أصاغر الطبقة الفقهية لمنزلة الشورى فوسم كافتهم بوسم الفتوى، فأسرف في ذلك حتى بلغ عدد أهل الفتيا يومئذ الأربعين[2].

2- حالة الفقه المالكي بالأندلس خلال القرن 5 هـ/11مـ:

لم يكن مذهب المالكي مرافقا للفتح الاسلامي بل كانت الاندلس قبل ذلك على مذهب الأوزاعي حيث كان رأيهم عليه إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمان وقرعوس بن

[1] عمر راجح شلبي، المرجع السابق، ص265.

[2] نفسه، ص 265.

العباس والغازي بن قيس فجاءوا بعلمه وأبانوا للناس فضله واقتداء به، الى ان اخذ أمير الاندلس اذ ذاك هشام بن عبد الرحمان جميعا بالالتزام بمذهب الإمام مالك[1].

أ- عوامل واسباب انتشار المذهب المالكي بالأندلس:

ما كاد القرن الثاني للهجرة ان يشارف على الانتهاء حتى انتشر فقه المدينة عبر كل ربوع الاندلس وصاحبه ما يزال على قيد الحياة وهذه السرعة في القبول والانتشار في باقي البلاد لابد لها من دوافع واسباب وهذا ما دفع الكثير من العلماء والباحثين قديما وحديثا للبحث فيها وتقصيها فتضاربت الآراء فيما بينهم ويمكن ان نلخصها في عدة أسباب داخلية وخارجية.

عوامل وأسباب خارجية:

قوة عارضة الإمام مالك[2] وتلاميذه ومن تبعه من أئمة المذهب على اختلاف دراجاتهم العلمية والاجتماعية وقد قيل "الليث أفقه من مالك لولا ان تلامذته ضيعوه " فقد حرم هؤلاء المذهب تأصيلا وتفريعا وتأليفا ومناظرة[3].

هيبته ووقاره احدى صفات التي جعلت أفئدة طلبة العلم تفد اليه، قال الوافدي " كان مجلس وقار و علم وجلا مهيبا ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ولا رفع الصوت، إذا سئل عن شيء فأجاب سائله ثم يقل له من أين لك هذا[4].

انجذاب أهل المغرب لازم الإمام مالك لأنه نبت وترعرع في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سقي بعلم اتباعه الذين أخذ عنهم الأمام مالك واستفتاهم في المسائل،

---

[1] القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك**، تح محمد تاويت الطنجي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1403.1983، ج1، ص 25 و26.

[2] الإمام مالك بن أنس بن مالك بن ابي عامر، كان جده من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام – مولد كان سنة 93هـ/ 712م. ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين: (ت 799هـ/ 1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1996م. ص 17-18. توفي سنة 179هـ/ 794م. ومن أشهر مؤلفاته الموطأ، المصدر نفسه، ص 25-26.

[3] عبد القادر ربوح، **المذهب المالكي بالأندلس من الظهور إلي عصر التمكين والسيادة**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية العدد 19، ص 325.

[4] محمد أبي زهرة، **مالك حياته عصره آراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي للطبع والنشر، ص 54.

وجمع عنهم الحديث ونظر في أعمالهم التي رآها الامام مالك لاستنباط الاحكام لأنها لا تعدوا أن تكون الا من عمل اقره أو سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال فيه شمس الراعي الاندلسي وهو يتحدث عن مذهب الامام مالك: " ومن وجوب الترجيح لمذهب مالك كونه مذهب أكثر أصحاب رسول الله والتابعين له في مدينته عليه الصلاة والسلام لأنها مهبط الوحي ودار العلم "[1].

مكانة أهل الاندلس عند الامام مالك لهذا استطاع الامام مالك رحمه الله بفضل شخصيته المتميزة من انشاء مدرسة فقهية تميزت عن غيرها من المدارس الفقهية بأنها كانت مدرسة سلوكية أو مذهبا سلوكيا يتأثر به كل من جالس الامام مالك وأخذ عنه وكان يعامل عليه من البلاد البعيدة معاملة خاصة حتى اذا ازدحمت على بابه الوفود، فكان له حاجب يأذن لكل وفد على حدة، وخاصة في موسم الحج، ومع ذلك فقد خص أهل الاندلس بعناية خاصة وعاملهم معاملة متميزة لما لمسه فيهم من رغبة أكيدة في طلب العلم وتمسكهم الشديد بالكتاب والسنة وبعدهم عن العقليات ولكونهم ينتمون الى جزيرة منقطعة عن بر الإسلام وهي حديثة عهد به فأدنى منزلتهم وخصهم في مجلسه فأقعدهم بجانبه في حلقات الدرس قال ابن الفرضي في ترجمة عبد الرحمان بن عبيد الله الابشوني: " كان قد سمع من مالك ابن أنس وكان له مكرما"، وروي عنه أنه قال: " كنت جالسا الى جانب مالك ابن انس فقام ابن وهب فلحظه مالك فقال سبحان الله ايما فتى لولا الاكثار"، وكان يصفهم بأحسن الاوصاف وأجملها ويناديهم بأحسن الألقاب وأنبلها فكان يعجبه يحي بن يحي وسماه العاقل وسبب هذه التسمية المشرفة هو قصة يحي بن يحي مع الامام في قضية الفيل، وتظهر مكانة الاندلسيين عند الامام مالك رحمه الله في مدى ثقته بهم واعتماده على مروياتهم ورواياتها كما سمعها منهم، فكان يحدث عن يحي بن يحي بن مضر القيسي من أهل قرطبة ويصفه بالفقه وقد سئل الامام عن قول الله تعالى " وطلح منضود" فقال رحمه الله أخبرني يحي بن مضر فقيه الاندلس أنه سمع سفيان بن سعيد الثوري يقول " أنه يقصد الموز "[2]

مذهب علمي يعتد بالواقع، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ففقهه عملي أكثر منه نظري يتماشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها وطموحها دون تكلف أو تعقيد، وأهل المغرب

[1] عبد القادر ربوح، المرجع السابق، ص 324.

[2] المرجع نفسه، 325.

بطبعهم يميلون الى البساطة والوضوح ويفرون من النظريات المتطرفة لأن بلدهم لقيت الاهوال والمتاعب بسبب أصحاب الآراء المتطرفة والأفكار الشاذة مما جعلهم يوقنون ان الدين انما هو القران والسنة ولا شيء بعد ذلك زيادة منهم على الحرص على دينهم والتمسك بأصوله خوفا من الانزلاق في مهاوي الضلالات ومن ثم وضعوا المعتزلة والخوارج في كفة الزنادقة وانتقدوا الأحناف وجاهروهم بالعداء الصريح[1].

عوامل وأسباب داخلية:

اعتبار مذهب الامام مالك أقرب لمزاجهم فهو يعتمد على الحديث وعلى اجماع اهل المدينة وهي أمور واضحة لا لبس فيها بعكس المذهب الحنفي القائم على القياس والتعليل والعقل وهذا المنهج أوفق لعقلية الاندلسيين الذين كان أغلبهم من الجند العربي البسيط ومن البربر حديثي الإسلام، فالمغاربة بطبعهم يحبون أن يعيشوا البساطة والوضوح وينفرون من كل ما هو غامض ومعقد ولعله السبب في رفضهم لفكر الخوارج وعقيدة الشيعة رغم المحاولات الملحة التي بذلها أنصار هاتين العقيدتين ردحا من الزمن[2].

خلو الاندلس من المنازعات المذهبية عموما، اذ عدى وجود العصبات المصرية ومنها اليمنية وما نجم عنها من احزان واضطرابات فان الاندلسيين خلت الى غاية القرن 2هـ من أي تأثيرات مذهبية مشرقية سواء كانت فقهية أو عقدية، ولذا يقول مصطفى العشكة: " وليس شك أن كثرة تلاميذ مالك وانتشارهم في الاصقاع الإسلامية كان سببا رئيسيا في انتشار المذهب وغلبته على المذاهب الأخرى غير ان هناك عاملا هاما وهو السياق الزماني الذي كان لصالح مذهب الامام مالك، وكذا القرب المكاني أي قرب الحجاز من الاندلس وإمكانية الاتصال بها بشكل دوري يعكس العراقيل حيث كان مذهب الأحناف[3].

وأضاف ابن خلدون سبب اجتماعي لانتشار وثبات مذهب اهل المدينة بالمغرب والاندلس فقال: "فالبداوة كانت غالبة على اهل المغرب والاندلس، ولم يكونوا يعانون التي

[1] عبد القادر ربوح، المرجع السابق، ص 325.

[2] المرجع نفسه، ص 322.

[3] المرجع نفسه، ص 323.

لأهل العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل بمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب[1].

انتشار المذهب بقوة السلطان:

وهذا ما يراه ابن حزم حيث قال:" مذهبان انتشرا في بدء امرهما بالرياسة والسلطان: مذهب ابي حنيفة فانه لها ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاء من قبله من اقصى المشرق الى اقصى عمق افريقية، فكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين لمذهبه ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فان يحي بن يحي كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاء وكان لا يلي قاض من اقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سرعا الى الدنيا فأقبلوا على ما يرجعون بلوغ اعتراضهم به[2] وهكذا استوثق المذهب من امر الدولة، سيما ان ابن يحي الليثي كان مكينا مؤتمنا عند هشام فكان قاضي الجماعة وهو منصب يعين في الاندلس يعني قاضي القضاة وكان هشام لا يولي القضاء الا من أشار به فانتشر المذهب في القضاء كما في الفتيا وأمر في البلاد الا يقضي الا بمذهب الامام مالك بل وبلغ الامر في زمن الحكم بن هشام ان اقتصر على ما رجحه ابن القاسم تلميذ مالك من أقواله فلا يتجاوز الى غيرها ويعتبر البعض أن هذا الصنيع من أموية الاندلس دليلا على ان مالك كان امويا سيما وأنه أفتى ببطلان البيعة للعباسيين اذا كانت بالإكراه[3] وهذا المستنصر يقول في احدى رسائله:

فمن خالف مذهب مالك بن انس رحمه الله بالفتوى وبلغنا خبره أنزلنا به من النكال ما يستحقه، وقد اخترت فيما رأيت من الكتب أن مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب ولم أر في أصحابه ولا فيمن تقلد بمذهبه غير معتقد للسنة والجماعة فليتمسك الناس بهذا وينهوا اشد النهي عن تركه، ففي العمل بمذهبه جميع النجاة[4].

ويبدوا ان القاضي عياض يسير مع رأي ابن حزم فيستفاد من كلامه أن هشام بن عبد الرحمن ثاني خلفاء بني أمية في الاندلس اخذ الناس جميعا بالتزام مذهب مالك وصير

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 449.

[2] المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص 222، ابن حزم مصدر سابق، ص 18.

[3] عبد القادر ربوح، المرجع السابق، ص 326.

[4] الونشريسي، المعيار المغرب والجامع، مصدر سابق، ج1، ص 12.

القضاء والفتية عليه وذلك في عشر السبعين ومائة من الهجرة في حياة مالك فالتزم الناس به وحبوه بالسيف عن غيره، ويقول في ترجمة ابي بكر الابهري، وبعد موت الابهري وكبار أصحابه وتلاحقهم به وخروج القضاء عنهم الى غيرهم من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وضعف مالك بالعراق وقل طالبوه لاتباع الناس اهل الرياسة والظهور، فهو يعزى ضعف المذهب في العراق وخروجه عنهم لامتناعهم من تولية القضاء وهذا يلتقي مع رأي ابن حزم فيما ذهب اليه من ان المذهب ينتشر بقوة السلطان والنفوذ[1] وأيا ما كان الامر، دور السلطان في حد ذاته، بغض النظر عن النزعة السياسية للملك أو عن دوافع السلطان، كان له أثر بالغ في التمكين للمذهب بالشكل الذي جعله يهيمن على مؤسسات الاندلس الرسمية والشعبية، والناس على دين ملوكهم.[2]

التقليد والجمود الفكري عند الفقهاء المالكية:

كان الغالب على المدرسة المالكية في الأندلس الإتجاه الفروعي المقلد الذي اتخذ طابع التمسك بفروع المذهب المالكي ومسائله مع قلة البضاعة أو عدم الدراية في علم الحديث والأثر والانصراف عن علوم السنة إلى الفقه المحض المجرد عن الأدلة، ومما يؤسف له أن المدرسة المالكية في الأندلس سلكت هذا الاتجاه في بداية نشأتها وظهور أمرها، وأول من خط هذا الاتجاه بالأندلس في ظني هو قرعوس بن العباس بن قرعوس تلميذ مالك وروايته ومن أوائل المالكية الذين أدخلوا المذهب إلى الأندلس يقول فيه بن الفرضي: "وكان علمه بالمسائل على مذهب مالك وأصحابه، ولا علم له بالحديث ومعنى المسائل في اصطلاحهم علم الفروع لا غير، وتقليد مالك وأصحابه في ذلك، وهذا يحيى بن يحيى الليثي المتوفى سنة 234هـ، تلميذ مالك وراوي الموطأ عنه وفقيه الأندلس وعاقلها والذي انتهت إليه رئاسة العلم بها وبسببه استغلظ المذهب المالكي في الأندلس وإستوى على سوقه يقول فيه حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر: « ولم يكن له بصر بالحديث وعبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة 237هـ، عالم الأندلس الذي انفرد برئاسة المذهب بعد يحيى يقول فيه

[1] عمر الجيدي، **نظرات في تاريخ المذهب المالكي أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي** – دعوة الحق– جوان 1982، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية العدد 223 ص 171.

[2] عبد القادر ربوح، المرجع السابق، ص 328.

ابن الفرضي:" كان عبد الملك حافظا للفقه على مذهب مالك نبيلا فيه غير أنه لم يكن له علم بالحديث ولا معرفة بصحيحه من سقيمه"[1].

لم يخرج ابن وضاح لعبد الملك بن حبيب شيئا وكان لا يرضي عنه وحكى الباجي وابن حزم أن أبا عمر بن عبد البر كان يكذبه وكان أحمد بن خالد المحدث سيء الرأي فيه وإتهمه ابن حزم بالكذب[2].

ومن مظاهر الجمود والتقليد قول عبد البر الذي عاب على أبناء بلده من الأندلس «وعند من سلك سبيلنا أهل المغرب فإنهم لا يقيمون علة ولا يعرفون للقول وجها وحسب أحدهم أن يقول فيها رواية لفلان ورواية لفلان حتى صار أحدهم إذا لقي مخالفًا ممن يقول إلى حنيفة أو الشافعي أو داود بن علي أو غيرهم من الفقهاء وخالفه في أصل قوله بقي متحيرًا ولم يكن عنده أكثر من حكاية قول صاحبه[3].

كما إنتقد الشاطبي المقلدة من العلماء الذين ظلوا بسبب إتباع الرجال إذ يقول في بيان حال المقلدة المذهب إمام يزعمون أن إمامهم هو الشريعة بحيث يأنفون أن تنسب إلى أحد من العلماء فضيلة دون إمامهم حتى إذا جاءهم من يبلغ درجة الإجتهاد وتكلم في المسائل ولم يرتبط إلى إمامهم رموه بالنكير وفوقو إليه سهام النقد وعدوه من الخارجين عن الجادة[4].

ويورد بن الفرضي نصًا يوضح جهل الأندلس بعلم الحديث إذ يقول في معرض ترجمته لخالد بن سعد الذي كان إمام في الحديث حافظًا له بصيرا بعلله ومع ذلك فإن يحي القاضي حين طلب منه أن يقيم علم خالد بن سعد قال كان أعور بين عميان، يعني أنه كان أمثل أهل وقته، إذ لم يكن عند أكثر رجالنا المتقدمين تقدما في معرفة علم الحديث وحين

---

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج 3 ص123، وينظر: توفيق بن أحمد الغلبزوزي الإدريسي، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها وأعلامها وأصولها وأثرها**، ط1، مكتبة دار بن حزم، 1422هـ، الرياض المملكة العربية السعودية 1427هـ/ 2006م، ص 106.

[2] توفيق بن أحمد الغلبزوزي، نفسه، ص 107.

[3] أنسام غضبان عبود: **الصراع الفكري في الأندلس**، محنة بقي بن مخلد المتوفى سنة (276هـ/ 889 م) أنموذجا، مجلة آداب البصرة 2018، جامعة البصرة، العدد. 82، ص 282.

[4] المرجع نفسه، ص 281.

نعود يرى أولئك الرجال المتقدمين على حد تعبير القاضي يحي ندرك إلى أي مدى كان هذا النص دقيقا تكشف كتب التراجم الأندلسية عن أسماء عدد من علماء الأندلس العلمية أو شغلوا مناصب إدارية مهمة ذات طابع ديني في عصر الإمارة وعلى الرغم مما حازه هؤلاء من مقام رفيع إلا أن أغلبهم لم يكن له حظ من علم الحديث وإن أكثر من يرويه منهم لا يحسن النظر في علله وطرقه وأسانيده وقد إعتمد رجال العلم في الأندلس كتاب الموطأ لمالك بن أنس في الفقه والحديث وسلموا بكل ما جاء به واقتصروا عليه دون النظر في غيره[1].

ومن مظاهر الجمود والتقليد إقتصار مواضيع مجالس الجدل والمناظرة بعلم الفقه على أمهات كتب المذهب المالكي ومنها المدونة فكان الهدف من هذا الجدل الفقهي قياس درجة حفظ الفقيه المالكي فلم يكن الأصل في المناظرة تأصيل فرع أو إجتهاد في مسألة بل إقتصر أمر الجدل في غالبه على إجترار بعض المسائل المدونة فقد كان أبو عمر بن القطان يقدم مقدمات ابن أبي زيد لأحكام كتابة المختصر في حين أهم ابن جعفر ابي رزق بتلك المقدمات وجاء بمنهج جديد فالمناظرة لقيامه بذكر مقدمة شاملة لكل قسم جديد من المدونة يبدأ به المناظرة[2].

ومن مظاهر التقليد واجترار المسائل كتاب العتيبة أو المستخرجة أسسوا ما يمثل هذا الاتجاه بالأندلس وقد جمع العتبي هذه المستخرجة وكثر فيها الروايات المطروحة والمسائل الشاذة وكان يؤتى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبته قال أدخلوها في المستخرجة، وقال أسلم بن عبد العزيز قال لي محمد بن الحكم أتيت بكتب حسنة الخط تدعى المستخرجة من وضع صاحبكم العتبي فرأيت جلها كذوبًا ومسائل لا أصول لها ومما قد اسقط وطرح وشواذ من مسائل المجالس لم يوافق عليها أصحابها فخشيت أن أموت فتوجد في تركتي فوهبتها لرجل يقرأ فيها، ورغم هذا كله فإن الكتاب وقع عليه الإعتماد من الأعلام المالكية كابن رشد وغيره وعولوا عليه كثيرًا حتى قال الامام ابن حزم لها القدر العالي والطيران الحثيث[3].

---

[1] مقال: أنسام غضبان عبود، المرجع نفسه ص 282.

[2] محمد صابه، الجدل الفقهي في الأندلس (ق 4هـ- 6هـ / 10م - 12م) بين بساطة مسائله وتجديد وسائله، المرجع السابق، ص 180.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوزي: المرجع السابق، ص 110.

ومن أسوأ ممثلي هذه الفترة المدرسة المالكية بالأندلس أصبغ بن خليل المتوفى سنة 273هـ تلميذ قرعوس بن العباس والغازي بن قيس ويحيى بن يحيى الليثي وغيرهم كان حافظا كان حافظا للرأي على مذهب مالك وأصحابه فقيها في الشروط، بصيرًا بالعقود قال ابن الفرضي: "دارت الفتيا عليه بالأندلس خمسين عاما ولم يكن له علم بالحديث ولا معرفة بل كان يباعده ويطعن على أصحابه وكان متعصبا لرأي أصحاب مالك، ولابن القاسم من بينهم، وبلغ به التعصب لأصحابه أن افتعل حديثا في ترك رفع اليدين في الصلاة بعد الإحرام، ووقف الناس على كذبه فيه، وكان أيضا معاديا الى كتب السنة المعتمدة نفسها، قال قاسم بن أصبغ: سمعت أصبغ بن خليل يقول: "لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة"[1].

ومحنة بقى بن مخلد الذي أدخل علم الحديث إلى الأندلس حيث لم يستسغ علماء الأندلس ما قام به بن مخلد فبمجرد عودته من رحلته الثانية سنة 244هـ بزاد كبير من العلم غريب عن الأندلس سعوا به عند السلطان وأخذو يخوفونه من الخطر السياسي وهو إختلاف كلمة المسلمين وحرضوا العامة عليه ووصفوه بأنه مارق عن الدين ومنعوه من قراءة مسند ابن أبي شيبة وسعو إلى حتفه وحرضوا على سفك دمه أنفة منهم لما أدخله عندهم من الروايات المختلفة لرأيهم وكان من جملة المعارضين عبد الله بن خالد ومحمد بن الحارث صاحب الصلاة والشرطة[2].

فالسلوك المفرط في الولاء للمذهب المالكي، والأساليب التي إتبعها فقهاء المالكية بالأندلس للتمكين لهذا المذهب وفرض قواعده على إتجاهات التفكير الأندلسي قد ضيق دائرة البحث في المجال الفقهي زهاء قرن من الزمن منذ دخول المذهب المالكي إلى قرطبة أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي حتى قيام رجال الحديث القرطبيين من أمثال بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح والخشني بمحاولاتهم التي تتمثل في جلب كتب السنن من العراق حينها إتهم فقهاء المالكية بالتقليد مما يثير سؤلا مهما وهو، هل وجد في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي جدل حول أصول الفقه ؟ وقد أجاب عبد البر بالنفي لوجوده

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوزي: المرجع السابق، ص 112.

[2] مجاهدي ابراهيم، **الحافظ مخلد القرطبي: ودوره في التمسك لمذهب أهل الحديث في الأندلس**، مجلة التاريخ المتوسطي، مج 03، ع 02، شهر ديسمبر 2021، ص 121.

وعد فقهاء المالكية في الأندلس ليس لهم أي إهتمام بعلم أصول الفقه ويقومون فقط بتقليد أئمة المالكية وأعلامهم بترديد آرائهم ويقتصر دورهم على تحديد الجواب المناسب على المسائل المطروحة من ضمن كتب المالكية ولا يعرفون أصلا كيف يتم التوصل إلى ذلك الحكم الفقهي ويسلمون به تماما بحيث إذا جعلت مناظرة بين فقيه مالكي وفقيه آخر يتبع مذهبًا آخر يعجز المالك أمامه في الجدال ويعلل تسليمه للإمام مالك وفضله[1].

3- المذهب الظاهري نشأته ودخوله الاندلس:

نشأ المذهب الظاهري ونما ببغداد في منتصف القرن الثالث هجري ثم أخذ حيزه الجغرافي يتسع فعم العراق ووصل بلاد فارس، كما وصل عمان وانتشر في بلاد المغرب والاندلس أين لقي النجاح مقارنة بباقي المناطق حيث اعيد إحياءه من جديد هناك من قبل أبن حزم الأندلسي ولما قامت دولة الموحدين اتخذته مذهبا رسميا لها بداية من حكم المنصور الموحدي، ووصل رسميا الى مصر حيث وجدت بالقاهرة حارة تحمل اسم الداودية، وحسب ما ذكر صاحب كتاب تاريخ الفكر الاندلسي فإن اخر وجود للمذهب الظاهري بمصر كان مع الفقيه أحمد البرهان (807-703هـ/1304-1405م) الذي اجتهد من أجل إحياء المذهب لكن من دون جدوى، عرف المذهب الظاهري رواجا بالمشرق خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والرابع هجريين (10-09م) حيث أصبح المذهب الرابع بعد المذهب الشافعي، والحنفي، والمالكي، بفعل تأثير مجموعة من العوامل منها الإسراف في استخدام القياس، تأثُّر مؤسس المذهب الإمام داود بالإمام الشافعي في الأخذ بالنصوص، هنا يجب الإشارة إلى أنّ النجاح الذي عرفه المذهب الظاهري بالمشرق لم يصل إلى درجة نجاحه في بلاد المغرب فعدد فقهاء المذهب بالمغرب أضعاف عدد فقهائه بالمشرق، وأما مؤلفات المغاربة فاقت بكثير مؤلفات المشارقة فمثلا ابن حزم لوحده كتب ما يقارب مائتي مؤلف يكفينا منها كمثال موسوعته الفقهية الشهيرة الموسومة بـ: " **المحلى بالآثار** " التي عرفت رواجا بين أهل العلم، هذا من دون أن ننسى مؤلفات بقية فقهاء المذهب على غرار مؤلفات منذر بن سعد، وأبو العباس النباتي[2].

---

[1] محمد صابة، المرجع السابق، ص 179 – 180.

[2] مبارك بشير، **دور مناظرات ابن حزم الاندلسي في تثبيت المذهب الظاهري في الاندلس**. مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي تندوف الجزائر، العدد 3 ص 278.

يظن الناس أن المدرسة الظاهرية بالأندلس، لم تنشأ إلا مع الإمام ابن حزم، لاشتهاره عندهم، وليس الأمر كذلك، فالظاهرية نشأت في الأندلس قبل ابن حزم قرابة قرنين من الزمان، وهؤلاء مؤسسوها الأوائل: عبد الله بن قاسم بن هلال القيسي، المتوفّي سنة 272هـ

تتّفق المصادرُ على أنّ اولّ من نشر مبادئ المذهب الظّاهريّ في الأندلس، وعرّف به أهلها، ونقله إليها من المشرق، هو عبدُ الله بنُ قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران القيسيُّ أبو محمد، أندلسي من أهل قرطبةّ، فقيه جليل، كان من أوائل الظاهريّين عامةً، إذ أن المذهب ظهر في منتصف القرن الثالث الهجريِّ، وقد كان قبلُ مالكيًا بحكم البيئة والنشأة، مشهورا بالرحِّلة والطلبِ، رحل ودخل العراقَ، ولقي أبا سليمان داود بن علي الأصفهاني الظاهري مؤسس مذهب الظاهر بالمشرق، فكتب عنه كتبَه كلَّها، وأدخلها الأندلس، واجتهد في نشرها، فأخلت به عند علماء وقته بسبب تمكُن المذهب المالكي من الناس، فنظر في علم مالكٍ تنظراً حسناً، غير أنّ علم داود ظل الأغلب عليه، فكان يميل إلى القول بالظاهر والحجَّة[1].

وبعد وفاة بن هلال برر منذر بن سعيد أبو الحكم البلوطي الأندلسي هذا الأخير ساهم في استمرارية المذهب بالمنطقةّ، بحيث كان له دور في إدخال أصول المذهب إلى المغرب فبعد ابن هلال لم يجد الفقه الظاهري من يقوم به حتى ظهر بقرطبة قاضي الجماعة منذر بن سعيد الذي تلقى في رحلته إلى المشرق أصول المذهب ولما عاد أنكر تقليد المالكية ومال إلى منهج داود: "كان مذهبه في الفقه مذهب النظر والاحتجاج وترك التقليد وكان عالما باختلاف العلماء يميل إلى رأي داود ويحتج له"[2].

إنّ هؤلاء الفقهاء رغم ما قدّموه من خدمة للمذهب الظاهري إلاّ أن شهرتهم لم تصل إلى الشهرة التي وصلها داود بن علي الأصبهاني، وابن حزم الأندلسي باعث المذهب ومدونه بالأندلس. لقد أقام داود بن علي مذهبه على أساس خاص خالف يه سواد أئمة المذاهب الفقهية، إذ عمل بظاهر النصوص– القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة – في المقام الأول وعندما لا يتوفر نص في أحد المسائل الفقهية مال إلى الإجماع، ورفض القياس بحجة: "أن في نصوص القرآن والسنة ما يفي بكل جواب"، هذه الأصول الثلاث " القرآن،

[1] توفيق بن احمد الغلبزوري الادريسي، المرجع السابق، ص 191.

[2] مبارك البشير، **المذهب الظاهري في الغرب الإسلامي عوامل الدخول والانتشار**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد9 العدد1، جوان 2018، ص 359.

والسنة والإجماع" أقرّها ابن حزم الأندلسي وزاد عليها خبر الواحد في قوله: "إنّ دين الإسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ إلاّ من القرآن أو مما صحّ من الرسول صلى الله عليه وسلم، إما برواية علماء الأمة عنه وهو الإجماع، وإما بنقل جماعة عنه وهو نقل كافة وإما برواية الثُقات واحد عن واحد حتى يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم"[1].

كان ابن حزم بعيد عن المناظرة في سن السادسة عشرة لا يعرف عنها شيء فاضطر خوضها بعد حضوره أحد الحلقات العلمية ببلنسية وفيها سأل الحاضرين في مسألة فقهية ثم أجاب عليها فاعترض لقوله أحدهم مقللا من شأنه، حينئذ اعتكف على دراسة العلم لشهور ثم عاد لنفس الموضع – مجلس العلم ببلنسية – فناظر وأبدع، وفي رواية أخرى قيل أنه عكف على دراسة العلوم لما صلى في المسجد ركعتين بعد صلاة العصر فوجهت له انتقادات، فإنصرف إلى التعلم مدة تزيد عن ثلاث سنوات معتكفا على موطأ مالك وغيره، ولما نبغ أصبح يناظر مناظرة العلماء، بعد أحداث بلنسية استوى عود ابن حزم في العلم وأصبح يتقن المناظرة والجدل، فأخذ ينتقل في الأندلس ينشر فيها آرائه الفقهية (المذهب الظاهري) فنقّح المذهب وجادل عنه، وناظر من خالفه فيه إلى أن مات، وقد نجح في ذلك نجاحا كبيرا حيث عجز فقهاء المذهب المالكي عن مجاراته، إنّ نجاح ابن حزم في المناظرات يمكن ردّه إلى جملة من العوامل منها: غزارة علمه، وحكمته، وفصاحة لسانه ومعرفته لطرق الجدل فذاعت شهرته في الأندلس كفقيه ومحدث، هذه الميزات استطاع من خلالها ابن حزم جذب الشباب إليه وإلى مذهبه في كل مكان، فأخذوا عنه أفكاره وآرائه التي كان لها أثر في توجهاتهم المذهبية. فالفقيه الظاهري استطاع أن يبعث الحيوية في مذهبه ومكّن له من البقاء دهرا طويلا رغم إنكار بعض الفقهاء له ولمذهبه خاصة المالكين منهم عن طريق المناظرة والتدوين، ولقد سجّلت النصوص مناظرات اضطر ابن حزم لخوضها مع الفقهاء دفاعاً عن أرائه ودحراً لحجج معارضية بغية تثبيت أفكاره وكسب الأنصار إلى جانبه، فإرتكز على أسلوب راقي تميز بالوضوح وعدم التكلف ومحاولة الوصول إلى هدفه قائم على أساس الاسترسال في الرد على مخالفيه بتكرار الحجج، أما ما أعيب عليه في الجدال الحدة والعنف والسخرية، فكان سليط اللسان مع مخالفيه من المالكة وأهل الكتاب

[1] مبارك بشير، **دور مناظرات ابن حزم الاندلسي في تثبيت المذهب الظاهري في الاندلس**. مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي تندوف الجزائر، العدد 3 ص 278.

فمعروف عنه الحماس الزائد فهو مناظر عنيد لا يرحم خصومه يستهدف من وراء ذلك خدمة أفكاره وآرائه، وكان ابن حزم وراء دعوة خصومه للمناظرة بأسلوب فيه تقليل من شأنهم حيث خاطبهم قائلاً: "فمن استطاع إنكارا فليبرز صفحته وليناظر مناظرة العلماء فمن عجز عن ذلك فليسأل سؤال المتعلمين أو ليسكت سكوت أهل الجهل"، لذلك قالوا أن لسانه وسيف الحجاج شقيقان، فابن حزم لم يتأدب مع خصومه في الجدال بل استعمل معهم عبارات قاسية، أسلوبه هذا أدخله في صدامات مع خصومه المالكية الذين اتهمهم بالتقليد فكان الجدال بين الطرفين محتدما، فجاءت حججه قوية في حين جاءت حجج خصومه ضعيفة فعجزوا على مناظرته نتيجة جهلهم طرق الجدل "...ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه "، المناظرة التي دارت بينه وبين الفقيه المالكي أبو الوليد بن البارية[1] حول أتباع مالك [2] هذا الأخير عارض أفكار ابن حزم في ميورقة وحاول الحد من نفوذه بعد دخوله إليها سنة (430هـ)[3]، فجرت بينهما مناظرات دارت مجرياتها في مجلس أبي العباس أحمد بن رشيق حاكم المدينة، تفوق فيها ابن حزم، بعدما وقع الفقيه المالكي في زلة، فأمر والي المدينة بسجنه ثم عفا عنه [4].

إن هذه المناظرة وغيرها ساعدت على انتشار المذهب الظاهري في ميورقة بمساعدة حاكمة ابن رشيق وبعد دخول أبو محمد ابن حزم ميورقة بسعي أبي العباس بن رشيق في ذلك ففشا مذهبه[5].

والمناظرتان التي جرتا بينه وبين الفقيه المالكي مكي بن أبي طالب[6] بقرطبة، دارت الأولى حول مسألة هل أسقط عثمان بن عفان رضي الله عنه ستة أحرف من جملة الأحرف

[1] هو أبو عبد الله بن عوف من أهل ما يورقة، فقيه على مذهب مالك وعليه دارت الفتية. ينظر ابن الابار أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، كتاب تكملة الصلة، مطبعة رسارة، مجريط، 1889. ج 2 ص 523.

[2] القاضي عياض، مصدر سابق. ج8 ص258. مبارك بشير، مرجع سابق ص 279.

[3] عبد المجيد تركي، مرجع سابق، ص53- 54. مبارك بشير، نفسه، ص 279.

[4] القاضي عياض، مصدر سابق، ج8 ص 158. عبد المجيد تركي، مرجع سابق ص 53. مبارك بشير، مرجع سابق، ص 279.

[5] ابن الابار القضاعي البلنسي، مصدر سابق، ج2 ص 523.

[6] ابن حيوس بن محمد مختار أبو محمد القيسي القيرواني ثم الاندلسي القرطبي، الامام المحقق، ولد سنة 355 هـ، له من المؤلفات عدة منها التبصرة في القراءات، مشكل اعراب القرآن، توفي 437 هـ، ينظر ابن الجزري الدمشقي الشافعي، عاية النهاية في الطبقات، القراء تح بريجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 2006. ج2 ص 270-271.

السبعة المنزلة؟ فأجاب ابن حزم إجابة طويلة شافية هذا مختصرها:" وأما دعواهم أن عثمان رضي الله عنه أسقط ستة أحرف من جملة الأحرف السبعة المنزل بها القرآن من عند الله عز وجل فعظيمة من عظائم الإفك والكذب، ويعيد الله عثمان رضي الله عنه من الردة بعد الإسلام ولقد أنكر أهل التعسف على عثمان رضي الله عنه أقل من هذا مما لا نكره فيه أصلا فكيف لو ظفروا له بمثل هذه العظيمة ومعاذ الله من ذلك..."[1].

أما الثانية فكان حول مسألة (من أفضل الخلق كله بعد الملائكة والنبيين؟)، طرح ابن حزم هذه المسألة للنقاش مع معارضة الفقيه المالكي مكي بن أبي طالب "واعترض علينا مكي بن أبي طالب المقري بأن قال: يلزم على هذا أن تكون امرأة أبي بكر أفضل من علي، لأن امراه ابي بكر مع أبي بكر في الجنة في درجة واحدة، وهي أعلى درجة من علي، فمنزلة امرأة ابي بكر أعلى من منزلة علي، فهي أفضل من علي[2].

لقد قدم ابن حزم ردا حول هذه المسألة لاق بمقامه كفقيه خلص فيه أن أمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الخلق كله بعد الملائكة والنبيين عليهم السلام هذا مختصره: " فأجبناه بأن قلنا له وبالله تعالى نتأيد أن هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه: أحدهما: أن ما بين درجة أبي بكر ودرجة علي في الفضل الموجب لعلو درجته في الجنة على درجة علي، ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وبين درجة أبي بكر في الفضل الموجب لعلو درجنه عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضي الله عنهم [3].

إضافة إلى مناظرته للقاضي والفقيه المالكي الليث بن أحمد بن حريش العبدري القرطبي [4] قبل دار موضوعها حول تعامل الفقيه بالحديث النبوي الشريف، لكن بعد رجوعي إلى كتاب الإحكام أشاطر الرأي الثاني القائل بأن موضوعها دار حول تعامل الفقيه بالحديث النبوي قال أبو محمد وقد قال بعضهم قد صح ترك جماعات من الصحابة والتابعين لكثير

---

[1] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، ج4 ص 162.مبارك البشير، مرجع سابق

[2] ابن حزم، **الفصل في الملل والاهواء والنحل**، تح محمد إبراهيم ناصرو عبد الرحمن ابن عميرة، دار الجدل، بيروت لبنان. ط2 1999. ج4 ص 199.

[3] ابن حزم، المصدر نفسه. ج 4 ص 199- 202.

[4] هو من اهل قرطبة، يكنى بأبي الوليد، عالم في الرأي والحديث، استقضى بالمرية، ولد سنة 305 هـ توفي 428 هـ. ينظر ابن بشكوال، مصدر سابق. ج2 ص 119.

مما بلغهم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يخلو من أن يكونوا تركوه مستخفين به وهذا كفر من فاعله أو يكونوا تركوه لفضل علم كان عندهم فهذا أولى أن يظن بهم.. لوجب أن يكون من فعل ذلك ملعونا بلعنة الله عز وجل[1].

القدرة ابن حزم على هذه المسألة قائلا:" فنحن نقول لعن الله كل من كان عنده علم من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتمه عن الناس كائنا من كان ومن نسب هذا إلى الصحابة رضوان الله عليهم فقد نسبهم إلى الإدخال في الدين وكيد الشريعة وهذا أشد ما يكون من الكفر[2].

إن رد ابن حزم هذا خالف فيه الفقيه المالكي الليث بن أحمد بن حريش في مجلس القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشر بحضور كبير الفقهاء المذهب المالكي، لكن لم يعارضه أحد بل صمتوا والقليل منهم صنفره، قال ابن حزم:" وتلك أني قلت له لقد نسبت إلى مالك رضي الله عله ما لو صح عنه لكان أفسق الناس وذلك أنك تصفه بأنه أبدى إلى الناس المعلول والمتروك والمنسوخ من روايته وكتمهم المستعمل والسالم والناسخ حتى مات...وهذه صفة من يقصد إفساد الإسلام والتدليس كان عندنا أحد الأئمة الناصحين لهذه الملة ..." [3].

إضافة إلى مجموعة من المناظرات التي لا يتسع المجال لذكرها كتلك التي كانت مع الفقيه والقاضي أبو عبد الله بن عوف، والفقيه محمد بن سعيد، هذا الأخير طلب المعونة من الفقيه أبي الوليد الباجي في مناظرة ابن حزم، بعدما عجز على مقارعته ومجاراته.[4]

او من خلال النماذج التي قدمتها حول مناظرات ابن حزم في بلاد المغرب يظهر أنها كانت مع فقهاء المذهب المالكي فالنصوص لم تذكر مناظراته مع غير المالكية، ذلك أن المذهب المالكي كان سائدا بالمغرب والأندلس أيام ابن حزم من جهة، ومن جهة أخرى الاختلاف الجوهري في التوجه الفكري للمدرستين الظاهرية والمالكية تولد عنه معارضة التي تحولت بدورها إلى جدال صراع ،كما نستنتج من تلك النماذج قصور ملكة فقهاء المذهب المالكي

[1] ابن حزم، الاحكام، مصدر سابق، ج2 ص 121- 122.

[2] نفسه ص 122.

[3] مبارك بشير، مرجع سابق، ص 287.

[4] نفسه، ص 287.

في المناظرة، فلم يكن لديهم إلمام شامل بفنون العلم لذلك عجزوا تماما أما ابن حزم فقابلوا كلامه بالسكوت ومن تكلم منهم صدقه وهذا ما اعترف بها كبير فقهاء المذهب المالكي أبو الوليد الباجي: " فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين في ما لم يبلغهم علمه ولم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب الأمر، والفاصد إلى نهج لا يهدي طريقه، أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل يشتمل على جمل ابوابه وفروع أقسامه وضروب أسئلته وأنواع أجوبته، وأعطيته من التطويل الممل للمريد والاختصار .[1]

إذن إن مناظرات ابن حزم كان لها دورا كبيرا في انتشار المذهب الظاهري في بلاد المغرب حيث تريد وتضاعف عدد المنتسبين لمذهبه في حياته وبعد وفاته، على أيديهم انتشر فكره وحفظت كشبه فلولاهم لما وصلت إلينا رغم ضياع الكثير منها لسبب أو لآخر وكما كان لها دور في شهرته ليس بالأندلس فقط بل بالعالم الإسلامي كله[2].

إن أتباع ابن حزم الذين تأثروا بفكره بعد تلك المناظرات حافظوا على استمرار تواجد المذهب في المنطقة حيث خدموه عن طريق التعريف به وبأمهات كتبه، ودافعوا عنه على اهله وقد اعاده الله من ذلك بل ولقنوا تلامذتهم أصوله وأصبح المذهب الظاهري الحزمي حركة فكرية كبرى دافع عنها أنصارها وحاربها خصومها حتى بداية العصر الموحدي، والقائمة الأنية توضح أبرز من تأثروا بالمذهب الظاهري الحزمي في بلاد المغرب والأندلس وسعوا في خدمته والدفاع عله ما بقوا على قيد الحياة ومن هؤلاء:

– محمد بن عبد الله بن مطالب الظاهري[3] المتوفي بعد سنة (423هـ/ 1031م) كان على مذهب داود القياسي.

– مسعود بن سليمان أبو الخيار الشنتريني[4] المتوفى سنة (426هـ 1034م) داودي المذهب لا يرى التقليد.

[1] أبو وليد الباجي، مصدر سابق ص 7، مبارك بشير، المرجع سابق، ص 288.

[2] مبارك بشير، نفسه، ص 288.

[3] أبو زيد القيرواني، **الذب عن مذهب مالك في غير شيء من أصوله وبعض مسائل من فروعه ما لبس به بعض أهل الخلاف وجهله الإسلاف**، تح محمد، ط1 العلمي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط المغرب، ج 1 ص61.

[4] أبو زيد القيرواني، نفسه، ص 62.

– هشام بن غالب الغالي أبو الوليد الونات[1] في المتوفى سنة (438 هـ/1034م)، مال لمذهب داود بن علي الأصفهاني ".

– ابن الريوالي القاسم بن الفتح بن محمد أبو محمد[2] المتوفى سنة (451هـ/1059م).

– مجيب الرحمن بن أحمد بن خلف أبو أحمد بن الحوت المتوفي سنة (460هـ/1067) – الإمام الشاهري ابن الإمام أبو محمد سفيان بن أحمد بن عبد الله المتوفى سنة (5هـ/1072م).

– فضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم[3] من أهل قرطبة يبكي لها رافع، وهو ولد الحافظ ابو محمد بن حزم توفي سنة (479هـ / 1086م)

– فرج بن حيدا المقرن الطاهري[4]، توفي سنة (480هـ/ 1087م).

– الحميدي[5] من ميورقة أمله من قرطبة اختص بابن خزيم ورق عنه: روي عن أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، واختص به، وأكثر عنه، بوشهر بصحبته.... صاحب كتاب "جذوة الملتبس في تاريخ علماء الأندلس" من أكثر المتأثرين بفكر شيخه ابن حزم توفي ببغداد سنة (488هـ / 1095م).

---

[1] أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، ص 61.

[2] نفسه، ص 62.

[3] بن بشكوال، مصدر سابق، ج2، ص 104.

[4] مصدر نفسه ص 102.

[5] هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الحميدي، عربي الأصل سكنت عائلته محل الرُّصافة بقرطبة، تحول والده منها إلى جزيرة ميورقة أحد جزر البليار في البحر الرومي حيث ولد هناك سنة= =(420هـ/1029م)، ولما امتحن ابن حزم رحل إلى المشرق وزار عديد الحواضر وانتهى به المطاف ببغداد التي استوطنها واتصل بالمظفر أبو الفتح بن علي بن الحسن بن أحمد المعروف بابن السلمة نائب الوزارة في خلافة المقتدي، ينظر: الحميدي أبو عبد الله، المصدر السابق، ج 01، ص 06– 09.

– علي بن سعيد العبدري أبو الحسن[1]، أخذ عن أبو محمد بن حزم، رحل إلى المشرق كان ظاهري المذهب، توفي سنة (491هـ / 1097م).

إذن كان لابن حزم دور في خدمة المذهب الظاهري فنشره، ودونه، ودافع عنه، لكن هذا لا ينفي مشاركته في تراجعه ببلاد المغرب، فابن حزم كان سليط اللسان مع معارضيه فلم يتأدب معهم ما جعل البعض يعرض عن مصنفاته، والبعض الآخر أقدم على إحراقها واتجه كثير منهم إلى التأليف انتقادا للمذهب وأئمته كأبو بكر بن العربي الذي شائع على الظاهرية وابن حزم في كتابه (العواصم من القواصم الظاهرية أمة سخيفة نسورت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم نفهمه... ولما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملا به المغرب سخيف كان من بادية اشبيلية يعرف بابن حزم".[2]

ثانيا: منهج ابن حزم واستدلاله:

1- ترجمة الامام ابن حزم:

أولا: اسمه ونسبته:

هو الامام أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن ابي سفيان صخر ابن حرب بن امية بن عبد شمس الاموي. كان أبو عمرو وأحمد بن سعيد بن حزم من وزراء المنصور محمد بن أبي عاص ووزراء ابنه المظفر بعده ومن المدبرين لدولتيهما بالأندلس، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده وأصله من فارس[3].

[1] ابو زيد قيرواني، المصدر السابق، ص 62. مبارك بشير، المرجع سابق، ص 289.

[2] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج18، ص 188. مبارك بشير ص 289.

[3] بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1 ص 03 شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء ط 10، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت 1994، ج 18، ص 1853. بن بشكوال مصدر سابق، ج2 ص 605. مبارك بشير، نفسه ص 289.

ومنهم من يشكك في اصوله الفارسية فقد نقل ياقوت الحموي عن ابي مروان بن حبان أن الوزير أحمد بن سعيد بن حزم أن جده الأول من سكان الاندلس الأصليين ببادية لبله[1] من غرب الاندلس وأنه حديث العهد بالإسلام ولم يتقدم لسلفه نباهة ولا ذكر[2].

ولكن تلميذه الحميدي ذكر كتابه جذوة المقتبس أن أصله فارسي حيث قال: " علي بن سعيد بن حزم بن غالب ايد محمد أصله من الفرس وجده الأقصى في الإسلام اسمه يزيد مولى يزيد بن ابي سفيان[3].

وقد أكد ابن حزم نفسه ان أصله فارسي في ابيات قائلا:

سما بي ساسان ودرا وبعدهم قريش العلى اعياصها العنابس.

فما أخرت حرب مراتب سؤددي ولا قعدت بي عن ذرى المجد فارس[4].

مولده:

ولد بقرطبة الشرقي من الاندلس بعد صلاة الصبح قبل سلام الامام اخر ليلة الاربعاء من اخر يوم من رمضان وهو اليوم السابع من نوفمبر سنة 344 هـ بطالع العقرب[5] نشأ وترعرع في بيت عز وجاه فأباه أبو عمر أحمد سعيد كان أحد وزراء الحاجب منصور بن ابي عامر ثم وزير لابنه المظفر عاش حياة ملؤها الترف وقد حرص أبوه على تعليمه وتربيته من طرف الجواري والنساء وهذا ما ذكره ابن حزم عن نفسه في كتابه طوق الحمامة: " ولقد شاهدت النساء وعلمت اسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري لأني ربيت في حجورهن ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال الا وأنا في حد الشباب وحين تفيل وجهي وهن

[1] لبلة: مدينة قديمة في غرب الاندلس بها ثلاث عيون احداها عين تهشر وهي أغزرها والثانية عين تنبعث بالشب والثالثة عين تنبعث بالزاب، ومن اشبيلية الى طليطلة مرحلة عشرين ميلا ومن طليطلة الى ليلة مرحلة مثلها وتعرف ليلة بالحمراء وفيها اثار للأول كثيرة وسور ليلة قد عقد على أربع تماثيل وهي مدينة حسنة متوسطة القدر لها سور منيع وكانت جباية كورة لبلة في أيام الأسير الحكم ابن هشام خمسة عشر ألفا وست مائة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5 ص 10.

[2] بن حزم، المصدر السابق، ص 03.

[3] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، مصدر سابق، الجزء 1 ص 489.

[4] بن حزم، **ديوان بن حزم**، جمع وتحقيق صبحي رشاد عبد الكريم ط1، دار الصحابة للتراث طنطا مصر، ص 67.

[5] بن بشكوال، المصدر السابق، ص606

علمنني القرآن ورويننني كثيرا من الاشعار ودربننني على الحفظ ولم يكن كدي واعمال ذهني منذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة جدا الا تعرف اسبابهن والبحث عن اخبارهن وتحصيل ذلك وأنا لا أنسى شيئا مما اراه منهن، وأصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها وسوء ظن في جهتهن فطرن به فأشرفت أسبابهن على غير قليل[1].

مع هذا يعلم الله أني بريء الساحة سليم الاديم صحيح البشرة تقي الحجزة واني أقسم بالله اجل الأقسام أني ما حللت مئزري على فرج حرام قط ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا منذ عقلت الى يومنا هذا والله المحمود على ذلك[2].

طلبه للعلم:

بعدما شب وكبر قليلا بدأ بحضور مجلس والده الذي كان يرتاد الأدباء والشعراء والفقهاء والمفكرون، وكان الأب يعد ابنه لكي يكون سياسيا مثله لكن اهتمام الابن بالسياسة لم يكن بالدرجة الكافية التي تؤهله ليحتل مكانة ابيه، ولعل المنعطف الكبير في حياة ابن حزم الذي دفعه لان يمنحه لدراسة الفقه ومن ثم يصبح من أشهر الفقهاء في الاندلس انه حضر تشييع جنازة أحد اقربائه ولم يعرف كيف يؤدي صلاة الميت.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ في بيئة ثرية ولم يكن في حاجة الى طلب الرزق فكل ما تمناه كان بين يديه موفورا بسبب ما خلفه له ابوه من ضيعات اذ كان ثريا يعيش حياة مترفة وكأنه وزيرا، وان العبارة التي اجمع المؤرخون عليها ان القرية التي مات فيها كانت ملكا لأباه ثم الت اليه ملكيتها تدل انه عاش موفور الرزق الى ان انتقل الى رحمة الله وأنه في جملة حياته كان يعيش في رافع العيش، وان قل نسبيا في بعض أوقات الزمان للسجن والتغريب وعدم قيام

[1] بن حزم، طوق الحمامة، ط1، دار صادر بيروت لبدان 1424 هـ 2003 م، ص 62.

[2] المصدر نفسه، ص 139.

أحد على هذه الأمور ليدوم درها ولذهاب بعض الدور التي كانت لأسرته في قرطبة[1].

كما انه كان من اسرة عملت في السياسة وكان لأبيه فيها شأن وكان يلقى العلماء وأهل المعرفة ويتفقه بعلمهم أو يجادلهم أحيانا اذ عرف بمهاراته الجدلية ومن ظريف مجادلاته انه حينما ذهب الى جزيرة ميورقة وقد لجأ ابن حزم الى راعية عاملها ابن رشيق (ت 440) ناظره هناك الفقيه المالكي أبو الوليد الباجي فقال الباجي لابن حزم: " انا اعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت في السوق" فقال ابن حزم:" هذا كلام عليك لا لك، لأنك طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته فلم ارجوا به الا علو القدر في الدين والدنيا والاخرة[2].

وكان ذا بصر بعلوم كثيرة من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الادب، مع مشاركة في أنواع من العلوم القديمة كالمنطق والفلسفة كما لابن حزم دراسات نفسية وخلقية وقد وضحت الدراسة النفسية في كتابه "طوق الحمامة " ووضحت دراسته الخلقية في رسالة مداواة النفوس، وقد افادنا ابن حزم بمؤلفات كثيرة نافعة في كثير من العلوم الدينية وغير الدينية وقال عنه القاضي صاعد ابن احمد: " كان أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة، وأخبرني ابنه الفضل اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو أربعمئة مجلد تشمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة، وكان هذا العالم مخلصا في طلب العلم وتبليغه فهو ينطق بما يعتقد أنه الحق غير هياب لأحد[3].

---

[1] فاروق عمر عبد المعطي، **أعلام الفقهاء والمحدثين ابن حزم الظاهري علي ابن احمد ابن سعيد الاموي الاندلسي،** بيروت لبنان 1935، ص 27، 28. مقال بلقاسم عودة، الحركة العقلية في المذهب الظاهري وأثرها على اللغة على عهد ملوك الطوائف، بن مضاء القرطبي نموذجا 511 592 هـ 1418 1496م، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية، سبتمبر 2018، العدد 02، ص 228.

[2] احمد بن المقري التلمساني، **النفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب،** تحقيق احسان عباس، لبنان بيروت دار صادر ط 1،1988، ص238. بلقاسم عودة، المرجع نفسه، ص 228.

[3] ابن بشكوال، مصدر سابق، ص 605، احمد المقري، المصدر نفسه، ص 240. بلقاسم عودة، المرجع سابق، ص 229.

مذهبه الفقهي:

اتجه ابن حزم في البداية الى المذهب المالكي الذي كان سائدا في الاندلس فوق انه المذهب الرسمي للدولة، ولقد روى ابن حزم قال ان مذهبين انتشرا بقوة السلطان مذهب ابي حنيفة بالمشرق ومذهب مالك بالمغرب فكان من مقتضى المنطق أن يتجه ابن حزم الى المذهب المالكي بل كان المنطق أن يوجه اليه، وقد قرأ الموطأ على عبد الله بن دحون، وقد تتابعت قراءته الفقه عليه وعلى غيره من العلماء ولكن يظهر أن ابن حزم القارئ الباحث قد اطلع على نقد محمد ابن ادريس الشافعي بمذهب الامام مالك وان كان شيخه، فقد روى عنه انه قال مقالة أرسطو في أفلاطون: أحب مالكا ولكن محبتي للحق أكثر من محبتي لمالك، لابد أنه قرأ اختلاف مالك الذي جاء فيه أن مالكا جعل الفرع أصلا والأصل فرعا، ولابد أنه علم أن الشافعي تردد في نقد مالك حتى علم أن بعض اهل الاندلس يستسقون بقلنسوة مالك فاستخار الله وكتب نقده ليبين للناس أن مالكا بشر من البشر[1].

وفاته: قال صاعد ونقلت من خط ابنه أن اباه توفي عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة فكان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يوما.[2]

مؤلفاته وانتاجه العلمي:

هو من أكبر علماء الإسلام تصنيفا وتأليفا بعد الطبري، حيث كما ذكرنا سابقا ان ابنه أبو رافع الفضل ان مبلغ تأليف ابيه في الفقه والحديث والأصول والتاريخ والادب وغير ذلك بلغ نحو اربعمئة تشمل ما يقارب ثمانين ألف ورقة ومن مؤلفاته ما يلي:

- المحلى بالآثار شرح المحلى بالاختصار توفي قبل اتمامه.
- الاحكام في أصول الاحكام ثمانية أجزاء في مجلدين.
- ابطال القياس والرأي والتقليد.
- رسالة ملخص ابطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل.
- النبذ الكافية في احكام أصول الدين.

[1] عبد الرحمن أبو زهرة، مرجع سابق، ص 35. بلقاسم عودة، المرجع السابق، 229، 230.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ص509، بن بشكوال، مصدر سابق ج2 ص 606.

- الفصل في الملل والاهواء والنحل.
- التقريب لحد المنطق.

2- أصول ابن حزم:

أصول بن حزم الفقهية:

أولا القرآن:

اختار بن حزم المذهب الظاهري، لأنه ليس في هذا المذهب مقلد لا في المذهب ولا في غيره، إنه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وليس لأحد فيه أن يقلد أحداً، ولا شك يتفق مع نزعة ابن حزم الحر الذي يريد دائما أن يُحلق في سماء الكتاب والسنة من غير أي حواجز من الفكر تقف دون ذلك، ثم أخذ بإجماع الصحابة لأنه لا يمكن أن يجمع الصحابة على أمر ليس له مسند من كتاب الله أو سنة نبيه الكريم وهم الذين تلقوا شرع الله من فم الرسول الآمين، وإذا كان ذلك المنهاج هو المنهاج الذي علم من الدين بالضرورة، فإن ابن حزم يتبعه لا يقلد فيه أحدًا، بل إنه من البديهيات الإسلامية الأولى، فإنه لا تنكر الإحتجاج بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا من خلع الربقة، وإذا كان قد وجد في العصور الإسلامية من أنكر الإحتجاج بالسنة، وتكلم في ذلك مع الإمام القرشي محمد بن إدريس الشافعي، فإن أولئك كانوا منحرفين في تفكيرهم، ولم يكونوا ممن يلتفت إلى خلاقهم لأنهم أنكروا أمرًا عرف من الدين بالضرورة[1].

وإذا كان ابن حزم قد إعتنق ذلك المنهاج ودعا إليه لأنه يحرم التقليد فقد دعا ابن حزم دعوة قوية إلى منع التقليد في أي ناحية من نواحي الدين، وأعتبر التقليد بدعة يجب أن ترد[2].

كان ابن حزم ينهج الى التدليل بآيات من القرآن الكريم على صحة رأيه وبطلان مخالفيه وهو مصدر لا خلاف بين المسلمين في وجوب الرجوع إليه والخضوع لأوامره

[1] ابي زهرة، ابن حزم حياته وعصره، المرجع السابق، ص 268.

[2] نفسه، ص 268.

ونواهيه متى تقرر هذا في مجال الخلاف ولا شك أن ذلك برهان ذلك وهي قولهم «لا إجتهاد مع النص»[1] والقرآن معلوم بذاته ونصوصه محصورة وهو موثوق الصحة بالتواتر والإجماع[2]

وأن الدين قد كمل فلا مزيد ولا نقص وذلك مصدقا لقوله تعالى ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3] وأيقنا أن كل ذلك محفوظ ومضبوط [4]مصدقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ﴾[5].

ولما تبين بالبراهين والمعجزات، أن القرآن هو عهد الله إلينا والذي ألزمنا بالإقرار به، والعمل بما فيه، وصح بنقل الكافة الذي لا مجال للشك فيه، أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف، المشهورة في الآفاق كلها، وجب الانقياد لما فيه فكان هو الأصل المرجوع إليه لأننا وجدنا فيه ما فرطنا في الكتاب من شيء فما في القرآن من أمر أو نهي فواجب الوقوف عنده[6].

إن القرآن الكريم كان عند ابن حزم عدة العدد في مواجهة الخصوم متى تقرر الدليل فيه على إثبات الصواب ورد الجواب على الدعوى التي تسندها شبهة أو تطرق إلى أدلتها الإحتمال والضعف أو ضعت وجه تفسيرها وبيانها فيتصرف جهده حينذاك إلى رد الحق إلى نصابه ودحض الشبهات[7].

ثانيا: السنة:

قال ابن حزم: والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهما شيء واحد في أنهما من عند الله تعالى، وحكمهما حكم واحد في باب وجوب الطاعة لهما، قال تعالى:

---

[1] غازي مهدي حليم الشمري: **الرد والمجادلة في كتابات ابن حزم الأندلسي" كتاب الفصل نموذجًا مجلة عصور**، جوان 2003، ع 03، ص 02.

[2] أنور خالد الزغبي، **ظاهرية بن حزم**، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، عمان الاردن 1417هـ، 1996 ص 141.

[3] قرآن كريم، سورة المائدة، الآية: 03.

[4] بن حزم: **النبذة الكافية في أحكام أصول الدين**، تح محمد أحمد عبد العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1405هـ - 1985م)، ص 14.

[5] قرآن كريم، سورة الحجر، الآية: 09.

[6] ابن حزم: **الأحكام في أصول الأحكام**، تح أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ج1، ص 95.

[7] غازي مهدي حليم الشمري، الرد والمجادلة في كتابات ابن حزم الأندلسي" كتاب الفصل نموذجًا مجلة عصور، المرجع السابق، ص 02.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[1].

نرى من هذا أنه يعد السنة كالقرآن وأن الأخذ بها واجب فهي والقرآن مرتبة واحدة وله رحمه الله إتجاه خاص في دلالة السنة على الأحكام فهذا يعتبر أقوال النبي صلى الله عليه وسلم حجة لا ريب فيها أما أفعاله فلا تعتبر حجة إلا إذا إقترن بها من القول ما يدل على أن عمله صلى الله عليه وسلم ينطبق لما أمر به مثل قوله (صلى الله عليه وسلم): صلوا كما رأيتموني أصلي[2] أو توجد القرينة[3] تدل على أن فعله قائم مقام قوله فإن القرينة تجعل الفعل في معنى القول[4].

ويقيم ابن حزم السنن من حيث روايتها إلى قسمين سنن متواترة، وسنن آحاد والمتواترة عنده حجة قطعية من غير تردد ولكن له تفسير للمتواتر يغاير تفسير علماء الحديث وسائر الفقهاء منهم يقولون: المتواتر ما رواه جمع من جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، حيث يصل السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم أما ابن حزم فإنه يقول: إن أقل حد للتواتر إثنان، إذا امن إتفاقهما على الكذب فلو أن إمرء أمن ناحية روى خبرًا ثم جاء آخر من بلد آخر وهما لم يلتقيا فإن ذلك يكون تواترًا عنده إذ أنه يوجب التصديق، أما خبر الأحاد فيعرفه حجة يجب تصديقه والأخذ به وحجته في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بعث رسائله إلى ملوك كان يحملها واحد، وإنه صلى الله عليه وسلم كان يبعث بعوثه إلى المسلمين ولا يتحرى أن يكون المبعوث عددًا فبعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن وأبا بكر رضي الله عنه أميرًا للحج وعليًا رضي الله عنه قاضيًا لليمن، ولا يحتج بالمرسل مطلقا[5] ويشترط في

---

[1] قرآن كريم، سورة الأنفال، الآية: 20-21.

[2] أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي (ت 256ه)، صحيح البخاري، ط3، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، لبنان، 1407ه - 1987م، رقم الحديث (6819): 2647/6، تحقيق مصطفى ديب البغا.

[3] **قرينة:** هي ما يدل على المراد من غير كونه صريحًا، كمن خرج من البيت وبيده سكين وفيه دم وفي الحال وجد في البيت مقتولا بالسكين فيحكم بالقرينة القاطعة بأنه قتل. ينظر قواعد الفقه محمد بن ابي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت 751ه)، تح طه ع الرؤوف سعد - دار الجبل، بيروت، 1973، ص 33.

[4] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص 76، مقال، رجاء ناهي محمد، **مدى حجية مصادر الأحكام الأحكام عند الإمام ابن حزم الظاهري (ت 456ه)**، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 18/06/2019 بغداد العراق، ع02، ص 342.

[5] المرجع نفسه، ص 576- 577، رجاء ناهي محمد نفسه، ص 343.

الراوي أن يكون عدولا ثقات في ذات أنفسهم وعلى مراتب الثقة فيهم من يكون فقيها ضابطا حافظا[1].

القرآن معلوم بذاته ونصوصه محصورة وهو موثوق الحجة بالتواتر والإجماع لكن السنة والأحاديث المنسوبة إلى رسول ليست كذلك، ومن هنا إهتم بن حزم بعلم الحديث حتى نال فيه كما يقول ابن خلدون رتبة عالية وسعى إلى بناء السنة على القطع لأن الحديث جزء من الشريعة مثل القرآن تماما وتوقف على الأحاديث صحية الكثير من الأحكام ومن هنا جاء إهتمام ابن حزم بزوائد الحديث التي لم تبطل بدليل تحوطا من أن ينقص من الشريعة شيء ورد بعض الأحاديث التي لم تعمد للشروط التي أرط تحوطا من أن يزاد في الشريعة ما ليس منها وقد فعل ابن حزم هذا بالإسناد إلى نصوص شرعية، ولقد كان إهتمام ابن حزم في الحديث الشريف كثيرًا بدرجة جعلته يعقد دراسة مقارنة شبه وافية في كتابه المحلى في الفقه ويرجع بها الأحكام جميعًا إلى النص الثابت من قرآن وسنة[2].

ثالثا: الإجماع:

إتفق ابن حزم مع الأصوليين على حجية الإجماع وقبل به مصدرا إضافة إلى المصدرين السابقين ولكنه خالفهم في عدم صحة إجماع غير الصحابة وهو إجماع يختلف عن إجماع الكافة إثنان فصاعدًا، وأما الإجماع الذي تقوم به الحجة في الشريعة هو ما إتفق أن جميع الصحابة رضي الله عنهم قالوه ودانوا به عن نبيهم، ومما خالف به ابن حزم المالكية أنه نفى نفيًا قطعًا إجماع أهل المدينة حيث يقرر نفي الاعتداد بعلمهم مطلقا سواء أكان هذا العمل إجماعًا على أمر ما، او كان قولا أو أمرًا منسوبًا لبعض الصحابة أو التابعين ودليله على ذلك أن تخصيص أهل المدينة المنورة بهذه الخاصية تحكم بلا دليل وإحداث لم يشرع، لم يأذن به الله [3].

الدليل: هذا النوع من الأدلة عند ابن حزم لا يتعدى فهم النصوص أو بالأحرى لا يضيف حكمًا لواقعة لم يرد فها نص قياسيًا على واقعة ورد فيها نص كما فهمه بعضهم عنه بقول

[1] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 576-577، رجاء ناهي، المرجع السابق، ص 343.

[2] أنور خالد الزغبي، المرجع السابق، ص 141.

[3] بن حزم، الأحكام في أصول الأحكام المصدر السابق، ج1 ص47.عبد الرحيم لبقية، المرجع السابق، ص 98-99.

ابن حزم وظن قوم بجهلهم أن قولنا بالدليل خروج منا عن النص والإجماع وظن آخرون أن القياس والدليل واحد فأخطئوا في ظنهم أفحش خطأ[1].

فعنده أن الدليل إما مأخوذ من الإجماع وإما مأخوذ من النص وهو أيضا عنده الدليل كل ما كل ما أثبت بالعقل بيد أن النصوص الشرعية لا يمكن سحبها على غير زمانها ومكانها إن لم يشمل النص ذاته على هذا الأمر فالحقائق العقلية مطردة بموجب نظام الطبيعة وتخضع لنظام العلة في حين النصوص الدينية لا تخضع لذلك فالدليل هو لب المنهج الظاهري وما يميزه عن أصول المذاهب الأخرى ويعرفه ابن حزم بقوله: الأدلة التي نستعملها وهي معاني النصوص ومفهومها وكلها داخلة تحت نص وغير خارجة عنه أصلا ... وما أُدرك بالحس فقد جاء النص بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[2] ، وسائر النصوص المستشهد بها بالحواس والعقل مع أن الحواس والعقل أصل لكل شيء وبهما عرفنا صحة القرآن والربوبية والنبوة فلم نحتج في إثباتها النص.[3]

ومن النصوص التي بنا عليها بن حزم في مؤلفاته الإعتماد على التقليد وهو أن يفتي بمسألة لأن الإمام الفلاني أفتى بها فكان ردة فعله على مثل هذا الواقع أن منع التقليد مطلقا سواء صدر من العامي الذي يقلد غيره من العلماء والمجتهدين أم صدر من قبل المجتهد أو المفتي أو العالم الذي يقلد غيره ولو في مسألة واحدة[4]، وأنكر ابن حزم العمل بالقياس جملة كما بين ذلك يقول لا يحل الحكم بالقياس في الدين والقول به بطل مقطوع بطلانه[5].

إستدل بقوله بأدلة كثيرة منها:

1- قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَٰمَ دِينا﴾[6].

قال ابن حزم فما كمل بشهادة الله تعالى فمن الباطل أن لا يوجد فيه حكم نازلة من النوازل ثم يقول فإن قيل أن القول بالقياس موجود في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم

[1] بن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ج 5 ص 95، عبد الرحيم لبقية مرجع السابق، ص 99.

[2] قرآن كريم، سورة الأعراف، الآية: 195.

[3] بن حزم، المصدر السابق، ص47

[4] عبد الرحيم لبقية، المرجع السابق، ص 100.

[5] ابن حزم: البذرة الكافية المرجع السابق، ج1، ص 62. رجاء ناهي محمد المرجع السابق ص 344.

[6] قرآن كريم، سورة المائدة، الآية: 03.

بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[1] قلنا ليس معنى اعتبروا في لغة العرب قيسوا ولا عرف ذلك أحد من أهل اللغة وإنما معنى الآية تعجبو واتعظوا، وقوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطنَا فِى ٱلكِتَٰبِ مِن شَىء ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم يُحشَرُونَ﴾[2]، يقرر ابن حزم أن القياس ضرب من الرأي ولو كان شمة موضع الرأي لكان الكتاب قدر فرط في شيء، وقوله (صلى الله عليه وسلم) «لا ينزع العلم من صدور الرجال ولكن ينزع العلم بموت العلماء فإذا لم يبق عالم إتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بالرأي فضلوا وأضلوا»[3].

وجه الدلالة هو أنه لا يصح الإجتهاد في استخراج الأحكام الفقهية بالرأي عند ابن حزم لأن الحكم بالرأي ظلال[4].

القول بالظاهر: خاصية من أهم خصائص المدرسة الظاهرية ويقصد بهذه الخاصية أن أصحاب الظاهر يأخذون بظواهر النصوص القرآنية والنبوية في الفروع والأصول في الأحكام والإعتقاد إذ المهم عندهم إعتماد النص والإجماع، ولوكان النص أحادًا مرويًا عن ثقة وعدل وقد استندوا إلى مجرد العمل بالظاهر حمل اللفظ على ظاهره وعمومه دون تأويل أو نظر أو تمحيص وفق عموم الأدلة وأسرار التشريع ومقاصد المشرع وأحوال المكلف وقرائن الظرف ومن المسائل الأصولية عندهم أنهم لا يفرقون بين النص والظاهر إذ عندهم أن هذين المصطلحين شيء واحد وهو على خلاف الجمهور من الأصوليين ومن بينهم المالكية، حيث أن الظاهر عندهم هو المعنى الذي سيق إلى فهم السامع من المعاني التي يحتملها اللفظ، أما النص عندهم فهو ما رفع بيانه إلى أبعد غاياته[5].

---

[1] قرآن كريم، سورة الحشر، الآية: 02.

[2] قرآن كريم، سورة الأنعام، الآية: 38.

[3] أبي الحسين مسلم ابن الحجاج ابن مسلم القشيري النيصبوري، **صحيح مسلم**، كتاب الأثرية باب بيان ان كل مسكر خمر وإن كل خمر حرام رقم الحديث (2003): ج 3 ص 1587.

[4] رجاء ناهي محمد، المرجع السابق، ص 344- 345.

[5] عبد الرحيم لبقية، المرجع السابق، ص 96.

ثالثا: الباجي وقضايا عصره:

1- ترجمة للإمام الباجي:

نسبه مولده ووفاته:

هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي، وهي أشهر نسبه على الإطلاق؛ نسب بها إلى باجة الأندلس، ولد سنة 403 هـ، كما حكاه تلميذه أبو علي الغساني عنه فقال: "سمعت أبا الوليد الباجي يقول: مولدي في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة"؛ وبهذا أخذ كثير ممن ترجم له[1].

أما مكان ولادته؛ فمحلُ خلاف بين المترجمين له، وأظهر الأقوال أنه ولد ببطليوس[2]، وإلى هذا الرأي مال جمع من الباحثين[3].

وقد ولد الباجي لأسرة كريمة مشهورة بالعلم والتقوى والصلاح، فأبوه كان ملازما للحّصّار[4] وهو من خيرة فقهاء الأندل في زمنه؛ فعكف عليه ردحا من الزمن، فلمَّا آنس منه الحصار الاستقامة؛ زوجه ابنته، كما اشتهر من أخواله أبو شاكر الشهير بابن القبري[5]، وهو وهو كم أوائل الشيوخ الذين أخذ عنهم هذا، وقد توفي الباجي بالأندلس، وذلك في أرجح الأقوال سنة 474..[6].

---

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج2 ص 808، المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ج2 ص67.

[2] هي مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة، انظر: الحموي: معجم البلدان مصدرسابق1ج ص 530.

[3]، عبد الله عنان: دول الطوائف، مرجع سابق، ص 433.

[4] هو أبو بكر محمد بن موهب القبري؛ من أشهر تواليفه شرحه للرسالة؛ وقد توفي سنة 406 هـ انظر القاضي عياض ترتيب المدارك ج2ص675، الضبي: بغية الملتمس، مصدر سابق، ص 112.

[5] هو أبو شاكر عبد الواحد بن موهوب التجيبي القبري نبغ في الفقه وغيره توفي سنة 456هـ. انظر ابن بشكوال. الصلة مصدر سابق ج1 ص 365.

[6] ابن بشكوال، المصدر نفسه، ص 199.

طلبه للعلم:

إن أبا الوليد الباجي نشأ في بيئة علمية صالحة، فأبوه كان من الصالحين، وأمه وجده لأمه كانا من الفقهاء البارزين، وخاله كان فقيها وحافظا، وإخوته كانوا أطلة نبلاء صالحون، فلا غرابة أن يأخذ من علم هؤلاء جميعا وصلاحهم، وأن يبرز في مختلف الفنون العلمية، ومن ثمة فقد بدأ أبو الوليد الباجي مرحلته التعليمية الأولى على يد أفراد أسرته، وهي عادة معروفة ومحمودة في بلاد الأندلس، وقد استنفذ جل ما في جعبة أفراد أسرته من العلم والأدب الرفيع في سن مبكرة، وقد ساعده على ذلك ذكاءه الوقاد ورغبته الملحة، وهمته العالية النيل العلم والتبحر فيه. أما تعليم أبي الوليد الباجي، وأخذه عن علماء الأندلس، فقد بدأ على يد كبار العلماء والمشايخ. وقد اتجه في بداية الأمر إلى دراسة اللغة والأدب بفنونه المختلفة مركزا على الشعر والأخبار والأنساب، فحاز منها الكثير وانطلق لسانه بالشعر خاصة جاعلا منه أكبر همه قبل أن يرتحل إلى المشرق، حيث أن الشعراء كانت لهم مكانة خاصة عند أمراء الطوائف الذين هم من أصل عربي كبني عباد وبني الأفطس، فبرز فيه وذاع صيته"، كما أنه كان عاكفا على علوم القرآن والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام. فقد درس بقرطبة وأخذ عن خاله أبي شاكر عبد الواحد (ت 456هـ)، كما أخذ الفقه بطليطلة عن الفقيه والراوية الكبير خلف بن أحمد الرهوني المعروف بابن الرحوي (ت 420هـ)، كما أخذ الحديث بسرقسطة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بنا فوزتش (ت 453هـ)، وغير هؤلاء ممن صحبهم وأخذ عنهم أبا الوليد الباجي من علماء الأندلس وحفاظها حتى استوعب علم الأندلس ونال حظا وافرا من تلك العلوم[1].

رحلته إلى المشرق:

بذل الإمام الباجي جهودا مضنية في تحصيل معارفه الغزيرة وعلمه الجمّ، إذ غادر مسقط رأسه إلى حواضر العلم في تلك الفترة، همّه الوحيد هو التّحصيل العلميّ وكان مبتدأ رحلته إلى بلاد المشرق سنة 426هـ، فأقام بالحجاز مع أبي ذرّ الهروي (ت 434هـ) ولازمه وحجّ أربع حجج، وقد أخذ عن علماء الحجاز والقادمين على الحرمين من العلماء القادمين

[1] العمري بلاعدة، مرجع سابق، ص 314.

من كلّ البلاد الإسلاميّة، ومن هؤلاء أبوبكر المطّوّعي وأبو بكر ابن سختويه (ت 474هـ) وغير هؤلاء[1].

ثمّ رحل إلى بغداد حيث أقام ثلاثة أعوام يسمع الحديث ويتلقّى الفقه عمّن لقيهم من خيرة الفقهاء على مختلف المذاهب، مالكيّة وشافعيّة وأحناف، لا يفرّق بينهم، ضالّته المنشودة التّحصيل ثمّ العودة إلى بلاده بعلم غزير، فلا غرابة أن نجده يلازم أبا الفضل ابن عمروس إمام المالكّية (ت 452هـ) وأبي الطيّب طاهر بن عبد الله الطّبري (ت 450هـ)، كما تلقّى من أبي إسحاق الشّرازي الشّافعي (ت 476هـ)، وأبي عبد الله الدّامغاني (ت 478هـ) والصّيمري رئيس الحنفيّة (ت 436هـ) وأبي الحسن العتيقي (ت 441هـ)، وأبي الفتح الطناجري (ت 439هـ)، وابن حمامة (ت 434هـ) وأبي القاسم التنوخي (ت 447هـ) وغير هؤلاء من علماء العراق[2].

انتاجه العـــلمي:

فله مؤلَّفات في فقه أحاديث الموطَّأ والمسائل الفرعيّة عليها مثل:

– الاستيفاء، والمنتقى، و«الإيماء، وله في شرح المسائل الفقهية في المدوَّنة أو في اختصارات عليها وتهذيبها منها: شرح المدوَّنة، ومختصر المختصر، والمهذب.

– وفي المجال الفقهي أيضًا له: المقتبس في علم مالك بن أنس، وكتاب فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكّام.

– وله في مجال الحديث والرّجال والتراجم مؤلَّفات منها: التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح، واختلاف الموطّآت، وفرق الفقهاء.

– أمَّا مُصنَّفاته الأصولية والجدلية فمنها: إحكام الفصول في أحكام الأصول، والإشارة إلى معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل، والحدود في أصول الفقه، والناسخ والمنسوخ في الأصول، وتفسير المنهاج في ترتيب طرق الحجاج.

---

[1] عبد الرحيم لبقية، المرجع السابق، ص 19.

[2] ابن بشكوال، **الصلة**، تح عزت العطار الحسيني،ط2،مكتبة الخانجي،1955،ج1 ص201، عبد الرحيم لبقية، نفسه، ص 19.

– وله مُصنَّفات في الزهد والرقائق منها: سنن الصالحين وسنن العابدين، وكتاب سبيل المهتدين – كما له مصنَّفات في علوم أخرى مثل: التسديد إلى معرفة التوحيد، وتفسير القرآن، والانتصار لأعراض الأئمَّة الأخيار، وفي اللغة: تهذيب الزاهر لابن الأنباري.

– وللقاضي أبي الوليد الباجي – أيضًا – رسائل ومسائل، ومن رسائله: الردّ على رسالة الرّاهب الفرنسي، وتحقيق المذهب في أنَّ رسول الله قد كتب، والوصية لولديه، وشرح حديث: البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي وَاليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ، ومن المسائل التي عالجها الباجي والتي تحمل الصبغة الفقهية والطابع الخِلافي: مسألة مسح الرأس، ومسألة غسل الرجلين، ومسألة اختلاف الزوجين في الصداق وغيرها.

– كما أنَّ له شِعرًا ونثرًا اهتمَّ بهما منذ صغره، فجعل قراءة الأدب شِعرًا ونثرًا أحد محاور عنايته، وشاعرية أبي الوليد الباجي متَّفق عليها عند علماء التراجم، فقد كان شاعرًا مطبوعًا جيِّد العبارة، حَسَنَ النظم، فشِعره هادف يعمل على خدمة أغراض بنَّاءة بمعان في عقود مصروفة عن الإسفاف والهذر، وجملة أبياته وشعره تدلُّ على ذوقه الأدبي ونبوغه الشعري[1].

2- أصول الفقه المالكي:

يعد مذهب الامام مالك أكثر المذاهب اصولا وإن كان الامام لم ينص بالتفصيل على اصوله التي اعتمد عليها وجعلها مصادر تؤخذ الاحكام الشرعية منها الا انه أشار اليها على سبيل الاجمال فيما نقله عنه ابن وهب حيث قال " الحكم الذي يحكم به بين الناس حكمان: ما في كتاب الله أو أحكمته السنة فذلك الحكم الواجب وذلك الصواب والحكم يجتهد فيه العالم برأيه، فلعله يوفق "[2].

وهذا النص من الامام مالك رحمه الله يدل على ان أصول الاستنباط عنده لا تخلوا من أحد نوعين أصول نصية نقلية أو أصول عقلية اجتهادية[3].

---

[1] أبي عبد المعز محمد علي فركوس، **الإنارة شرح كتاب الإشارة**، ط1، دار الموقع للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 1430هـ/ 2009م، ص 22.

[2] وحدة البحث العلمي بإدارة الافتاء، **المذاهب الفقهية الأربعة، أئمتها- أطوارها- أصولها- آثارها**، مر أحمد الحجي الكردي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1436 هـ 2015 م، ط1، ص 73.

[3] نفسه، ص 73.

وقد أمكن معرفة تفصيل هذه الأصول عنده باستقراء موطنه والنظر في المسائل والفتاوى التي نقلت عنه، وهي ترجع في حقيقة الامر الى احدى عشر فصلا وهو كالاتي:

أولا: الكتاب الكريم: مراعيا ترتيبه وكذا السنة النبوية من حيث الوضوح بتقديم نصوصه، ثم ظواهره ثم مفهوماته[1].

وظاهر مذهب الامام مالك: الاخذ بالقراءة الشاذة في الاحكام الشرعية وذلك لاستدلاله بها في (موطنه) على بعض المسائل الفقهية[2].

ثانيا: السنة النبوية: متواترها ومشهورها وآحادها[3].

والمشهور من مذهب الامام مالك: قبول الحديث المرسل والاحتجاج به فقد أرسل أحاديث كثيرة في (موطئه) واحتج بها ولكن ذلك مشروط عنده يكون المرسل ثقة عارفا بما يرسل فلا يرسل الا عن ثقة[4].

ثالثا: الاجماع:

يرى مذهب الامام مالك ان اجماع المجتهدين من هذه الامة في عصر من العصور على حكم شرعي حجة، فإجماع الصحابة رضي الله عنهم في عصرهم حجة على من بعدهم، واجماع الناهين في عصرهم حجة على من بعدهم وهكذا[5].

ويصح ان يكون مستند الاجماع عنده دليلا من الكتاب والسنة أو قياسا[6].

رابعا: القياس:

كان مذهب الامام مالك العمل بالقياس على ما ورد فيه نص من الكتاب والسنة وإلحاق الفروع بالأصول في الحكم وهذا مما يدخل في قوله، في سياق نقله عنه: " والحكم

---

[1] المرجع السابق، ص 74.
[2] المرجع نفسه، ص 74.
[3] المرجع نفسه، ص 74.
[4] المرجع نفسه، ص 74.
[5] المرجع نفسه، ص 75.
[6] المرجع نفسه، ص 75.

الذي يجتهد فيه العالم برأيه "، وقد توسع مالك وأصحابه في باب القياس حيث لم يحصروه في القياس على الاحكام المنصوص عليها، بل عدوه الى القياس على ما ثبت منها بالقياس، فيقيسون الفروع على الفروع والمسائل المستنبطة بالقياس[1].

وقد نقل بعضهم عن الامام مالك: تقديم القياس على الخبر الواحد اذا تعارضا ولم يمكن العمل بهما جميعا ولا يصح ذلك عنه على التحقيق ولا يليق بما عرف به من تعظيم السنة والاثر بل الصحيح من مذهبه تقديم الخبر على القياس[2].

وهذه الأصول الأربع لا خلاف في الاخذ بها عند أئمة المذاهب الأربعة من حيث الجملة كما قال القاضي أبو بكر بن العربي: " فأصول الاحكام خمسة: منها أربعة متفق عليها من الائمة: الكتاب والسنة والاجماع والنظر والاجتهاد ....."[3].

خامسا: عمل أهل المدينة:

وهذا الأصل اختص الامام مالك باعتماده دون غيره من أئمة المذهب وقد احتج به مالك في عدة مسائل يكثر تعدادها والمراد به على المختار: اتفاق اهل العلم بالمدينة أو اكثرهم زمن الصحابة والتابعين على امر من الأمور[4].

والمشهور أن الامام مالكا يحتج بعمل اهل المدينة فيما كان طريقة التوقيف كنقلهم مقدار الصاع والمد والاذان ولا فيما طريقة الرأي والاجتهاد واليه أشار الناظم بقوله (الرجز) وأوجبن حجية للمدني ... فما على التوفيق أمره بني[5].

وهذا النوع من العمل–إذا كان ظاهرا متصلا– أقوى عند الامام مالك من خبر الواحد ولهذا يقدمه عليه عند التعارض لأنه يجري عنده مجرى ما نقل المتواتر من الاخبار[6].

---

[1] المرجع نفسه ص 75.

[2] المرجع نفسه ص 76.

[3] المرجع نفسه ص 76.

[4] وحدة البحث العلمي بإدارة الافتاء، المرجع السابق، ص 76.

[5] المرجع نفسه ص 76.

[6] المرجع نفسه ص 77.

سادسا: قول الصحابي:

والمراد به: قوله الذي قاله عن الاجتهاد ولا يعلم له مخالف من الصحابة ولم يشتهر او لم يعلم هل اشتهر أم لا. واماما اشتهر ولم يعلم له فيه مخالف، فهو اجماع وحجة وليس بإجماع كما هو معروف من الخلاف في الاجماع السكوتي[1].

فالمشهور عند الامام مالك والذي دل عليه تعرفه في "موطئه" وهو حجية مذهب الصحابي مطلقا[2].

ومن مذهب الامام مالك رحمه الله: جواز تخصيص ظاهر النص بقول الصحابي إذا ظهر وانتشر ولم يعلم له مخالف[3].

سابعا: فرع من قبلنا:

والمراد به الحكم الثابت في شريعة أحد الرسل عليهم السلام بنص من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، ولم يدل الدليل في شرعنا على نسخه ولا على اقراره، وقد دل صنيع الامام مالك في مواضع عن الموطأ وغيره على اعتماد هذا الأصل والتمسك به ولا خلاف عن الامام مالك في الاحتجاج به[4].

ثامنا: المصالح المرسلة:

وهي المصالح المطلقة من الاعتبار والالغاء، أي لم يرد عن الشارع امر بجلبها اعتبار الشرع له بأن لم يدل دليل على اعتباره أو الغائه[5].

فكان من أصول الامام مالك الحكم بالأصلح فيما لا نص فيه والاحتجاج بالمصلحة ورعايتها مالم يمنع من ذلك ما يوجب الانقياد له اذ الاخذ بالمصلحة المرسلة مقيد بشروط منها:

---

[1] المرجع نفسه ص 78.

[2] المرجع نفسه ص 78.

[3] المرجع نفسه ص 78

[4] المرجع نفسه ص 78.

[5] وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، المرجع السابق، ص 79.

1- الملائمة لمقاصد الشرع، بحيث لا تنافي أصلا من اصوله، ولا دليلا من دلائله.

2- أن تكون من المناسبات المعقولة التي إذا عرضت على العقول تلقتها بالقبول، فلا مدخل لها في تعقيدات، ولا ما جرى مجراها من الأمور الشرعية.

3- أن ترجع الى حفظ أمر ضروري ورفع حرج لازم في الدين.

4- أن تكون المصلحة عامة كلية لا خاصة جزئية.

5- أن يكون الناظر في المصلحة مجتهدا متكيفا بأخلاق الشريعة حيث ينبو عقله وطبعه عن مخالفتها[1].

تاسعا: الاستحسان:

والاستحسان الذي اعتمده الامام مالك في الفقه والفتوى معناه القبول بأقوى الدليلين وذلك ان تكون الحالة مفردة بين أصلين وأحد الاصلين أقوى بها شبها وأقرب والاصل الاخر ابعد. الا مع القياس الظاهر أو عرف جار أو ضرب من المصلحة أو خوف من المفسدة أو ضرب من المصلحة أو فوق من المفسدة أو ضرب من الضرر والعذر فيعدل عن القياس على الأصل القريب الى القياس عن ذلك الأصل البعيد، وقد عول الامام مالك على الاستحسان وبنى عليه ابوابا ومسائل من مذهبه وروي عنه أنه قال: " تسعة أعشار العلم الاستحسان"[2].

عاشرا: سد الذرائع:

ومعناه منع ما يجوز لئلا يتطرق به إلى ما لا يجوز، وذلك لأن الوسائل تأخذ حكم ما أفضت إليه فكما أن وسيلة الواجب واجبة فوسيلة المحرم محرمة ووسائل الفساد على ثلاثة أقسام:

الأول: متفق على منعه؛ كسب الأصنام عند من يعلم من حاله: أنه يسب الله.

والثاني: متفق على جوازه؛ كزراعة العنب؛ فإنها لا تمنع خشية أن تتخذ ثمرها خمرة.

---

[1] المرجع السابق، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص 80.

والثالث: مختلف فيه؛ كبيوع الآجال (كمن باع سلعة بعشرة إلى شهر، ثم اشتراها بخمسة قبل الشهر)؛ فإنها وسيلة إلى الربا، وقد منعها مالك[1].

وقد أعمل الإمام مالك هذه القاعدة، وحكم هذا الأصل في أكثر أبواب الفقه؛ حتى تم اختصاصه به، والصحيح أن مالكا لم ينفرد به بل كل المذاهب تقول به، ولا خصوصية لمالك وأصحابه إلا من جهة إكثارهم منه[2].

الحادي عشر: الاستصحاب: وهو نوعان:

الأول: استصحاب العدم الأصلي؛ ويسمى (البراءة الأصلية) وهو:

البقاء على عدم الحكم حتى يدل الدليل عليه؛ لأن الأصل براءة الأمة من لزوم الأحكام.

الثاني: استصحاب الحكم الشرعي وهو: استصحاب ما دل الشرع على ثبوته لوجود سببه. ومنه قول الفقهاء: الأصل بقاء ما كان على ما كان؛ حتى يدل الدليل على خلاف ذلك.

وهذا الأصل وإن لم يتم الإمام مالك عليه؛ إلا أن فتاويه تدل على اعتماده هذا الأصل حيث احتج به في مسائل كثيرة سئل عنها؛ فقال:

لم يفعل النبي، ولا الصحابة ذلك». أو يقول: «ما رأيت أحدة فعله». وهذا يدل على أن الشرع إذا لم يرد بإيجاب شيء لم يجب، وكان على ما كان عليه من براءة الذمة[3].

[1] وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء المرجع السابق، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص 82.

[3] المرجع نفسه، ص 82.

3- بعض القضايا التي عالجها الباجي:

3-1- جهود الإمام الباجي الأصولية في خدمة المذهب المالكي[1]:

تظهر جهود الإمام الباجي الأصولية في خدمة المذهب المالكي من خلال منهجه العلمي الرصين الذي يقوم على الطرق الآتية[2].

أ- طريق التأصيل:

ويتمثل طريق التأصيل لدى الإمام الباجي في التأصيل على مستوى الأصول، والتأصيل على مستوى الفروع.

- التأصيل على مستوى الأصول:

يعتبر كتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول وغيره من المصنفات الأصولية للإمام الباجي من أهم جهوده في تأصيل أصول المذهب المالكي، حيث جعل من جملة أهدافه في التأليف الأصولي البحث عن موقف المالكية من القضايا الأصولية التي جاءت في هذا الكتاب وغيره من مصنفاته الأصولية القيمة. فقد كان الإمام الباجي طيلة هذا الكتاب يعرض المسألة الأصولية، ويعرض معها موقف المالكية منها، وموقف الإمام مالك نفسه منها إذا ثبت لديه، إلى جانب مواقف الأصوليين الآخرين خارج المذهب. وهذا كله من أجل إبراز رأي المذهب في المسألة الأصولية والانتصار له. فقد كان الإمام الباجي بحق يبذل جهودا مضنية من خلال كتاباته الأصولية إلى بيان أصول المالكية ودعم ما صح منها بالحجج والبراهين، ودفع اعتراضات الخصوم، وهو بذلك يوجد آليات الدفاع عن المذهب[3].

---

[1] المذهب المالكي: ينسب إلى مؤسسه الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الحميري الأصبحي، ولد بالمدينة المنورة سنة 93هـ/ 710م، تفي بها سنة 179هـ/ 795م، ودفن بالبقيع، أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتّبعة، إمام دار الهجرة، =ويعتمد مذهبه على القرآن والسُّنة والإجماع والقياس، ولم يكن ميّالا إلى الرأي، ابن خلكان، مصدر سابق، ج4، ص -ص 135-138.

[2] محمد رفيع، **معالم الفكر الاصولي المالكي، من خلال فكر الباجي الأصولي**، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 1432 هـ 2011 م، ص307. العمري بلا عدة، الامام أبو وليد الباجي (ت 474) هـ وجهوده في خدمة المذهب المالكي اصولا وفروعا، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 28 سبتمبر 2017، السنة التاسعة، ص 321.

[3] العمري بلاعدة، لمرجع السابق، ص 321.

- التأصيل على مستوى الفروع:

حاول الإمام الباجي إرجاع الفروع الفقهية المتشعبة إلى أصولها، وهو عمل اجتهادي كبير له قيمته العلمية في ربط الفروع بأصولها، والمسائل بأدلتها، خاصة إذا علمنا كما سبق القول أنه في تلك المرحلة الزمنية اقتصرت الهمم على حفظ المتون والمسائل والمختصرات مما احتيج إلى إيجاد منهج قويم لخدمة المذهب والانتصار ولهذا نجد الإمام الباجي قد سلك مسلك المجتهدين في تعامله مع الفقه المالكي، سواء في جهوده الأصولية، أو في باقي جهوده العلمية التي كانت تخدم المذهب المالكي من قريب أو بعيد[1].

ب- طريق التحقيق:

من الجهود الأصولية التي بذلها الإمام الباجي خدمة للمذهب المالكي تحقيق أصوله وفروعه.

- تحقيق أصول المذهب:

مما هو معلوم أن أصول المذهب المالكي لم يتم تقريرها إلا بعد وفاة إمام المذهب مالك رحمة الله عليه، وذلك عن طريق استقراء نصوص المذهب، وبالتالي فإن معظم تلك الأصول اختلف فيها المالكية أنفسهم، سواء من حيث صحة نسبتها إلى الإمام مالك، أو من حيث المراد بها، الأمر الذي استدعي من علماء المذهب بذل جهود معتبرة في التحقيق والتدقيق من أجل تحري الصواب كما فعل الإمام الباجي في عدة قضايا أصولية تخص المذهب منها على سبيل المثال تحقيق مقصود مالك من إجماع أهل المدينة، وكذا تحقيق مسألة شرع من قبلنا وبيان موقف مالك منها، وغيرها من المسائل الأصولية التي عالجها الإمام الباجي في كتاباته الأصولية بالتدقيق والتحقيق، وهذا كله خدمة للمذهب.[2]

- تحقيق فروع المذهب:

مما هو معلوم أن التراث الفقهي المالكي كثير ومتشعب مما حم على علماء المذهب بتحقيق فروعه، وهذا ما ساهم به الإمام الباجي من خلال جهوده العلمية المتنوعة خدمة للمذهب من حيث فروعه، وهذا لكثرتها وتشعبها واختلاف الروايات المنقولة عن الإمام مالك،

[1] العمري بلاعدة، المرجع السابق، ص 321.

[2] نفسه، ص 321.

حيث بذل الباجي جهودا معتبرة في تحقيق مسائل فرعية كثيرة حدث فيها خلاف داخل المذهب ساهم فيها برأيه العلمي واجتهاده بغية الوصول إلى الحقيقة وتحري الصواب في المسألة الفقهية، وخير دليل على ذلك ماء في كتابه النفيس المنتقى شرح الموطأ، حيث نجد أمثلة كثيرة عن هذا المنحى الذي سلكه الباجي في تحقيق فروع المذهب المالكي[1].

الفرع الثالث: جهود الإمام الباجي في المصطلح الأصولي من الجهود المعتبرة التي قام بها الإمام الباجي خدمة للمذهب المالكي جانب المصطلح الأصولي، وهذا لأهميته وفائدته، حيث ينتج عن المصطلح أفهام وتصورات، إن استقامت استقام فهمها، وإن أسيئ فهمها حصل الفساد. وقد أعتى الإمام الباجي بهذا الجانب عناية فائقة، سواء من حيث إفراده بالتصنيف والتأليف في كتابه '' الحدود في الأصول''، أو من حيث تصديره لمؤلفاته الأصولية، وذلك من خلال مقدمات ومباحث تتضمن الجانب المصطلحي الذي كثر استعماله وتداوله لدى الأصوليين. ومن ثم يمكن القول إن الإمام الباجي قد اهتم بالمصطلح الأصولي أيما اهتمام خدمة لأصول المذهب[2].

ج- جهود الإمام الباجي الفقهية خدمة للمذهب المالكي:

لقد بذل الإمام الباجي جهودا مضنية في الجانب الفرعي الفقهي خدمة للمذهب، ولا أدل على ذلك من كتبه العديدة التي ألفها في فروع الفقه المالكي، وقد أشرنا إليها عند الحديث عن مؤلفات الباجي المطبوعة والمخطوطة وما في حكم المفقود.[3]

ويقتصر الحديث في هذا الجانب على أهم كتاب فقهي للإمام الباجي كنموذج لجهوده الفقهية، ألا وهو المنتقى شرح الموطأ، وهذا لأهمية هذا الكتاب الفقهي للمذهب المالكي ومكانته لدى فقهائه الكبار. وقد بين الإمام الباجي في مقدمة كتابه المنتقى سبب تأليفها والذي يتمثل في أنه لما شرح موطأ مالك بن أنس في شرح كبير مطول سماه الاستيفاء حيث صعب تناوله على بعض الناس خاصة لمن لم يكن لهم دراية بهذا العلم، فطلب منه أحد تلامذته أن يلخص كتاب الاستيفاء في كتاب آخر يكون أسهل تناولا منه، فأجابه إلى ذلك حيث اختصر الاستيفاء واكتفى بذكر ما تضمنه من الفروع الفقهية مما هو وارد في الموطأ.

[1] العمري بلا عدة، المرجع السابق، ص 322.

[2] نفسه، ص 322.

[3] نفسه، ص322.

وكتاب المتقي شرح الموطأ يعتبر من أحسن ما كتب من شروح الموطأ خاصة من الناحية الفقهية على مذهب السادة المالكية، حيث كان الإمام الباجي يورد حديث الموطأ ويشرحه من خلال إيراد مسائل وفروع فقهية مع عرض أقوال الأئمة ومناقشتها، مدعما الاتجاه المالكي بدليله مع ذكر مختلف الروايات الواردة في المسألة. ولعل أهم ما يميز منهج الإمام الباجي في كتابه المنتقى شرح الموطأ أنه كان ينتصر للمذهب المالكي دون أن ينقص من قدر بقية المذاهب الفقهية المعتبرة، فنراه يرجح آراء مذهبه مصرحا بذلك بقوله: "والأصح كذا.... وقد يذكر الرأي المخالف ثم يتبعه بما يختاره، وقد لا يصرح بالترجيح فيفهم اختياره أو ميله لرأي المالكية من سياق عرضه للأقوال المختلفة. وكان الإمام الباجي يقوم بالتفريع الكثير على الأصل بحيث يعد كتابه المنتقى شرح الموطأ من الكتب الهامة في فروع الفقه المالكي.[1]

3-2- جهود الباجي السياسية:

تذهب جل المصادر التاريخية إلى أن بعد عودة الباجي إلى الأندلس من رحلته العلمية المشرقية سنة ووجدها تعيش في حالة من الاحتقان السياسي بين ملوك الطوائف، الذين تقاسموا البلاد وعاثوا فيها فسادا فأهلكوا الحرث والنسل، فحمل هذا الإمام ابتداء راية الإصلاح بين هؤلاء الأمراء الذين بعدت بينهم الشقة وأصبح بأسهم بينهم شديد، وأخذ ينتقل من مملكة إلى أخرى يدعوا إلى وحدة الصف وجمع كلمة،، ويحذر في المقابل من عواقب الاختلاف والاقتتال بين المسلمين، وعن هذه المبادرة يقول المقري: " لما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاما، وجد ملوك الطوائف أحزابا متفرقة، فمشى بينهم في الصلح[2]..".

ولا شك أن هذا الإمام الجليل قد انتدب نفسه للقيام بهذه المهمة العظيمة الشاقة، بعدما رأى في كثير من علماء عصره عضدا وسندا لهؤلاء الأمراء، حيث يأكلون على كل مائدة ويتقلبون في خدمات كل قصر، يبررون لهم طغيانهم وظلمهم، وتزكية أعمالهم وتصرفاتهم وابتزازهم لأموال الرعية، فاحتضنهم أمراء الطوائف وأغدقوا عليهم العطاء، وقد صور المؤرخ ابن حيان هذه الظاهرة، فقال:"... فالأمراء القاسطون، قد نكبو بهم عن نهج

[1] العمري بلا عدة، المرجع السابق ص 323.

[2] المقري، مصدر سابق، ج2 ص 77. بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، **جهود فقهاء المالكية في إصلاح بين أمراء الطوائف الإمام الباجي نموذجا**، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية،2021، العدد 02 ص 655.

الطريق ذيادا عن الجماعة، وجريا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صدف عما أكده الله عليهم من التبيين لهم، قد أصبحوا بين أكل من حلوائهم، وخابط في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم، أخذا بالتقية في صدقهم"، وفي ظل هذا السكوت من أهل العلم عن هذه الفتنة العظيمة التي نزلت ببلاد الأندلس قام الباجي داعيا إلى إصلاح ذات البين بين هؤلاء الأمراء المتدابرين، وهو يعلم يقينا أن السعي منه هو من أجل العبادات وأفضل الطاعات التي فرضها المولى سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وذلك العظم ما يترتب على اجتماع كلمة المسلمين من تقوية شوكتهم وبذلك يخشى الأعداء جانبهم، بخلاف ما لو بقوا مفترقين متنازعين فيفشلوا وتذهب ريحهم ويتسلط عليهم عدوهم، أضف إلى ذلك أن الباجي يدرك أن الإصلاح بين الحكام يدخل في باب النصيحة الأئمة المسلمين التي أوجبها الله تعالى على لسان رسول صلى الله عليه وسلم في حديث " الدين النصيحة "،تذهب بعض الروايات إلى أن المتوكل بن الأفطس حاكم مدينة بطليوس هو من ندب أبا الوليد الباجي إلى القيام بأمر الصلح بين ملوك الطوائف، حيث كان هذا الأمير جل أبا الوليد الباجي ويقربه من مجلسه، وقد استعمله في حفظ الأمانات وعينه قاضيا على بعض الأماكن المتفرقة من مملكته، فأشار عليه بأن يشرف على المهمة التبيلة قصد توحيد راية المسلمين تحت لواء واحد، فانشرح صدر الإمام الدعوة الأمير وأجابه لطلبه، غير أنه هذه الرواية يمكن تفنيدها حيث لا يعقل أن يحث على الإصلاح والمطالبة بتوحيد البلاد الأندلسية أمير استقل بحكم إحدى مدنها، وسعى كغيره من الخصوم إلى تخريب ديارها وهدم صرح وحدتها، فحاكم بطليوس طرف مشارك في الفوضى السياسية والانشقاق الداخلي وسعى كغيره من الحكام إلى التوسع على حساب ما جاوره من مدن، ويبدو أن الإمام الباجي أراد أن يستغل مكانته وحالة القبول التي يحظى بها عند بعض الأمراء من أجل عرض مشروعه الإصلاحي عليهم؛ لأنه كان في حياته حريصا على اجتناب مجالس السلاطين ومصاحبتهم إلا ما كان لمصلحة، وهذا ما يشير إليه في نصيحته إلى ولديه قائلا:" واجتنبا صحبة السلطان ما استطعتما، وتحريا البعد منه ما أمكنكما، فإن البعد منه أفضل من العر بالقرب منه، فإن صاحب السلطان خائف لا يأمن، فإن امتن أحدكما بصحبته، أو دعته إلى ذلك ضرورة..." [1].

[1] بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، المرجع السابق، ص65.

3-3- نشاط الباجي الإصلاحي:

لقد كان الباجي في مشروعه الإصلاحي متوجها بدعوته إلى المستوى القيادي المتمثل في حكام الطوائف، كما كان له نشاط دعوي مماثل يخاطب من خلاله عوام الناس وطلبته في مجالس العلمية.

أ- الدعوة الإصلاحية على المستوى القيادي:

لقد جاب الباجي بلاد الأندلس شرقا وغربا يعرض فكرة الصلح السياسي على رؤوس دول الطوائف، حيث كان يقيم في كل واحدة منها مدة ليست بالقليلة، وإنما اكتفت بذكر البعض منها:

- مملكة بطيلوس: وهي المدينة التي ولد بها الباجي وتقع في غرب الأندلس، وكانت تحت سيطرة بني الأفطس من البربر، وبعد أن قدم إليها الباجي حظي بترحيب كبير من حاكمها المتوكل بالله، واستعمله في حفظ الأمانات وأجزل له في العطاء وولاة القضاء، كما دعمه في مشروعه السياسي وشد من عضده[1].

- مملكة بلنسية: تقع في شرق الأندلس وكانت تخضع لحكم بني عامر من اليمن، وقد قدم الباجي إليها في حدود سنة 468هـ، وقد وجد من حاكمها الترحيب، حيث كان يباهي المقتدر بانحياز الباجي إلى سلطانه وإيثاره لحضرته باستيطانه، ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله في مكانه متى كان يوافيه[2].

- مملكة سرقسطة: تقع في الشمال الشرقي للأندلس، وهي من أعظم ممالك الطوائف من حيث سعة رقعتها وموقعها بين دول إسبانيا النصرانية في الشمال، وكانت تحت حكم أسرة بني هود البربرية، وقد دخلها الباجي أكثر من مرة وأقام بها مدة طويلة، وكان على اتصال بحكامها وعمل في محافلها[3].

- مملكة الحرية: وهي آخر المدن التي زارها الباجي وبها توفي سنة 474هـ، وقيل أنه جاءها سفيرا بين رؤوس الأندلس يؤلفهم على نصرة الإسلام، ويروم جمع كلمتهم، فتوفي بها قبل إتمام غرضه، وفي حقيقة الأمر أن المصادر أشارت إلى عدد يسير من تلك الممالك

[1] بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، مرجع سابق، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص 57.

[3] نفسه، ص 57.

التي زارها هذا الإمام في إطار جهوده الإصلاحية، ولم تأتي على ذكر جميع رحلات الباجي السياسية التي قام بها هذا الإمام داخل التراب الأندلسي، ويبدو أن المؤرخين لم يكن لديهم صورة كاملة ومفصلة عن عدد هذه الجولات الإصلاحية ولا تاريخها، لكن مع طول المدة التي عاشها هذا الإمام بعد عودته من المشرق، والتي وصلت إلى خمس وثلاثين سنة يكشف لنا عن مدى كثرة الممالك التي قصدها الباجي، كما أنه لا يعقل أن يدعو مصلح إلى نبذ الخلاف السياسي بين رؤوس دول الطوائف وجمع كلمتهم، وبعدها لا يعرض مشروعه التوحيدي إلا على أربعة أو خمسة منهم، والأندلس يومها ممزقة إلى عشرين دولة أو أكثر[1].

ب- الدعوة الإصلاحية على المستوى الشعبي:

عاد الباجي إلى الأندلس وقد حاز خلال الرحلة العلمية المباركة التي استمرت حوالي ثلاثة عشر سنة علما غزيرا ومقاما رفيعا، حتى صار واحد من كبار أئمة المسلمين ببلاده، ينافح عن العلم وينشره وأصبحت حلقاته التدريسية معمورة مشهورة، يقصدها طلبة العلم من كل أرجاء البلاد الإسلامية، سواء من أهل بلده أو من الذين قصدوه من مختلف الأمصار فسمع منه وروى عنه جمع غفير، ولعل أن الباجي كان في ثنايا هذه الحلق إضافة إلى تلقين العلوم الشرعية يحدث طلبته وعوام الناس عن حال الانقسام السياسي الذي تتخبط فيه بلاد الأندلس، ويبين المفاسد المترتبة عن هذا الشقاق بين المسلمين، ويكشف مكر الأعداء خصوصا في حلقات شرح صحيح البخاري في مملكتي بلنسية وسرقسطة، والذي عقد فيه كتابه جزءا خاصا سماه " كتاب الفتن" وقد أدرج تحته عديد الأبواب، منها: باب ظهور الفتن، وباب التعوذ من الفتن وباب إذا التقى المسلمان بسيفهما، ولا يمكن أن نعتقد أن عالما جليلا كالباجي انتدب نفسه لإخماد نار الفتنة المشتعلة بين أمراء الطوائف أن يسكت أمام تلاميذه عن الفتنة الداخلية التي حلت بالأندلس، وهو يشرح هذه الأحاديث النبوية التي تحذر المسلمين من الفرقة، وتنتهم على خطر الفتنة وضرورة اجتنابها والتعوذ منها[2].

[1] بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، المرجع السابق ص57.

[2] المرجع نفسه، ص58.

4- أسباب فشل مشروع الباجي الإصلاحي:

أ- رفض السلطة الحاكمة لدعوة الباجي:

إن المساعي الحثيثة التي قادها الإمام أبي الوليد الباجي في سبيل التخفيف من حدة الاختلاف السياسي بين أمراء الممالك لم تأتي أكلها وباءت بالفشل، ولم تصادف دعوته الإصلاحية أسماعا واعية، بل نفخ في عظام ناخرة وعكف على أطلال دائرة، وأضاع ملوك الجزيرة على أنفسهم فرصة ثمينة لأجل توحيد الصف الأندلسي، وظل الصراع قائما بينهم واستمر معه تطاحنهم واقتتالهم بالرغم مما كانوا يظهرونهم من قبول وترحيب بهذه المبادرة الإصلاحية، فأدى بهم ذلك إلى تراجع هيبتهم وضعف شوكتهم، وعن هذا النفاق السياسي يقول المقري:" ...وهم يجلونه في الظاهر، ويستثقلونه في الباطن ويستدبرون نزعته وما كان أفطن الفقيه رحمه الله بأمورهم وأعلمه بتدبيرهم، لكنه كان يرجو حال تؤوب، ومذنبا يتوب.."[1].

ومع التنافس الشديد بين ملوك الطوائف عن السلطة سارعوا إلى البحث عن المشروعية الدينية لسلطانهم، وذلك من خلال استغلال العلماء قصد الحصول على مزيد من التأييد الشعبي، فتنافسوا فيما بينهم للاحتفاء بالعلم والعلماء عامة وبهذا العالم الجليل على وجه الخصوص خاصة، وقاموا بدعوة أصحاب الفضل من الأئمة الأعلام للإشراف على المراكز العلمية، والإحسان إليهم وتولية البعض في الوظائف العليا في المملكة كالقضاء والوزارة والفتوى والاستشارة وغيرها؛ وذلك باستغلال الثقة الكبيرة التي يحظى بها هؤلاء العلماء لدى عوام الناس، وعليه يستطيعون التأثير على توجهاتهم السياسية، ومع ذيوع خبر غزارة علم هذا الإمام وجلال قدره رغب الكثير من الحكام في دعوته إلى ممالكهم قصد الحصول على مباركته وتأييده لسلطانهم، لذلك نجدهم كانوا يظهرون تبجيله وإكرامه، والمباهاة بانحيازه رغبة في كسب ولاء الأندلسيين، ولم يكونوا يقصدون الالتفات إلى دعوته[2].

ب- الانقسام الطبقي داخل المجتمع الأندلسي:

يتكون المجتمع الأندلسي من قوميات مختلفة وأعراق متنوعة، فنجد إلى جانب العرب البربر والصقالبة" موالي العامريين" والمولدون والمستعربون والموالي والإسبان وبعض اليهود

[1] المقري، المصدر السابق، ج2، ص77، بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، المرجع السابق ص 658.

[2] نفسه، ص 658.

وقد شكلت هذه القوميات على الرغم من اختلاف ديانتها وعاداتها وثقافاتها مزيجا متحدا متماسكا أسهم بشكل رئيس في ازدهار هذه الديار وتطورها ثقافيا وعلميا واجتماعيا، غير أنه مع بداية الاضطرابات السياسية في عصر الطوائف تحول ذلك المزيج العرقي للمجتمع من نعمة إلى نقمة على أهل الأندلس، حيث أصبح بأس تلك القوميات فيما بينها شديد وراح كل فريق يكيد للآخر ويعتبره عدوة، بعدما كانوا بالأمس القريب وحدة متجانسة على قلب رجل[1].

ولقد وقف هذا التنوع العرقي سدا منيعا في وجه أي مشروع يدعو إلى توحيد الصف وجمع كلمة الأندلسيين تحت راية واحدة، خاصة في ظل استئثار العرب الأمويين بأمور الحكم والرياسة، وتوليتهم الأهل والأقارب دون غيرهم في المناصب القيادية كالإمارة والقضاء والجيش وغيرها من المسؤوليات المهمة، إضافة إلى التباين المعيشي الكبير بين مكونات المجتمع الأندلسي، حيث كان العرب ومن يواليهم من وجهاء وأغنياء وكبار التجار يتملكون الأراضي الواسعة وتصرف لهم الرواتب من بيت المال، بينما عامة الناس تعاني قسوة الحياة وتعاني ظروف معيشية كادحة، وكان أغلبهم من البربر والموالي والمستعربين واليهود، وقد ولد هذا التفريق العنصري لدى هذه الأقليات شعورا بالتهميش والإقصاء وإهمال دورهم في خدمة المجتمع وبناء الدولة، فأدى ذلك إلى خلق جو من الفوضى وعدم الاستقرار داخل الأندلس؛ برزت على إثره نزعة قومية تقلل من شأن العرب وتهون من قدرهم وتدعم قيام الثورات والانتفاضات الداخلية؛ مما زاد في إذكاء نار الفتنة وتأجيج الحروب الطائفية حتى أصبح هذا التنوع العرقي بمثابة صخرة ترتطم بها كل دعاوي الوحدة والإصلاح التي جهر بها الباجي بين ملوك الطوائف[2].

ج- ضعف الوازع الديني وانهدام الصرح الأخلاقي:

تعددت مظاهر هذا الفساد الأخلاقي وتنوعت داخل المجتمع الأندلسي، مثل انتشار ظاهرة المجون وشرب الخمر علنا، وعقد الأمراء المجالس اللهو والغناء والموسيقى، وتقريبهم لأهل الأهواء والسوء، واشتغال الأمراء بتشييد القصور والمغالاة في بنائها وتزيينها وتأثيثها

[1] بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، المرجع السابق، ص، 658.

[2] المرجع نفسه، ص 659.

بأجود أنواع الزينة والفرش، واستفحال السرقة وانتشارها في البادية والمدينة على حد سواء، وذلك نظير تردي الوضع الاجتماعي[1].

د- تدخلات العدو النصراني في إطالة زمن الحرب:

أدى صراع العامة وبسط النفوذ زمن الطوائف إلى قيام حرب طاحنة لم تعرف قرارا ولا ركوا لإصرار كل واحد من أطراف النزاع الداخلي على هم خصومه وتوسيع حدود مملكته، ولو كان ذلك عن طريق الاستنجاد بالعدو الإسباني، الذي كان يومها مسيطرا على الجزء الشمالي من الأندلس، فسارع هؤلاء المتناحرين في تقديم أثمن الهدايا وأنفس الأموال لملوك النصارى الدخول تحت حمايتهم ولوائهم، أو طمعا في تلقي بعض المساعدات منهم لدحر الخصوم في الحروب الداخلية، فمثلا: أبرم المنذر بن يحي التجيبي معاهدة حسن الجوار بين مملكة سرقسطة وبعض الممالك النصرانية المجاورة لها، واستعانته بعد ذلك بأمير برشلونة للقضاء على خصومه، وكذلك سعى سليمان بن هود في شراء عون النصارى، ولم يكن لملوك النصارى أن يفوتوا على أنفسهم هذه الفرصة الثمينة، فكانت الاستجابة سريعة منهم وعقدوا تحالفات مع بعض دول الطوائف قدموا لهم بموجبها العون والمدد العسكري التأجيج لهيب الصراع وإطالة زمنه، فعظمت الرزية في الأندلس وأفسدت الحرب المشتعلة الحرث والنسل، وضعفت معها شوكة المسلمين بعد أن ضرب العدو المتربص بعضهم بعضا، وهكذا أصبح العدو الصليبي يفرض إرادته وأخذ سلطانه يقوى يوما بعد يوم، ولم يجد المستضعفين من أمراء المسلمين إلا المسارعة في دفع المال مقابل بقائهم على رأس الإمارة وحصولهم على الحماية النصرانية، وبعد أن مل الإسبان من أخذ الجزية واطمأنوا لسوء حال المسلمين، أخذوا ينتزعون الأراضي الأندلسية من المسلمين في رد الأندلس إلى النصرانية وهو ما تم بالفعل بعد ذلك في حروب الاسترداد[2]، واستغل الليبيون هذه الظروف السياسية المزرية وأخذوا يكثرون من الغارات على الأراضي الأندلسية، فاستولوا على مدينة " بريشتر" سنة (456هـ) وتبعها سقوط " طليطلة" إحدى قواعد الأندلس ومراكز القوة فيه، وسقط عدد من المدن والحصون حولها ما مجموعه ثمانين منبرا بين مدن وقرى، وبهذا وقع الذي كان الباجي يحذر منه، ومع بداية التوغل النصراني بالأندلس غير الباجي من مسار دعوته

[1] بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، المرجع السابق، ص 660.

[2] نفسه، ص 660.

واجتهد أكثر في التحريض على مواجهة هذا العدوان الأجنبي، وأصبح يطوف بين الملوك ويدعوهم – على الرغم من الاقتتال الدائر بينهم – إلى تكوين جبهة عسكرية واحدة للتصدي للهجمات الصليبية المتتالية، وقد دخل سرقسطة وبقي بها ثلاثة سنوات تولى فيها الدعوة إلى الجهاد حتى استعيدت "بريشتر" بعد سقوطها سنة (456)، وعندما لم يجب الأمراء دعوة الجهاد، أسرع الباجي مع مجموعة من علماء بلده إلى الإفتاء بجواز الاستعانة بالمرابطين في عدوة المغرب، فأجابهم يوسف بن تاشفين إلى ذلك وعبر مع المرابطين إلى الأندلس وانضم إليه بعض ملوك الطوائف بجيوشهم، والتقى المسلمون بالنصارى وانتصر الجيش المتحد من العدوتين المغربية والأندلسية في موقعة زلاقة سنة (479هـ)، وكان قد مر حوالي خمس سنوات على وفاة الإمام الباجي[1].

بعض موضوعات المناظرة بين الامامين بن حزم والباجي.

إن ضعف المالكية بالأندلس جعلهم يستنجدون بأبي سليمان الباجي لقد كان محمد بن سعيد الميورقي أحكم نظرا حين طلب معونة أبي الوليد الباجي؛ لأنه كان يقدر قوة خصمه. كما أنه كان يعلم – من دون شك– قدرة الباجي على منازلته، لأنه كان لمدة ثلاث عشرة سنة وهو مرابط بالمشرق. ومكوثه به كل هذه المدة، أتاح له الاتصال بأبرز علماء المناظرة هنالك، وأتاح له كذلك حضور بعض مجالسهم. وقد وصف لنا بالفعل مجلسا من مجالس المناظرة التي حضرها، وكان فيها – كما يقول علماء من أمثال: القاضي أبي الطيب الطبري (ت450هـ)، وهو شيخ الفقهاء في ذلك الوقت ببغداد وكبيرهم، والقاضي أبي عبد الله الصيمري (ت436هـ)، ، والفقيه أبي إسحاق الشيرازي، الذي كان في الجدل ملكه الآخذ بزمامه، وإمامه إذا أتى كل واحد بإمامه ، بل جعله بدر سمائه الذي لا يغتاله النقصان عند تمامه[2].

[1] بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، المرجع السابق، ص 661.

[2] سعيد المنغاوي، مرجع سابق، ص 187.

أحداث المناظرة وموضوعاتها:

كانت هذه المناظرة طويلة ومجالسها كثيرة ومع ذلك، لم يصلنا منها إلا نزر يسير وقد جرت أولى جلساتها سنة 439هـ ميورقة وبمحضر الوالي ابن رشيق ومن بين ما تناظرا حوله حسب ما ذكره المقري في (نفح الطيب) كيفية طلبهما للعلم، وقد جاء في هذه الرواية أن الباجي قال لابن حزم: «أنا اعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق». فكان جواب ابن حزم:

هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وانت في الحال رجاء تبديلها مثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرج به إلا غلق القدر العلمي في الدنيا والآخرة. [1]

من بين الموضوعات التي تم التناظر حولها بين الإمامين هي القياس والكتاب والسنة والفور والتراخي وسنذكر بعضا منها:

الجلسة الأولى: حول دعوى حمل الأمر على الفور.

إن الأمر المراد طرحه باعتباره دعوى هو الأمر المطلق على اعتبار أن الوقت المؤقت بوقت محدد ليس فيه مجال للتناظر، هذا من جهة، من جهة أخرى أن الأمر المطروح كدعوى تداخلت فيه الآراء مع الشكل السابق ومع قضية تكرار الفعل، ولهذا سيحرص كل من الطرفين أن يناقش قضية الأمر المؤقت والمحدد الطرفين وغير المحدد، فالأول يرى فيها ابن حزم والباجي أنه لا دخل للنقاش فيه والثاني فيه نوع من التداخل أما الثالث فهو الذي سيدور حوله الخلاف: دعوى ابن حزم: فرض الأوامر البدار الدليل: قال تعالى:﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[4]،

[1] سعيد المنغاوي، المرجع السابق، ص 187.

[2] قرآن كريم، سورة آل عمران، الآية: 133.

[3] قرآن كريم، سورة البقرة، الآية: 148.

[4] قرآن كريم، سورة الواقعة، الآية: 10-11.

وقال عليه السلام: "لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله تعالى"[1]، اعترض على دليل ابن حزم: إن هذه الأدلة سبقت مساق المسارعة إلى المغفرة لا إلى الفعل، هذا مع العلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قد أخر بعض الأوامر كتأخيره للحج[2].

جواب ابن حزم:

إن ما يراد من الآية هو المسارعة إلى الأعمال الموجبة للمغفرة "وقد أيقنا بقوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] أن أحدا لا يؤتى المغفرة إلا بعمل صالح يقتضي له وعد الله تعالى بالرحمة والمغفرة.. وعلمنا ذلك يقينا أن مراد الله تعالى بقوله:﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4] إنما هو سارعوا إلى الأعمال الموجبة للمغفرة من ربكم، وأما تأخير النبي ﷺ للحج "فقد حج عليه السلام قبل الهجرة ورآه جبير بن معطم واقفا بعرفة.. ويكفي من هذا كله أننا على يقين من الله تعالى أمره بتأخير الحج حتى يعهد إلى المشركين أن لا يقربوا المسجد الحرام[5]،دعوى الباجي: الأمر المطلق لا يقتضي الفور الدليل لأن صيغة افعل لا تتضمن الزمان وإذا كانت فإذا وردت فلا ينبغي حملها على الفور[6] اعتراض على الباجي الأمر إذا ورد وجب حمله على فعل واحد وإذا كان كذلك ففاعل الفعل إذا فعله في أول الوقت أدى ما أمر به وسقط عنه ما بعده[7]،جواب الباجي إذا أداه متراخيا فقد أدى الفعل بثاني الوقت وسقط وسقط عند الأول[8] اعتراض: إذا كان لفظ افعل يقتض الوجوب، فإنه لا يحمل على الوجوب إلا مع الفور الجواب إن تقديم الفعل لا تصير إليه إلا بدليل كما هو الشأن بالنسبة لتقديم الاعتقاد[9].

---

[1] ابن حزم، مصدر سابق، ص 43.

[2] مصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص 73.

[3] قرآن كريم، سورة النمل، الآية: 90.

[4] قرآن كريم، سورة آل عمران، الآية: 133.

[5] ابن حزم، **المصدر السابق**، ج3، ص 51.

[6] الباجي، **احكام في فصول الاحكام**، المصدر السابق، ص 212.

[7] الباجي، نفسه، 213.

[8] نفسه، 213.

[9] مصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص 84.

الجلسة الثانية حول دعوى أقل الجمع:

إن أصل طرح هذه الدعوى يعود إلى النص القرآني نفسه، فالنص كثيرا ما يخبر عن الاثنين بالجمع متجاوزا بذلك الصيغة التي وضعت للأفراد وللتثنية وللجمع، وهذا المشكل النصي هو السبب الرئيسي الذي أدى بالأصوليين إلى الاختلاف وبعدها إلى التناظر، دعوى ابن حزم أقل الجمع ثلاثة دعوى الباجي: أقل الجمع اثنان، دليل الباجي ورد القرآن بذلك. قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[1]، وقال تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ..﴾[2]ووجه الاستدلال بهذه الآيات أن لفظ الجمع وقع على الاثنين،[3]جواب ابن حزم حزم الآية الأولى لا حجة لهم فيها لأنها إخبار عن ثلاثة: المرسلان وفرعون المرسل إليه "فالمستمعون–إذن–ثلاثة بيقين"[4].

الآية الثانية ليس فيها ما دل على اعتبار أقل الجمع اثنان "لأن الضمير في حكم العربية أن يكون راجعا إلى أقرب مذكور إليه، وأقرب مذكور إلى الضمير قوله تعالى ﴿غنم القوم" فالقوم وداود وسليمان جماعة بلا شك...﴾[5]،الآية الثالثة: هذه الآية–بدورها–ليس فيها ما يحتج به "لأن الخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة وقوعا مستويا"[6] كوقوعه على الألب والحرب فتقول "هو ألب علي وهو حرب علي، وهما حرب علي وألب علي، وهم حرب علي وألب علي.."[7]؛ إذن فليس هناك إمكان للقول انهما اثنان ودون القول انهم جماعة، وزيادة على هذا أن قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[8]؛ إنما نزلت في ستة نفر علي علي وحمزة وعبيدة والحرث وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة..."[9].

---

[1] قرآن كريم، سورة الأنبياء، الآية: 78.

[2] قرآن كريم، سورة ص، الآية: 21.

[3] مصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص 84.

[4] ابن حزم، **المصدر السابق**، ج7، ص4، مصطفى الوظيفي، نفسه، ص84.

[5] ابن حزم، **نفسه، ج4، ص5.**

[6] **نفسه**، ص 6.

[7] **نفسه**، ص 5.

[8] قرآن كريم، سورة الحج، الآية: 19.

[9] ابن حزم، نفسه، ص 6، مصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص85.

دليل الباجي: إجماع أهل اللغة على إمكان قول المخبر عن نفسه وعن آخر معه "قلنا فعلنا فتقع كتابة الجمع على الإسفين"[1].

اعتراض ابن حزم: ليس الخبر عن الاثنين كالخبر عن الجماعة "لأن ذلك قياس والقياس فاسد"[2]. مع العلم أنه في اللغة قياس "وإنما هي مسموعة"[3].

دليل ابن حزم: لا خلاف بين أهل اللسان بل بين واحد أن للاثنين صيغة في الإخبار عنهما غير الصيغة المخصصة للجمع الثلاثة فما فوق وعليه فلا يجوز أهل اللسان وقوع أحدهما على الآخر وإلا "وقع الإشكال وارتفع البيان"[4].

اعتراض الباجي: إن العرب لم تقل "إن لفظ الجمع لا يقع على الاثنين وإنما أرادوا أن لفظ الاثنين لا يقع على الجميع، وذلك لا يمنع من وقوع لفظ الجميع على الاثنين.."[5].

الجلسة الثالثة حول دعوى خطاب الله المذكور:

الأصل في خطاب الله أنه خطاب للجميع وخاصة عند وروده بصيغة لفظ الذكورية لأن الشرع لازم للجميع ومن غير تمييز بين الرجل والمرأة، لكن ورود الأمر–في بعض الأحيان– خاصا بالنساء سيطرح مشكلا للأصوليين، بمعنى هل ما ورد بصيغة الذكورية خاص بالذكور أم يشمل الذكور والإناث معا؟ حول هذا الإشكال سيتم التناظر بين الظاهرية والمالكية دعوى ابن حزم خطاب الذكور يدخل فيه الرجال والإناث..[6]، دليل ابن حزم:

1– أنه لا خلاف بين المسلمين أن النساء مخاطبات بقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[7]. الزَّكَاةَ﴾[7].

2– ولا خلاف بين المسلمين كافة أن النساء وكل بني آدم مخاطبين بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾[8].

---

[1] الباجي، **المصدر السابق**، ص250، مصطفي الوظيفي، المرجع السابق، ص85.

[2] ابن حزم، **المصدر السابق**، ص 4، مصطفي الوظيفي، نفسه، ص85.

[3] ابن حزم، **نفسه**، ص4، مصطفي الوظيفي، نفسه، ص85.

[4] بن حزم، نفسه، ص 8، مصطفي الوظيفي، نفسه، ص85.

[5] الباجي، **المصدر السابق**، ص 251، مصطفي الوظيفي، نفسه، ص86.

[6] ابن حزم، المصدر السابق، ج3، ص80.

[7] قرآن كريم، سورة البقرة، الآية: 43.

[8] قرآن كريم، سورة لقمان، الآية: 33.

3- إن النبي ﷺ سئل عن أحب الناس إليه فقال عائشة" ورسول الله ﷺ أعلم الناس باللغة التي بعث بها، فحمل اللفظ على عمومه في دخول النساء مع الرجال.."[1].

4- ليس لخطاب الذكور-خاصة- لفظ مجرد في اللغة العربية غير اللفظ الجامع لهم وللإناث[2]لفظ "افعلوا" يجمع المذكر والمؤنث لأن القرآن خطاب للجميع ولأن النبي ﷺ مبعوث مبعوث للجميع[3].

دعوى الباجي: خطاب الذكور لا يدخل فيه الرجال والإناث[4]، دليل الباجي للنساء أسماء تخصهن دون الرجال مسلمة، مسلمتان، مسلمات "فإذا كان ذلك كن مخصوصات بلفظ التأنيث والرجال مخصوصين بلفظ التذكير، ولذلك قال تعالى ﴿إن المسلمين والمسلمات" فخاطب كل فريق باللفظ الموضوع له﴾[5].

والدليل الثاني أن لفظ التذكير موضوع للمذكر خاصة "ولذلك قال أهل العربية أن الواو في الجمع تدل على خمسة أشياء الجمع والسلامة ومن يعقل والرفع والتذكير..."[6].

اعتراض المالكية: بحديث أم سلمة وفيه شكوى النساء على الله في ذكره الرجال دون النساء فنزلت "إن المسلمين والمسلمات".

جواب ابن حزم: هذا الحديث غير صحيح، وروايته مرسلة لا تقوم بها الحجة[7].

اعتراض المالكية: إن خطاب الله ورد بلفظ يخص النساء ولفظ يخص الرجال كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[8].

جواب ابن حزم: أول هذا الخطاب وغيره بإرادة الله للتكرار والتوكيد "إنه لا ينكر التوكيد والتكرار"[9].

---

[1] ابن حزم، المصدر السابق، ص 83.

[2] ابن حزم، **نفسه**، 83.

[3] مصطفي الوظيفي، المرجع السابق، ص85.

[4] الباجي، **المصدر السابق**، ص 244.

[5] الباجي، نفسه، ص 244-245، مصطفي الوظيفي، نفسه، ص87.

[6] الباجي، نفسه، ص 245، مصطفي الوظيفي، المرجع السابق، ص87.

[7] ابن حزم، **المصدر السابق**، ج3، ص84، مصطفي الوظيفي، نفسه، ص87.

[8] قرآن كريم، سورة الأحزاب، الآية: 35.

[9] ابن حزم، نفسه، ص85، مصطفي الوظيفي، نفسه، ص87.

ولا ينسى ابن حزم على عادته أن يذكر بعض التناقض الذي وقع فيه المالكية وخالفوا بذلك مذهبهم في حمل خطاب الله على الذكور دون الإناث "ثم هم يأتون إلى خطاب النبيﷺ للرجل الواطئ في رمضان بالكفارة، فقالوا الواجب على المرأة من ذلك ما على الرجل..[1].

الجلسة الرابعة حول حجية القياس حيث يري الباجي بحجية القياس بإجماع الصحابة على مسائل كثيرة اعتمادا على القياس، ومن ذلك إجماعهم على خلافة أبي بكر قياسا على إمامته في الصلاة "أنهم أجمعوا على إمامة أبي بكر–رضي الله عنه– بالرأي لقيام الدليل على بطلان القول بالنص على جل بعينه"[2]غير أن ابن حزم استبعد أن يكون ما ما في تقديم أبي بكر للخلافة ما يدل على القياس، وذلك بناء على الاعتراضات التالية:

– استخلف الرسولﷺعلى المدينة في غزوة تبوك "فقياس الإستخلاف على الإستخلاف اللذين يدخل فيهما الصلاة والأحكام أولى من قياس الإستخلاف على الصلاة وحدها"[3].

– إن خلافة أبي بكر منصوص عليها "أن النبي ﷺ نص عليه.. وهذا هو قولنا الذي ندين الله تعالى به"[4].

– إن تقديم المسلمين لأبي بكر إنما يرجع إلى تقديم أفضلهم "وحكم الإمامة أن يكون في الأفضل"[5].

– إن علة الخلافة غير علة الصلاة حتى يمكن قياس الخلافة على الصالة "الخلافة ليست علتها علة الصلاة، لان الصلاة جائز أن يليها العربي والمولى والعبد الذي لا يحسن سياسة الجيوش والأموال والأحكام والسير الفاضلة، وأما الخلافة فلا يجوز أن يتولاها الأقرشي.. عالم بالسياسة ووجوهها وإنما الصلاة تبع للإمامة وليست الغمامة تبعا للصلاة، فكيف يجوز

[1] ابن حزم، **المصدر السابق**، ج3، ص 86، مصطفي الوظيفي، المرجع السابق، ص 87.

[2] الباجي، المصدر السابق، ص 585.

[3] ابن حزم، المصدر السابق، ج7، ص 119، مصطفى الوظيفي، نفسه، ص 172.

[4] ابن حزم، نفسه، ص 120، مصطفى الوظيفي، نفسه، ص 173.

[5] ابن حزم، نفسه، ص 121، مصطفى الوظيفي، نفسه، ص 173.

عند أحد من أصحاب القياس أن تقاس الإمامة التي هي أصل على الصلاة التي هي فرع من فروع الإمامة؟ هذا ما لا يجوز عند أحد من القائلين بالقياس"[1].

- **القياس قول في الدين بغير علم:**

قال تعالى:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[3].

وقال تعالى: وقال تعالى:﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[4].

القياس في مقابل البيان فألهي زيادة في الشريعة:

قال تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[5]. وقال لرسوله ﷺ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[6]. وقال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[7]، وأجمع على تصديق قوله تعالى في كمال الشريعة[8].

القياس دين لم يأذن به الله:

قال تعالى:﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[9]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[10].

---

[1] ابن حزم، المصدر السابق، ص 125، مصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص 173.

[2] ابن حزم، نفسه، ج 9، ص 8، مصطفى الوظيفي، نفسه، ص165.

[3] قرآن كريم، سورة الأنعام، الآية: 144.

[4] قرآن كريم، سورة النجم، الآية: 23.

[5] قرآن كريم، سورة النحل، الآية: 89.

[6] قرآن كريم، سورة النحل، الآية: 44.

[7] قرآن كريم، سورة العنكبوت، الآية: 51.

[8] ابن حزم، المصدر السابق، ج8 ص 18 – 19– 38، مصطفى الوظيفي، المرجع السابق، ص165.

[9] قرآن كريم، سورة الشورى، الآية: 21.

[10] قرآن كريم، سورة آل عمران، الآية: 78.

خلاصة

عرف عصر ملوك الطوائف بالانقسامات السياسية وتمزق أرض الاندلس وتطاحن ملوكها فيما بينهم على النفوذ والسيادة ووصل هذا الأمر إلى التنافس على النواحي الحضارية وميدان العلوم والأدب فاجتذبوا العلماء إلى بلاطاتهم وعملوا على تشجيعهم ورعايتهم وكانوا يفاخر بعضهم بعضا بما يضمه بلاط كل منهم من اهل العلم والأدب، وقد تميز هذا العصر بقدر واسع من تعدد الرؤى الفكرية نظرا لإفتقار الاندلس لسلطة سياسية ودينية تفرض نفوذها وتحدد نشاطها الفكري وتوجهها المذهبي.

الخاتمة

الخاتمة:

ها قد وصلنا لختام مذكرتنا بعد استبلاغ المرام حيث استطالة المطلوب بالخوض في الموضوع وآن الأوان لجني قطاف البحث في أدب المساجلات والمناظرات في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس هجري (ابن حزم والباجي) نموذجا، فلكل بحث نتائجه ومن أهم النتائج التي خلص إليها بحثنا ما يأتي:

أولا- إن المناظرة محاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الاخر فيحاول كل فريق إثبات وجهة نظره وابطال وجهة نظر الفريق الأخر مع رغبته الصادقة في ظهور الحق والاعتراف به لدى ضهوره.

ثانيا- مصطلح المناظرة اتصل بالعديد من المصطلحات كالجدل والسيجال والمرآة في علاقة سجالية تكاملية تعددت أراء الباحثين في تعريف المناظرة ومرادفاتها واختلفت هذه التعريفات باختلاف الباحثين كل عرفها على حسب مفهومه وتخصصه، فهناك من يرى أن الجدل والسيجال والمناظرة مصطلحات لمفهوم واحد وهناك من فرق بينهم.

ثالثا- للمناظرة أداب تنظمها وتسيرها كتأدب في الجلوس وحسن الاستماع وخفض الصوت وعدم المقاطعة، وشروط تحكمها كأن يكون المتناظرين على علم ودراية بالموضوع المراد المناظرة فيه وأن تكون المناظرة لطلب الحق، واكتملت المناظرة كعلم حيث لها أركان لا تقوم إلا بها كالمتناظران وموضوع المناظرة.

رابعا- إن قيام المناظرة كعلم كان عند تحديد مفهومها ووضع آدابها وأركان وشروطها، بهذا أصبحت فننا آدبيا ينتمي إلى الخطاب الحجاجي الذي يجمع بين الفن اللغوي والمنطق العقلي بهذا أصبحت المناظرة وسيلة للوصول للحقيقة.

خامسا- شكلت المناظرة وضع مركزيا داخل الثقافة الإسلامية لما شكل القرآن دعوة سمحة وشجع على المناظرة وحفز على ممارستها فلقد تمثلت في عصر النبوة في الجدل بين الكفر والايمان، واتخذت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم طابع الجدل الديني السياسي أما في عصر الدولة الاموية ظهرت مجالس المناظرة لتكون المرحلة الممهدة لنضج المناظرة في

العصر العباسي، حيث بلغت المناظرة في العصر العباسي تطور وازدهار كبيرا وتنوعا في موضوعاتها نتيجة للحركة العلمية الواسعة التي شجع على انتشارها الخلفاء العباسيين.

سادسا- إنتقلت المناظرة من المشرق الاسلامي الى الغرب الاسلامي نتيجة ظاهرة التأثير والتأثر وفق عدة عوامل ساعدت على الانتقال منها الفرق المذهبية ونتيجة لصراعات سياسية التي كانت تدور في المشرق والرحلات العلمية.

سابعا- عرفت المناظرة أوجها في الغرب الاسلامي خاصة في الاندلس وتطورت وتنوعت من مناظرات فلسفية ودينية وفقهية وعقدية حتى أصبح أهل الغرب الاسلامي أصحاب هذا الفن، وظهرت مؤلفات عديدة في هذا المجال واصبحت المناظرة في الغرب وسيلة كل دين وكل مذهب لذب عن آرائه واكتسبت أهميتها لكونها سلاح لإثبات وترجيح الآراء وعلم يحرر العقل من الجمود وينشط الحركة العلمية.

ثامنا- هناك عاملين أساسيين ساهما في ازدهار المناظرة في الغرب الاسلامي هما العامل الداخلي المتمثل في حالة الانحطاط السياسي التي عاشتها منطقة الغرب الاسلامي في القرن الخامس هجري وعلى غير العادة كان الانحطاط السياسي حافزا لتطور المناظرة وازدهارها من خلال التنافس بين أمراء ملوك الطوائف في الاندلس والعامل الثاني هو العامل الخارجي المتمثل في العلاقات السياسية والتجارية والثقافية بين المشرق ودول الغرب الإسلامي.

تاسعا- انتشار المناظرات بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى وبين المسلمين في الغرب وبلغت أوجها في القرن الخامس هجري وشهدت مظهرا من مظاهر الجدل الديني مظهر التسامح والجدل بالحسنى ومظهر آخر هو التطاول والاستهزاء على الاسلام من قبل أهل الكتاب وذلك نتيجة الافراط في التسامح الديني من قبل المسلمين.

عاشرا- بالرغم من الفترة الحرجة التي مرت بها الأندلس خلال القرن الخامس إلا أنها خلفت إرثا علميا وحضاريا قل نظيره وهذا ما ألقى بظلاله على الفقه.

إحدى عشر- مستوى النقاشات ومواضيع المناظرة بين الإمامين دليل على المستوى العلمي المرموق لإمامين أبو الوليد الباجي وابن حزم الاندلسي.

إثنى عشر– إعادة الباجي الاعتبار للفقه المالكي وإخراج المالكية من الجمود الفكري وحفظ المسائل الفقيهة وإعادة اجترارها ودعى إلى التوغل في اصول الفقه.

ثالث عشر– يعتبر ابن حزم بمنجحه العلمي وإرثه العلمي الزاخر المؤسس الثاني للمذهب الظاهري.

رابع عشر– لا يمكننا الجزم بإن أبو الوليد الباجي قد انتصر على ابن حزم في هذه المناظرة بالحجة والبرهان التي جرت في ظروف غير عادلة.

خامس عشر– ومما سبق استنتجنا أن العامل السياسي لعب دورا مهم في المناظرات بين ابن حزم والباجي وذلك لترجيح كفة الباجي على ابن حزم أي انتصار السلطة السياسية لفكر المالكي على حساب المذهب الظاهري ومن هذا استنتجنا أن انهزام ابن حزم كان نابعا من نفوذ السلطة السياسية ولم يكن مصدره الغلبة الفكرية والحجة الدامغة.

سادس عشر– وفي الأخير وحسب ما إطلعنا عليه من خلال الدراسات السابقة فإن لب مناظرة الإمامين لم يتطرق إليها أحد سوى مصطفى الوظيفي وعبد المجيد تركي وهذا يترك الباب مفتوح أمام الباحثين.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصـــــادر العربية:

1) ابن الآبار، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تح إبراهيم الأبياري، ط1 دار الكتاب المصرية القاهرة 1610هـ-1989م.
2) ابن الجزري الدمشقي الشافعي، غاية النهاية في الطبقات، القراء تح بريجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 2006، ج2.
3) ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، (ب م)، ط1، دار عالم الثقافة لنشر والتوزيع عمان الأردن، 1427هـ-2006م،
4) ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين**، محمد ناصر وإبراهيم بحار، (ب ط) دار الغرب الإسلامي تونس، (ب س ن).
5) ابن المنظور، **لسان العرب**، تح، داود سلوم وآخرون، ط1، مكتبة بيروت لبنان الناشرون، 2004.
6) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، تح أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، 1985م.
7) ابن خلدون، **المقدمة**، (ب ط)، دار الفكر لطباعة والنشر، بيروت لبنان 1428هـ-.2007
8) ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت لبنان،1414هـ/1993م، ج1.
9) ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح محمد الأحمدي أبو النور، (ط. ب)، مطبعة دار المدينة 16 شارع طه العسقلان دار السلام، 1977م.
10) أبو الحسن احمد بن فارس بن زريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح عبد السلام محمد هارون، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1369هـ/1991م ج5.
11) أبو الوفاء على بن عقيل البغدادي، **الجدل على طريقة الفقهاء**، تح المركز الإسلامي للطباعة والنشر، (ب ط)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر القاهرة، (ب س ن).

12) أبو الوليد الباجي، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، ط2، تح، عبد المجيد التركي دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،1987.
13) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، تح بدوي طبانة، (ب ط)، مطبعة كرياط فوترا سمراغ، أندونيسيا، ج1.
14) أبو علي عمر السكوني، **عيون المناظرات**، تح سعد غراب، (ب. ط). منشورات الجامعة التونسية، تونس1976.
15) أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي: **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته**، (ب–ط)، دار الفكر، بيروت لبنان، (ب س ن)، ج2،
16) أبي العباس أحمد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، (ب س ن) ج.1
17) ابي حامد الغزالي محمد بن محمد الغزالي، المنخول من تعليقات الأصول تحقيق حسن هيتو، دار الفكر.
18) أبي عُبيد عبد الله البكري، المسالك والممالك، تح: د جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2.
19) أبي محمد على بن سعيد ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الأحكام**، تح أحمد محمد شاكر، (ب ط)، دار الكتب المصرية، (ب س ن)، ج1.
20) أبي محمد على بن سعيد ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والاهواء والنحل، تح محمد إبراهيم ناصرو عبد الرحمن ابن عميرة، دار الجدل، بيروت لبنان. ط2 1999.
21) أبي محمد على بن سعيد ابن حزم الأندلسي، ديوان بن حزم، جمع وتحقيق صبحي رشاد عبد الكريم ط1، دار الصحابة للتراث طنطا مصر.
22) أبي محمد على بن سعيد ابن حزم الأندلسي، رسالة في الرد على بن النغريلة تح د إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية لدراسة والنشر، بيروت، 1987.
23) أبي محمد على بن سعيد ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة ط1، دار صادر بيروت لبدان 1424 هـ 2003.
24) أحمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، ط2، دار الكتاب طرابلس ليبيا، سنة 2000.

25) أحمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان، تح محمد أمين ضناوي، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ/2002م.

26) أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، **مقامع الصلبان**، تح عبد المجيد الشرفي (ب. ط)، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية الجامعة التونسية، تونس، (ب ت ن).

27) الإمام ابن حزم الأندلسي: **التقريب لحد المنطق**، تح أحمد فريد المزيدي (ب-ط)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (ب-س).

28) إمام الحرمين الجويني، **الكافية في الجدل**، تح دفوقة حوسين محمد، ط1 مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه القاهرة 1399هـ-1979م.

29) بن الكربدوس التو زري، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، نح عبد القادر بوباية دار الكتب العلمية بيوت لبنان، 1971، ج1

30) بن المقري التلمساني، النفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، لبنان بيروت دار صادر ط1 ،1988، ص238. بلقاسم عودة.

31) بن حزم، النبذة الكافية في أحكام أصول الدين، تح محمد أحمد عبد العزيز ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ.

32) بين بشكوال، **كتاب الصلة**، تح إبراهيم الابياري، ط1، طبعة دار الكتب العلمية، سنة1989، ج2.

33) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1418هـ/1998م.

34) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس ط2، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري القاهرة مصر 1416هـ، 1989م.

35) الحميدي، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح إبراهيم الأبياري ط2، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، 1410هـ-1989م، ج1.

36) الراغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمد ت 508هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تح مصطفى الباز، (ب ط) مركز الدراسات والبحوث المكتبية نزار، ج1.

37) شرف الدين النووي، **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، ط2، الدار العالمية لنشر والتجليد، مصر، 1437هـ-2016م.

38) شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح كامل الخراط وشعيب الأرنووطي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1409هـ/1988م، ج9.

39) طاشكبري زاده، **رسالة الأدب في علم آداب البحث والمناظرة**، تح حايف النبهان، ط1، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت 2012/1433.

40) عبد الرحمان ابن الحنبلي، **استخراج الجدل من القرآن الكريم**، تح زاهر بن عواض الألمعي، ط2، دار صادر بيروت لبنان، 1401هـ.

41) عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولب ليسان العرب**، تح عبد السلام محمد هارون، ط4، مطبعة ميدان النشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1418هـ/1997م، ج2.

42) على بن مجمد السيد الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح محمد صديق النشاوي، (ب ط)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 2004.

43) الفيروز آباد، **القاموس المحيط**، تح محمد نعيم العرقسوسي، ط3، الرسالة بيروت لبنان، 1416هـ/1996م.

44) لابن حجر العسقلاني **الإصابة في تميز الصحابة**، تح عادل احمد عبد الموجد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1415هـ-1995م، ج4.

45) لأبن عبد البر، **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1428هـ/2006م، ج2.

46) لابن كثير، **البداية والنهاية**، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، هجر للطباعة والنشر، مصر 1418هـ/1998م، ج1.

47) محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (ب م)، (ب ط)، دار عالم الكتاب، السعودية، 1423هـ-2003م.

48) نجم الدين الطوفي الحنبلي، **علم الجدل في علم الجدل**، (ب-ط)، تح قولفهارت هاينريشس، دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن، 1408هـ/1987م.

49) الوزير الكاتب أبي النصر بن خاقان، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1403هـ-1983م.

50) الونشريسي احمد بن يحي، **المعيار المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والمغرب** تح محمد حجي، (ب ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج2.

51) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (ب ت)، (ب ط)، دار صادر، بيروت لبنان،1397هـ/1997م، ج3.

ثانيا: المراجع عربية والمعربة:

أ) - المراجع العربية:

52) محمود شلبي، حياة عمر ابن عبد العزيز، ط3، دار الجيل، بيروت لبنان 1409هـ/1989م.

53) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ط3، مطابع اوقيست القاهرة مصر 1405هـ/1985م.

54) أبي عمر محمد عبد الملك الزغبي، أصول المناظرة وروائع المناظرات، ط1 1432هـ-2010م، دار التقوى لطبع والنشر والتوزيع، مصر.

55) أحمد أمين-زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، 1935م.

56) أنور خالد الزغبي، ظاهرية بن حزم، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، عمان الاردن 1417هـ، 1996 ص 141.

57) أنور خالد الزغبي، ظاهرية بن حزم، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، عمان الاردن 1417هـ، 1996.

58) توفيق أحمد الغلبوزي الإدريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، ط1 دار ابن حزم لنشر والتوزيع الرياض، السعودية، 1428هـ/2006.

59) توفيق بن احمد الغلبزوري الادريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والاندلس نشأتها علامها وأصولها واثارها، مكتبة دار ابن حزم،1437 هـ، الرياض – السعودية.

60) توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس ط1، دار ابن حزم، السعودية 1428هـ/2006م.

61) جمال سرحان، المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن 4هـ، ط1، دار الوحدة لطباعة والنشر، بيروت 1981م.

62) حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1987م،

63) حسن والي بن الشيخ، الموجز في علم آداب المناظرة، ط1، مكتبة ابن تيمية القاهرة، مصر، 1325هـ.

64) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط1 الشركة العربية لطباعة والنشر، القاهرة 1959م.

65) حسين والي، الموجز في آدب البحث والمناظرة، ط1، دار الظاهرية، الكويت 1438 هـ-2017م.

66) حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ط2، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1425هـ-2004م.

67) خالد بن الناصري بن سعد آل حسن العبدلي الغامدي، الصراع العقائدي في الأندلس خلال 8 قرون بين المسلمين والنصارى، ط1، مكتبة الكوثر لنشر والتوزيع، السعودية، 1429هـ.

68) خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم – الخزرجي)، (ب ط)، دار قباء للنشر والتوزيع القاهرة، 2001م.

69) خليل إبراهيم السامري وأخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1 دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2000م.

70) خير الدين الزِرِكلي، الأعلام قاموس تراجم، ط15، دار العلم للملين، لبنان 2006م، ج3،

71) د خالد ناصر، الصرع العقدي في الأندلس خلال 8 قرون بين المسلمين والنصارى، ط1، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، السعودية، 1429هـ.
72) د. سعيد البشاري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط1 مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،1414هـ/1993م.
73) د. عثمان علي حسين، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ط1، دار اشبيلية لنشر والتوزيع، الرياض السعودية، 1420هـ-1999م، ج2.
74) زاهر عواض الألمعي، منهج الجدل في القرآن الكريم، ط3، (ب. د. ن) 1404،
75) الشيخ الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، ط1، مكتبة ابن تيمية القاهرة، (ب س ن)، ج2.
76) صه عبد الرحمان، أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي المغرب، 2008.
77) عبد الرحمان حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ط4، دار القلم دمشق سوريا 1993.
78) عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط1، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
79) عبد اللطيف سامر، المدخل إلى فن المناظرة، ط1، دار مؤسسة قطر الدوحة 2014.
80) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، دار الأمان، الرباط، 1434هـ-2013م.
81) عبد الله بن علي الزيداني، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، (ب ط) مطبوعات الملك عبد العزيز الرياض، السعودية، 1417هـ/1996م.
82) عبد المجيد بن حمده، المدارس الكلامية بافريقية إلى ظهور الاشعرية، ط1 مطبعة دار العرب، تونس 1986/1406.
83) على جريشة: أدب الحوار والمناظرة، ط1، دار الوفاء لطباعة والتوزيع المنصورة، مصر، 1989.

84) علي محمد محمد الصلابي، عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج، ط1، دار البيارق الأردن،1438هـ/1998م.
85) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان 1414هـ-1993م، ج2.
86) عمر فاروخ، تاريخ الأدب العربي، ط2، دار العلم الملاين، بيروت، 1984 ج4.
87) عمر فاروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط1، دار العلم للملين بيروت لبنان، 1972م.
88) فاروق عمر عبد المعطي، اعلام الفقهاء والمحدثين. ابن حزم الظاهري علي ابن احمد ابن سعيد الاموي الاندلسي، بيروت لبنان 1935.
89) فاروق عمر عبد المعطي، اعلام الفقهاء والمحدثين. ابن حزم الظاهري علي ابن احمد ابن سعيد الاموي الاندلسي، بيروت لبنان 1935.
90) فورار محمد بن لخضر، الشعر الأندلسي في ضل الدولة العامرية دراسة موضوعية وفنية، منشورات مخبر أبحاث فن اللغة والأدب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
91) القدوري سمير، الردود على ابن حزم بالأندلس من خلال مؤلفات علماء المالكية، (ب ط)، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث المغربي 1434هـ/2010م، ج2.
92) لحاجي خليفة، أسامي الكتب والفنون، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1413هـ/1992م.
93) محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والتاريخ، (ب. ط) دار الفكر العربي، القاهرة، (ب. س ن).
94) محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربي لبنان، 1934.
95) محمد أبي زهرة، مالك حياته عصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي للطبع والنشر.
96) محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ط3، مطبعة النجاح الجديدة الرباط، 1420هـ/2000م.

97) محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعلم في الأندلس، ط1، دار الفكر العربي لبنان، 1982م.
98) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (ب ط)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (ب س ن)، ج1.
99) مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن 3هـ النشأة والخصائص، (ب. ط)، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، 1418هـ/1997.
100) المصطفى الوظيفي، المناظرات في أصول التشريع الإسلامي دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي، (ب. ط)، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب 1419هـ/1998م.
101) مصطفى سعيد الخِنّ، أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، ط3، مؤسسة الرسالة للنشر بيروت لبنان، 1402هـ-1986م.
102) هارون عبد الرزاق، فن آداب البحث والمناظرة، ط1، 1438هـ-2017م دار الظاهرية، الكويت.
103) يوسف بن احمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقيا (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف ق 5هـ، ط1، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م، ج2.
104) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ط2، مطبعة لجنة،1946م القاهرة.

ب) - مراجع معربة:

105) ألفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1987.
106) أنخل بالنيثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر حسين مؤنس، (ب ط)، المصدر القومي للترجمة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2011.
107) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، تر حسين إبراهيم وغيره، ط2، مكتبة النهضة المصرية، مصر.

108) رينهرت دوزي، المسلمون في الاندلس، تر، حسن حبشي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،1993، الحياة، بيروت لبنان، (ب س ن).
109) عبد المجيد التركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، تر عبد البصور شاهين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1406هـ-1986م.
110) ليفي بروفينصال، حضارة العرب في الأندلس، تر ذوقان قرقوط، (ب ط) منشورات دار مكتبة.

ثالثا: المجلات والمقالات:

1) أبي عبد المعز محمد علي فركوس، الإنارة شرح كتاب الإشارة، ط1، دار الموقع للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 1430هـ/ 2009م.
2) آسية الكنوني، مدخل إلى المناظرات الدينية بالغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، تاريخية، تن2016، الرباط.
3) أمينة بن منصور، أسلوب المناظرة الأدبية في الأندلس بين الإقناع والإمتاع مجلة مقاليد أدبية 16جوان2016، عين تيموشنت الجزائر، العدد10 جوان 2016.
4) أنسام غضبان عبود، الصراع الفكري في الأندلس، محنة بقي بن مخلد المتوفى سنة (276هـ/ 889 م) أنموذجا، مجلة آداب البصرة 2018، جامعة البصرة العدد. 82، ص 282.
5) بلقاسم عودة، الحركة العقلية في المذهب الظاهري وأثرها على اللغة على عهد ملوك الطوائف، بن مضاء القرطبي نموذجا 511 592 هـ 1418 1496 م مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية، سبتمبر 2018، العدد 02، ص 228.
6) بوسيف سنوسي ويوسي الهواري، جهود فقهاء المالكية في إصلاح بين أمراء الطوائف الإمام الباجي نموذجا، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية،2021، العدد 02.

7) رفاف شهرزاد، فن المناظرة بالمغرب الأوسط الزياني: نموذج مناظرات القاضي سعيد العقباني(ت811هـ/1408م)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، تاريخية، 2019/05/28، قسم التاريخ جامعة بشار، المجلد14 العدد1جوان2019

8) إبراهيم ابن عبد الكريم السنيدي: الحوار والمناظرة في الإسلام أحمد ديدات نموذجاً في العصر الحديث، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدرسات الإسلامية، العدد (46)، محرم 1430هـ.

9) عبد الله بن إبراهيم العسكري، الجدل الديني في الأندلس، قسم التاريخ كلية الأدب جامعة الملك سعود الرياض، السعودية، 22-03-1429هـ/22-03-2008، مقال من موقع إلكتروني، موقع منتدى عربي.

10) رجاء ناهي محمد، مدى حجية مصادر الأحكام عند الإمام ابن حزم الظاهري (ت 456هـ)، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 18/06/2019 بغداد العراق، ع02.

11) صابة محمد، الجدل الفكري في الأندلس ق(4هـ-6م) /(10هـ-12م) بين مرحلية التوسع ومجال التنوع، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في الشمال الإفريقي، تاريخية، تاريخ النشر 2021/09/30، جامعة تيارت الجزائر العدد 2سبتمبر2022،

12) عبد القادر ربوح، المذهب المالكي بالأندلس من الظهور إلى عصر التمكين والسيادة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية العدد 19، ص 325.

13) عمر الجيدي، نظرات في تاريخ المذهب المالكي، أسباب انتشار المذهب المالكي، في المغرب الإسلامي -دعوة الحق- جوان 1982، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية العدد 223 ص.

14) عمر راجح شلبي، دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري، مجلة الجامعة الإسلامية جامعه الخليل الضفة الغربية فلسطين جويلية 2008، العدد2

15) غازي مهدي حليم الشمري، الرد والمجادلة في كتابات ابن حزم الأندلسي" كتاب الفصل نموذجًا مجلة عصور، جوان 2003، ع 03، ص 02.

16) لندة بوعافية، الجدل الديني بالأندلس ودوره في تأسيس علم مقارنة الأديان، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة باتنة معهد العلوم الاجتماعية والإسلامية، المجلد11، العدد 14، تاريخ 2019/9/18.

17) مجاهدي ابراهيم الحافظ مخلد القرطبي: ودوره في التمسك لمذهب أهل الحديث في الأندلس، مجلة التاريخ المتوسطي، مج مبارك البشير.

18) محمد الفتات، علم مقارنة الأديان وأثره في المناظرات العقدية بالغرب الإسلامي أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير نموذجا، المجلد11، العدد3 2021/05/09، قسم التراث الكلامي والصوفي والأصولي بالغرب الإسلامي كلية أصول الدين جامعة عبد الملك السعدي، تطوان المغرب.

19) محمد صابة، الجدل الفقهي في الأندلس ق(4هـ-6هـ/10م-12م) بين بساطة مسائله وتجديد وسائله، مجلة عصور الجديدة، تصنيف ح، فصلية تاريخية، ت ن 2021/03/8، تيارت، العدد1 مارس2021.

20) محمد عيساوة، الجدل الديني في الأندلس ملمح بارز من ملامح حوار الثقافات والأديان، مجلة تاريخية المجلة التاريخية الجزائرية، نوعها تاريخية، ت ن 2020/12/9، المسيلة، العدد 2 /2020.

21) المذهب الظاهري في الغرب الإسلامي، عوامل الدخول والانتشار، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد9 العدد1، جوان 20183، ع 02، شهر ديسمبر 2021،

22) وحدة البحث العلمي بإدارة الافتاء، المذاهب الفقهية الأربعة، أئمتها- أطوارها- أصولها- آثارها، مر أحمد الحجي الكردي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1436 هـ 2015.

رابعا: المذكرات والرسائل الجامعية:

1) عبادي عبد العباس محمود الزيادي، اتجاهات وصف المدن الأندلسية في منتصف ق2هـ حتى سقوط غرناطة، رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية إش علي محمد حسين الخالدي، كلية الأدب، جامعة الكوفة، العراق، 1436هـ/2015.
2) عبد الرحيم لبقية، منهج الاستدلال في الحوارات الأصولية عند علماء الأندلس (الباجي وابن حزم) أنموذجا مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إش قندوز ماحي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر، (ب ت م)، 1437-1438هـ/2015-2016م.
3) كمال قمان، الحياة العلمية في الأندلس خلال القرن الرابع والخامس الهجري العاشر والحادي عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إ ش خالد كبير علال قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، (ب ت م) 1437-1438/2016-2017.
4) لطيفة كرميش، المنهج الحجاجي لعلماء الأندلس ابن العربي أنموذجا، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية. إشراف د ليلى حداد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، المذكرة مطبوعة، (ب ت م)، 1433-1434هـ /2012-2013م.
5) أمينة شكشاك مذكرة: الحجاج وآلياته في المناظرات الأدبية بالأندلس السيف والقلم أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب كلية، الأدب واللغة الأجنبية قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، 31 /1440/14هـ/2018-2019م.
6) أسماء بن قلح، فن المناظرات من منظور تداولي "الإمتاع والمؤنسة" للتوحيدي أنموذجاً، مذكرة ماجستير في الآداب، إش صلاح الدين ملاوي، كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة المذكرة مطبوعة، 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م.

7) أولاد ضياف إكرام، مجالس المناظرة في العصر العباسي الأول، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إش طوهارة فؤاد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 1438هـ/2016-2017.

8) محمد أحمد ضاعن الخوالدة، تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي العصر الأموي، رسالة ماجستير في اللغة العربية، إش غسان إسماعيل عبد الخالق كلية الدراسات اللغوية، جامعة فيلادلفيا، نوقشت بتاريخ 2016/06/1 الموسم2016/2015.

9) زقاوي محمد، الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي، أطروحة دكتوراه في تاريخ الغرب الإسلامي بلبشير عمر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2019/1/24 2019/2018.

10) نسيم حسبلاوي، الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية، الرسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، مش عبد الحميد حاجياتي، قسم العلوم الإنسانية كلية التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر،2000، الموسم2000 /2001.

11) بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من ق6هـ الى9هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي أطروحة دكتوراه، إش غازي مهدي جاسم، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران، الجزائر، 2010/2009م.

12) جميلة راجح، اسهمات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي، اطروحة دكتوراه في اللغة العربية، إ ش صالح بلعيد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، ت م 2015/11/8.

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام.

ثانيا: فهرس الأماكن.

ثالثا: فهرس الكلمات.

رابعا: فهرس الموضوعات.

أولا – فهرس الأعلام

العلـــــــــــــم	الصفحـــة
(أ)	
أبا القاسم يزيد بن مخلد	50
إبراهيم بن الجنيد	15
ابن الأصغر	61
ابن الجوزي	11-10
ابن الحاج	58
ابن الحنبلي	84-34
ابن الصغير	50-49
ابن العربي	59-54-53
ابن الكردبوس	83
ابن خلدون	87-4
	109
ابن عباس	12
ابن عَقيل	8
ابن كثير	15
أبو الربيع سليمان	49
أبو الصلاح أيوب بن سليمان	58
أبو حنيفة	10
أبوا المطرف ابن الحصار	59
أبي هريرة	59
أحمد بن حنبل	57
أحمد بن عثمان	ج
الأسد ابن الفرات	45

إسماعيل بن النغريلة	46
الباجي	-113-112-60
	-115-114
	-131-130
	-133-132
	-135-134
	137-136
(ب)	
باديس بن حَبُوس	72
ابن حزم	-102-101-6
	-104-103
	-106-105
	-108-107
	-130-109
	-133-132
	-135-134
	138-137-136
(ج)	
الجزولي	52
الجويني	18
(ح)	
حريش العبدري القرطبي	97
(خ)	
الخطيب البغدادي	11
(د)	
دوزي	84-83
(ز)	

زيادةُ الله الأغلبي	50
زينون الإيلي	36
(س)	
سعيد بن محمد العقباني	126-113-72
سيد قطب	14
(ش)	
الشافعي	30-19-10
الشيرازي	131-5
(ط)	
طاشكبري زاده	23
(ع)	
عبد البر	92-90-89
الوليد بن البارية	96
عبد الله العبدوسي	51
عبد الملك ابن مروان	42
عتبة ابن ربيعة	40
عمر ابن عبد العزيز	18
(ق)	
القبري	122
القحطاني	23
القرطبي	74-68-61
قس بن ساعدة	39
(م)	
المأمون بن ذي النون	57
محمد التازغدري	51
مروان ابن ميسرة	69

المُزنيّ	7
مسروق	8
معاذ بن انس	12
المعتصم ابن صمادح	57
المعز ابن باديس	45
مكي بن أبي طالب	97-96
المؤمون	17
(ن)	
ناصر الدين المشدالي	51
النعمان ابن المنذر	39
(و)	
واصل ابن عطاء	44
الونشريسي	49
يونس الصدفي	19

ثانيا – فهرس الأماكن.

المكـــــــــــان	الصفحـــة
(ب)	
بطليوس	125-122
بلنسية	127-95
(ت)	
تيهرت	63-49
(س)	
سبتة	52
سِجِلْماسِة	45
سرقصطة	57
سرقسطة	70-67-57
(ش)	
شبه الجزيرة الإيبرية	64
(ط)	
طليطلة	-68-67-57 130-69
(غ)	
غرناطة	72
(ق)	
قُرطبة	67
(ل)	
لبلة	102

ثالثا – فهرس الكلمات

الكلمـــــــــة	الصفحـــة
(أ)	
الإطناب	23
الأكدار	21
الألحاظ	17
الأناة	12
الأُوار	41
البكوء	16
(ت)	
ترذيل	14
التسفه	22
التشغِيب	19
تشنيع	19
(ج)	
الجولان	24
(ح)	
حَاكَ	16
حصيفُ	57
(د)	
دحض	أ-2-37-66-107
(ذ)	
الذَوْدُ	40
(ر)	
الركَّة	9

الرَّوغان	24
(ش)	
الشآن	23
(ض)	
ضُروبا	35
(ع)	
العنت	22
عواره	15
(ق)	
قرينة	108
(م)	22
مسفسط	18
المَلَكَة	
(ن)	20
النُّوك	

رابعا – فهرس الآيات

الآيـــــة	الصفحـــة
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	10
﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾	11
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	11
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾	12
﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ﴾	13
﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	13
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	14
﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	14
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	15
﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	16-15
﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾	17
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	22
﴿ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	34
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	34
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ	35

لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	
﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	35
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾	35
﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾	35
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾	36
﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾	49
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾	71
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	107
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	107
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	108
﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾	110
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِ وَرَضِيتُ لَكُمُ الِاسْلَٰمَ دِينا﴾	110
﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾	111-110
﴿مَّا فَرَّطنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْء ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم يُحْشَرُونَ﴾	111

خامسا: فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحـــة
البسملة	
الإهداء	
شكر وتقديم	
فهرس المختصرات	
المقدمة	أ–ح
الفصل الأول: المناظرات عند المسلمين	
تمهيد.	02
أولا: تعريف المناظرة (لغة واصطلاحا).	03
تعريف الجدل (لغة واصطلاحا).	05
ثانيا: آداب المناظرة.	06
ثالثا: أركان المناظرة.	25
رابعاً: شروط المناظرة.	29
خلاصة.	31
الفصل الثاني: المناظرات والمساجلات في الغرب الإسلامي	
تمهيد	33
أولا: نشأة المناظرة وتطورها.	**34**
نشأة المناظرة عند الفلاسفة اليونانيين.	36
عند العرب في الجاهلية.	38
عند المسلمين (صدر الإسلام–الدولة الأموية–الدولة العباسية).	40
ثانيا: نشأة المناظرة وتطورها في الغرب الإسلامي.	**43**
في المغرب الإسلامي (المناظرة الفقهية – العقادية – النحوية).	43
المناظرات العقدية والفقهية في المغرب الإسلامي.	47
المناظرات النحوية في المغرب الإسلامي.	52

المناظرات في الأندلس.	53
المناظرات الفقهية في الأندلس.	57
المناظرات الأدبية في الأندلس.	60
أسباب تأخر ظهور المناظرات في الغرب الإسلامي.	61
ثالثاً: المناظرات الدينية في الغرب الإسلامي.	**64**
مناظرة المسلمين مع النصارى.	64
المناظرات الدينية بين المسلمين واليهود في الغرب الإسلامي.	69
رابعا: مكانة المناظرة وعوامل شيوعها في الغرب الإسلامي.	**73**
مكانة المناظرة وأهميتها في الغرب الإسلامي.	73
عوامل شيوع المناظرة وازدهارها ف الغرب الإسلامي.	76
خلاصة.	79
الفصل الثالث: المناظرات بين ابن حزم والباجي	
تمهيد.	81
أولا: الأسس التاريخية للمناظرات.	**82**
الحالة السياسية والفكرية للأندلس في القرن 5هـ.	82
حالة الفقه المالكي بالأندلس خلال القرن 5 هـ.	84
عوامل واسباب انتشار المذهب المالكي بالأندلس.	85
عوامل وأسباب خارجية.	85
عوامل وأسباب داخلية.	87
انتشار المذهب بقوة السلطان.	88
التقليد والجمود الفكري عند الفقهاء المالكية.	89
المذهب الظاهري نشأته ودخوله الاندلس.	93
ثانيا: منهج ابن حزم واستدلاله.	**101**
ترجمة الامام ابن حزم.	101
أولا: اسمه ونسبته.	101
مولده.	102

طلبه للعلم.	103
نشأته وطلبه للعلم.	103
مذهبه الفقهي.	105
مؤلفاته وانتاجه العلمي.	105
أصول ابن حزم.	106
أصول بن حزم الفقهية.	106
أولا القرآن.	106
ثانيا: السنة.	107
ثالثا: الإجماع.	109
ثالثا: الباجي وقضايا عصره.	**112**
ترجمة للإمام الباجي.	112
نسبه مولده ووفاته.	112
طلبه للعلم.	113
رحلته إلى المشرق.	113
انتاجه العـلمي.	114
أصول الفقه المالكي.	115
أولا: الكتاب الكريم.	116
ثانيا: السنة النبوية.	116
ثالثا: الاجماع.	116
رابعا: القياس.	116
خامسا: عمل أهل المدينة.	117
سادسا: قول الصحابي.	118
سابعا: فرع من قبلنا.	118
ثامنا: المصالح المرسلة.	118
تاسعا: الاستحسان.	119
عاشرا: سد الذرائع.	119

الحادي عشر: الاستصحاب.	120
بعض القضايا التي عالجها الباجي.	121
جهود الإمام الباجي الأصولية في خدمة المذهب المالكي.	121
طريق التأصيل.	121
طريق التحقيق.	122
جهود الإمام الباجي الفقهية خدمة للمذهب المالكي.	123
جهود الباجي السياسية.	124
نشاط الباجي الإصلاحي.	126
الدعوة الإصلاحية على المستوى القيادي.	126
الدعوة الإصلاحية على المستوى الشعبي.	127
أسباب فشل مشروع الباجي الإصلاحي.	128
رفض السلطة الحاكمة لدعوة الباجي.	128
الانقسام الطبقي داخل المجتمع الأندلسي.	128
ضعف الوازع الديني وانهدام الصرح الأخلاقي.	129
تدخلات العدو النصراني في إطالة زمن الحرب.	130
بعض موضوعات المناظرة بين الامامين بن حزم والباجي.	131
أحداث المناظرة وموضوعاتها.	132
القياس قول في الدين بغير علم.	138
القياس في مقابل البيان فألهي زيادة في الشريعة.	138
القياس دين لم يأذن به الله.	138
خلاصة.	139
الخاتمة.	143-141
قائمة المصادر والمراجع.	158-145
الفهارس.	172-160

الملخص:

يهدف موضوعنا للبحث في المناظرات والمساجلات في الغرب الاسلامي وتسليط الضوء على مناظرة الإمامين الباجي وبن حزم في القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي والمناظرة فن من فنون الأدب وإنتقلت من المشرق إلى الغرب الاسلامي وتطورت وتنوعت فأصبح أهل الغرب الاسلامي أصحاب هذا الفن فظهرت مؤلفات عديدة في هذا المجال واكتسبت أهميتها لكونها سلاح لإثبات المعتقدات وترجيح الآراء وعلم يحرر العقل وينشط الحركة الفكرية والعلمية.

ساهمت مناظرات إبن حزم الاندلسي للمالكية في إزدهار الحياة حيث كانت سببا في إقبال الناس على البحث في أقواله والرد عليه.

الكلمات المفتاحية: المناظرات، أبن حزم والباجي، الجدل، الغرب الإسلامي، الاندلس.

Abstract:

This research aims to cover the paradigms and debates in the western islamic world and highlight the debate between Al Imam Albadji and Al Imam Ibn Hazm on between 5th Century Hijri , the 11th Century AD.

The debate is a kind of literary art, it moved from the eastern islamic world to the western islamic world and developped and variated, It becomes the people of this kind of art. A several publications appeared in this field and became important because it's a tool to prove beliefs and weighting the opinions, and it's a science that liberates the mind and stimulates the intellectual and scientific activity.

Keywords: debates, Ibn Hazm and Al-Baji, controversy, the Islamic West. Andalus.